

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

الخطب العصرية لوزارة الأوقاف المصرية

الجزء الثاني

إشراف وتقديم

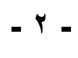
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٣٦هـ /٢٠١٥م





بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{إِنْ أُرِيــــدُ إِلَّا الْإِصْــلاَحَ مَا اسْتَطَعْــتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

[هود: ٨٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد :

فيسرنا أن نقدم للسادة الأئمة والخطباء والمثقفين والمعنيين بالشأن الدعوي في مصر والعالمين العربي والإسلامي الجزء الثاني من الخطب العصرية التي أعدتها الإدارة العامة لبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف تحت إشرافنا ومراجعتنا.

وقد راعينا أن يكون الخطاب الديني في إطار سماحة الإسلام ووسطيته ، بعيدًا كل البعد عن جميع ألوان التشدد والغلو ، والإفراط أو التفريط ، محققاً لرسالة المسجد ، يجمع ولا يفرق ، ويهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ، من منطلق أن شرع الله (عز وجل) قائم على مراعاة هذه المصالح، فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله ، وبما يؤدي إلى تشكيل وعي ديني صحيح ورشيد ، وحس وطني صادق ونبيل.

وقد تنوعت موضوعاته ما بين قضايا إيمانية تربوية تهدف إلى إيقاظ الضمائر وتهذيب الأخلاق ، وقضايا اجتماعية تسهم في دعم وتقوية أواصر المودة والرحمة بين أبناء المجتمع، وقضاية وطنية تهدف إلى

تقويم الانتماء الوطنى والحفاظ على أمن الوطن واستقراره ، إضافة إلى ما لاغنى عنه من بعض خطب المناسبات ،مع مراعاة السهولة واليسر ، والبعد عن التقعر والتكلف ، سائلين الله (عز وجل) أن يكتب له القبول وأن يكون زاداً علميًّا وفكريًّا ومعرفيًّا فى مجال الثقافة الإسلامية الرصينة ، وأن يشكل إضافة متميزة للمكتبة الدعوية فى مصر والعالم كله ، إنه سبحانه وتعالى ولىّ ذلك والقادر عليه ، {وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} [إبراهيم:٢٠] ، وحسبنا قوله تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[هود: ٨٨].

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ محمد مختار جمعه

وزير الأوقاف

الإسلام دين الرحمة

أولاً: العناصر:

١. أهمية خلق الرحمة.

٢. حاجة البشرية إلى هذا الخلق.

٣. صور من رحمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

٤. من مظاهر الرحمة في شريعة الإسلام.

٥. القسوة والتشدد ليسا من الدين في شيء.

٦. دعوة لنشر التراحم في المجتمع.

ثانيًا: الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١. قال تعالى: {وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧] .

٢. وقال تعالى : {قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام:١٢] .

٣. وقال تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ١٥٦].

٤. وقال تعالى : {فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران:] .

٥. وقال تعالى: {لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: ١٢٨] .

٦. وقال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء:٢٩] .

الأدلة من السنة:

١. عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ) (الترمذي في السنن) .

٢. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا ؛ فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ)

(صحيح مسلم).

٣. وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ) . [متفق عليه].

٤. وعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ : لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ ، قَالَ : أَلاَ تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ؟ قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ

مَاءٍ ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا ، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، وَتَكَلَّمَتِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : صَدَقَتْ ، صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ)

[سنن ابن ماجه].

٥. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ)

[متفق عليه] .

٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أو حائشَ نخلٍ، قال: فدخل حائطاً لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ، فلما رأى النبي (صلَّى الله عليه وسلم)حَنَّ وذَرَفَت عيناه، فأتاه النبيُّ (صلَّى الله عليه وسلم) فمسح ذِفْراه فسكتَ، فقال: (من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجملُ؟) فجاء فتًى من الأنصارِ، فقال: لي يا رسول الله، قال: (أفلا تتقي اللهَ في هذه البهيمةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجِيعُه وتُدْئبه) [سنن أبي داود].

ثالثًا: الموضوع:

من أهم ما تتميز به شريعة الإسلام قيمة الرحمة التي انفردت وحدها في القرآن الكريم بالصدارة ، وبفارق كبير عن أي صفة أخلاقية أخرى ، فلقد تكررت الرحمة بمشتقاتها ثلاثمائة وخمس عشرة مرةً ، إنَّ هذا ليس مصادفة بحال من الأحوال ، فكل كلمة وكل حرف فيه نزل بقَدَر ولهدف.

والرحمة تعني الرفق والرقة والعطف والرأفة ، فهي كلمة جامعة لمكارم الأخلاق ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الرّحمة سبب واصل بين اللّه- عزّ وجلّ- وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبوديّة، وبينه وبينهم سبب الرّحمة.

وقد عُني نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) بذكر هذا الخلق العظيم والتأكيد عليه في أحاديث عدة ؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ) وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا ؛ فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ).

والمتأمل في حياة البشرية يجد أنها في أمس الحاجة للتخلق بهذا الخلق العظيم وإحياء هذه القيمة الغالية التي تدل على تحضر الأمم

وتقدمها ، فأمة لا تعرف الرحمة في قوانينها وتعاملاتها مع البشر هي أمة متخلفة وإن ادعت التحضر و التقدم .

إن نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) أقام دولة الإسلام بالرحمة ، وكانت الرحمة هي أخص خصائصه قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧].

بل لقد بلغت الرحمة درجة متناهية في حق الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى ذكر الله عز وجل أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم! قال تعالى:{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ..}[الأحزاب: ٦] وذكر (صلى الله عليه وسلم) هذا المعنى تصريحًا ، وحمَّل نفسه أعباء ضخمة نتيجة هذه الرحمة ، قال (صلى الله عليه وسلم): مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا ؛ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ) (متفق عليه).

إنها الرحمة المجردة تمامًا عن أي هوى ، والتي ليس من ورائها نفعٌ دنيوي ، ولا هدف شخصي ، لقد بلغت رحمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأمته حدًّا يفوق كل تصورات العقول، حتى إن الأمر وصل إلى خوفه عليهم من كثرة العبادة التي تعني التقرب إلى الله والتبتل إليه ، لكنه (صلى الله عليه وسلم) كان يخشى على أمته من المبالغة في الأمر فتفقد الأمة التوازن المطلوب في حياتهم ، فيصل بهم الأمر إلى المَلل والكسل من العبادة التي هي مطلوب الخالق من خلقه ، أو يصل

بهـم الحـد إلى الإرهـاق الزائـد عـن طاقـة الإنسـان ، لـذلك رأينـاه (صلى الله عليه وسلم) كثيراً ما يُعرِضُ عن عملٍ من الأعمال، مُقرَّبٍ إلى قلبه ، محببٍ إلى نفسه ، لا لشيء إلا لخوفه أن يُفرَض على أمته فيعنتهم ويشق عليهم؛ تقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ) (متفق عليه) ، ولذلك كان كثيرًا ما يقول كلمة : (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي) دلالة على أنه يحب الأمر ، ولكنه يخشى الفتنة على الأمة.

ومما تميزت به رحمة النبي (صلى الله عليه وسلم) الشمولية ، فوسعت كل المخلوقات ، حتى الخادم له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم)، فعن أَنَس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: (خَدَمْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ وَلَا لِمَ صَنَعْتَ وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ) (متفق عليه)، وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) (متفق عليه) ، والطفل كان له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: (قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا

يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ) (متفق عليه)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا فَكَانَ يَأْتِيهِ وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيُدَّخَنُ فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ) (رواه مسلم).

والأسير الذي جاء محاربًا ومعاندًا كان له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) فها هي سفانة ابنة حاتم الطائي التي أُسِرت في حرب مع قبيلة طيّئ، فجُعِلَت في حظيرة بباب المسجد، فمرّ بها رسول الله ؛ فقامت إليه، وكانت امرأةً جَزْلة[عاقلة]؛ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامْنُنْ عليّ مَنّ الله عليك ، فقال رسول الله : (قَدْ فَعَلْتُ ، فَلا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَهُ ثِقَةً حَتّى يُبَلِّغَكِ إِلَى بِلادِكِ ، ثُمّ آذِنِينِي). تقول ابنة حاتم الطائي: وأقمْتُ حتى قَدِمَ رَكْبٌ من بَلِيٍّ أو قضاعة ، وإنما أُرِيد أن آتي أخي بالشام ، فجئتُ فقلتُ: يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقةٌ وبلاغ. قالت: فكساني ، وحَمَلَني ، وأعطاني نفقة ، فخرجتُ معهم حتى قَدِمْتُ الشام) (سيرة ابن هشام).

وكان الضعيف له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) فعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ : لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ ، قَالَ : أَلاَ تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ؟ قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ ،

فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا ، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ ، وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، وَتَكَلَّمَتِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : (صَدَقَتْ ، صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ) (ابن ماجة في السنن).

والحيوان له أيضًا نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) ، فعن عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم)دخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل فلما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) حنّ وذرفت عيناه فأتاه (صلى الله عليه وسلم) فمسح ذفراه فسكت ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟) فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله ، فقال له : (أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ) (رواه أبو داود في سننه)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) (متفق عليه).

إنها الرحمة التي حث عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) وأخبرنا أنه لن يرحم الله تعالى إلا أصحابها، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما)

قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ) (سنن الترمذي)

ولم تقتصر الرحمة النبوية على حياة المسلمين في المجتمع الإسلامي بل تعدت ذلك إلى آداب الحرب في أوقات القتال لتنبه وتؤكد طابع الحرب في الإسلام من حيث كونها حربا دفاعية تهدف إلى البناء لا الهدم ، وإلى التعمير لا التخريب ، وتسعى لإتاحة حرية الاختيار، ويبدو خلق الرحمة النبوية واضحا في الحرب حيث يوصي النبي (صلى الله عليه وسلم) بقتال المحاربين فقط وعدم قتل الأطفال والشيوخ والعباد الذين تفرغوا للعبادة وعدم حرق الأشجار ولا الممتلكات ولا انتهاك الأعراض.

هذه الصور العظيمة للرحمة في حياة النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) تعبر عن الرحمة التي أسكنها الله قلبه الشريف ، ففرج الله ببركتها الكثير من الهموم عن أصحابها ، وفتح بها أبواب الخير والبركة ، قال تعالى: {فبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران:١٥٩]. فشريعة الإسلام هي شريعة الرحمة واليسر ورفع الحرج ، قال تعالى:{ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}[النساء: ٢٨]. فالشَّارِعُ الحكيم الرحيم لَمْ يَقْصِدْ إِلَى التَّكْلِيفِ

بالشَّاقِّ وَالعنت فِيهِ قال تعالى :{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥] وقال أيضا :{لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦].

ومن مظاهر الرحمة في التشريع الإسلامي أن أباح الصلاة للمريض على أي وجه يتحقق له من خلاله رفع الحرج ، فعن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: (كانت بي بواسير ، فسألت النبي (صلى الله عليه وسلم): عن الصلاة، فقال: (صل قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلى جنب) (أخرجه البخاري).

ومن مظاهر الرحمة في التشريع الإسلامي أن حرم الاعتداء على أموال الناس ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: ٢٩].

ومن مظاهر الرحمة في التشريع الإسلامي أنه لم يؤاخذ العبد ساعة الإكراه حتى ولو تلفظ بالكفر ، قال تعالى:{مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: ١٠٦] قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: وقد روى العَوفِيّ عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في عمّار بن ياسر، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فوافقهم على ذلك مُكرَها وجاء معتذرًا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فأنزل الله هذه الآية، وهكذا قال الشعبي، وأبو مالك وقتادة.

ومن مظاهر الرحمة المتعددة في التشريع الإسلامي أنه رفع الحرج عن المعاقين والمرضى ، قال تعالى:{ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى

الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا }[الفتح: ١٧] ، وغير ذلك الكثير والكثير من صور الرحمة في التشريع الإسلامي التي تدل دلالة واضحة لذي عينين وقلب سليم أن الإسلام في مظهره وجوهره هو دين الرحمة واليسر ومراعاة مصالح العباد، فالتشدد والتطرف والقسوة والغلظة ليسوا من مبادئ الإسلام ، فهي أمور تتنافى جملة وتفصيلا مع تعاليم الإسلام السمحة ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُكَرِّهْ عِبَادَةَ اللهِ إِلَى عِبَادِهِ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا يَقْطَعُ سَفَرًا وَلَا يَسْتَبْقِي ظَهْرًا) (البيهقي في شعب الإيمان).

وجَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ ، وَلاَ أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) (رواه البخاري).

فعلى جميع أفراد المجتمع أن يتخلقوا بهذا الخلق العظيم الذي يعكس تدين العبد الصحيح ومدى التزامه بتعاليم الإسلام السمحة

واقتدائه بنبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم)، ولنترجم هذه القيمة ـ قيمة الرحمة ـ إلى سلوك عملي في حياتنا ، وأولى الناس برحمتنا الآباء والأبناء، والأزواج والزوجات ، والجيران ، وزملاء العمل ، وسائر أبناء الوطن الواحد، طالما أننا نجتمع تحت مسمى الإنسانية .

إن المؤمن حينما يتصل بالله يتخلق بخلق الرحمة، فالرحمة التي في قلبه علامة اتصاله بالله ، وغير المؤمن حينما ينقطع عن الله عز وجل ، يصبح قلبه كالصخر الأصم ، لا ينطوي على الرحمة ، ساعتها يتحقق فيه قول النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) : (من لا يرحم لا يُرحم).

إننا إن فعلنا ذلك تحقَّق فينا قوله (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (أخرجه مسلم).

* * *

الإسلام دين الأمن والأمان

أولا : العناصر :

١- الإسلام دين الأمن والأمان.

٢- البلطجة ظاهرة من الظواهر السلبية.

٣- أهم أسباب البلطجة.

٤- من مظاهر البلطجة.

أ ـ ترويع الآمنين.

ب – الاعتداء على المرافق العامة.

ج– الظلم وأكل أموال الناس بغير حق.

٥- علاج الإسلام لظاهرة البلطجة والإجرام .

ثانيًا : الأدلـة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة: ٣٣].

٢- وقال تعالى:{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦].

٣- وقال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا

فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [المائدة: ٣٢].

٤- وقال تعالى:{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: ٤٢].

٥- وقال تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٥٨].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) (صحيح مسلم).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ) (متفق عليه).

٣- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) (صحيح مسلم).

٤- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا)

(صحيح البخاري).

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)

(سنن الترمذي).

٦- وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ) (سنن الترمذي).

ثالثًا : المـــوضـــــوع:

مما لا شك فيه أن الأمن والأمان من أهم دعائم المجتمعات ووسائل استقرارها ، وإن شئت فقل إنه أهمها ، فلا استقرار بلا أمن ، ولا اقتصاد بلا أمن ، ولا نهضة ولا رقي ، ولا تقدم ولا ازدهار بلا أمن.

ولقد حرص الإسلام كل الحرص على استقرار حياة الناس والحفاظ على أمنهم، وحرّم كل اعتداء أو ترويع يهدد هذا الاستقرار ، ويضيع هذا الأمن؛ وذلك لأن الأمن من أعظم النعم التي امتن الله بها على عباده ، يقول الحق سبحانه وتعالى مذكرًا بنعمه على أهل مكة: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ

لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[القصص: ٥٧] ، وقال سبحانه: { لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [سورة قريش] ، ففي رحاب هذا الأمن يعبد الناس ربهم ، ويقيمون شريعته ، ويدعون إلى سبيله ، وتزدهر حياة الناس، ويسودها الهدوء ، وترفرف عليها السعادة .

لذلك حرّم الإسلام كلّ سبب يفضي إلى تهديد هذا الأمن ، ومن ذلك ظاهرة البلطجة التي انتشرت في مجتمعنا في الآونة الأخيرة ، والتي أصبحت تشكل خطراً أمنيًّا حقيقيًّا على مستوى الفرد والمجتمع .

والبلطجة : كلمة تعني استخدام العنف والقوة لترويع الناس ، والاعتداء عليهم بالبطش والظلم وأخذ ممتلكاتهم وخطف أطفالهم في بلطجة سافرة نهانا عنها نبينا (صلى الله عليه وسلم)، وحذرنا منها ربنا عز وجل في القرآن الكريم ، وهي بهذا تعد كبيرة من الكبائر ، وإفساداً في الأرض ؛ لأن انتشارها يقضي على الأمن والاستقرار الذي حرصت الشريعة الإسلامية على إرسائه في الأرض ، وجعلته من أهم مقاصدها التي لا تستقيم الحياة إلا بها.

ولقد اتخذت هذه الظاهرة صورًا وأشكالاً متنوعة ، ومن مظاهر ها : القتل والتهديد ، والاعتداء على المنشآت والممتلكات العامة والخاصة ، و قطع الطرق ، مما يؤدي إلى شل حركة الحياة وتعطيل مسيرتها، وذلك تحت أي مبرر من المبررات ، فالبلطجة ليست مقصورة على القتل وفقط،

بل هي مفهوم واسع النطاق، ما بين قتل وتنكيل، ومحاربة لله ورسوله، وظلم الناس وأكل حقوقهم بالباطل ، وما يترتب على ذلك من إرهاب يتمثل في إزهاق أرواح أناس أبرياء ، وسرقة ونهب وتعذيب الآخرين ، ونشر الفزع والخوف في قلوب الناس ، وكل ما يضر بمصالح الوطن مما لا يقره دين ولا خلق ، لأن البلطجي لا ضمير له ، ولا ذِمَّة له ولا عهد ، ولا يخضع لأي قيم إنسانية ، أو وازع ديني أو أخلاقي، وفي ذلك يقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا) (صحيح البخاري).

جدير بالذكر أن هؤلاء الذين يرتكبون مثل هذه الأفعال الإجرامية يعملون على نشر الفوضى والفساد في الأرض ؛ لذا وصفهم الله سبحانه وتعالى بالتعنت والوقوف أمام حرماته ، فأوجب عليهم العقاب في الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦].

ومما لا شك فيه أن هذه الظاهرة لم تأت من فراغ ، بل لها أسبابها التي أدت إليها أو ساعدت عليها، ومن أهم هذه الأسباب:

التربية الأسرية الخاطئة : حيث ينشغل الأبوين بحياتهما عن أبنائهما ، فلا يقومان بمتابعة حياتهم ، ولا بتقويم سلوكياتهم ، بالإضافة إلى سوء المعاملة من بعض الآباء لأبنائهم مما جعل الأبناء عرضة لهذه الظاهرة ، ولو فطن الوالدان إلى حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم):

الذي يرويه الإمام البخاري عن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (رواه البخاري) ما كانت هذه التنشئة الخاطئة التي تسببت في انتشار هذه الظاهرة ، إذ إن النشأة عليها دور كبير وعظيم في تشكيل نفسية الأبناء.

كذلك من أهم هذه الأسباب: ضعف الوازع الديني ، والبعد عن الأخلاق ، فما يحدث حاليًا في مجتمعنا من ترويع وإرهاب و سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت ، يرجع إلى غياب الوازع الديني ، وانعدام السلوك الحضاري وانعدام القيم ، وتدهور الأخلاق ، فكلها بلطجة إجرامية ، وسلوكيات خارجة عن تقاليدنا وعاداتنا ، إنها إفساد في الأرض وإشاعة للرعب والخوف ، والإسلام بريء منها ، وكذلك كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منها، فالدين قوام الحياة الطبيعية وعمادها ، والحياة بلا وازع ديني حياة بلا قيم ، بلا أخلاق ، لأن أساس هذا الدين العظيم هو مكارم الأخلاق ومحاسنها، فقد روى البيهقي في سننه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ).

وتتمثل خطورة البلطجة في مخاطر كثيرة ، من أهمها:

ترويع الآمنين: فلقد جاءت شريعة الإسلام لتكفل للإنسان حقه في عيش آمن ونفس مطمئنة ، فنهت عن مجرد ترويع الآمنين، حتى ولو كان على سبيل المزاح، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) (متفق عليه).

فديننا الحنيف حذّر من ترويع الآمنين وتخويفهم ، وحرّم التعدي عليهم ، لأنه إجرام تأْباه الشريعة والفطرة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) (صحيح مسلم). وأخرج البزار والطبراني عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنّ النّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (لَا تُرَوِّعُوا الْمُسْلِمَ؛ فَإِنّ رَوْعَةَ الْمُسْلِمِ ظُلْمٌ عَظِيمٌ).

بين الحرابة والبلطجة: لقد شرع الإسلام من الأحكام ما يحافظ على النفس والمال والعرض ، فنهى عن الاعتداء على الإنسان أيا كان جنسه أو لونه أو معتقده ، أو التعرض له بالإيذاء والضرر في نفسه وماله وعرضه، واعتبر التعدي عليه أو إيذاءه فسادا في الأرض ، ولذا عرف حد الحرابة بالبلطجة كما نسميها اليوم.

ومفهوم المحاربة والسعي في الأرض فسادا يصدق على كل من وقع منه التعدي على دماء العباد وأموالهم في كل قليل وكثير وجليل وحقير ، وحكم الله في ذلك هو ما ورد في هذه الآية ، من القتل أو الصلب أو

قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي من الأرض ، لكل من خرج على الناس بسلاحه ، يقتلهم ، أو يقطع طريقهم ، أو يغتصب أموالهم ، أو يحارب جنودهم ، أو يهين سلطانهم ، أو يعتدي على أعراضهم.

ومن ثمَّ شرع القصاص لحفظ النفس ، وحد السرقة لحفظ المال ، وحد الزنا وحد القذف لحفظ العرض ، وحد الحرابة للمفسدين في الأرض .

فإذا زاد الترويع والاعتداء إلى حد الاستيلاء على الممتلكات بالقوة دخل ذلك في باب (الحرابة) ، وهي كبيرة من كبائر الذنوب ؛ غلظ القرآن الكريم عقوبتها أشد التغليظ، وسَمّى مرتكبيها (محاربين لله ورسوله، وساعين في الأرض بالفساد)، فقال سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[المائدة: ٣٣]، بل نفى النبي (صلى الله عليه وسلم) انتسابَهم إلى الإسلام ، فقال في الحديث المتفق عليه: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا).ومن فداحة هذه الجناية أن الحدّ فيها لا يقبل الإسقاط ولا العفو باتفاق الفقهاء؛ لأنها انتهاك لحق المجتمع بأسره، فلا يملك المجني عليه العفو فيها.

كذلك من مخاطر البلطجة : ظلم الناس وأكل أموالهم بغير حق ، فإن من يستولى على ممتلكات غيره بالقوة – فضلًا عن الاعتداء على النفس أو العرض – فإن ذلك يعد ظلماً وأكلاً للأموال بغير حق ، هذا السلوك (سلوك البلطجة)

يتنافى تمامًا مع الإسلام ، وينذر بعواقب وخيمة من خلال آيات القرآن الكريم ، فقال سبحانه :{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: ٤٢].

ويحذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من الظلم فيقول: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) (صحيح مسلم) ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) يحذر مَن يسلك سلوك هذه البلطجة وهذا الاعتداء بأنه سيكون من المفلسين يوم القيامة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَن الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) (سنن الترمذي). فمن يرضى لنفسه هذا المصير؟.

ونحن هنا نحذر كل ظالم وبلطجي : احذر فهذه الأموال التي تتقاضاها وتستولي عليها بالظلم والاعتداء على الآمنين لن تحقق لك الغنى الذي تريده ، بل ستكون مفلسًا أمام الله يوم القيامة.

بل هناك ما هو أكثر من هذا؛ فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل للإسلام مواصفات يجب أن يلتزم بها المسلم ، فيقول في الحديث المتفق عليه: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ). وهؤلاء قد فرطوا في حقِّ إسلامهم.

ولعلاج هذه الظاهرة يجب الآتي:

أولاً : الاهتمام بالقيم الإيمانية والأخلاقية ، وزرعها داخل النفوس من خلال التربية الإسلامية الصحيحة ، وصدق الله حيث قال:{ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى }

[طه: ١٢٣،١٢٤].

ثانياً: التنشئة الأسرية السليمة، القائمة على كتاب الله – تعالى– وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وتربية النفس على دوام المراقبة لله تعالى ، فإذا راقب الإنسان ربه في كل تصرفاته، فإنه سيستحي أن يظلم نفسه، فما بالك بظلم الناس ! وقد حثنا الله على مراقبته في كل أحوالنا، فقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [آل عمران: ٥] ، فبدوام المراقبة لله نستطيع أن نتغلب على كل مشاكلنا، ونصل إلى حلها بإذن الله.

ثالثاً: استخدام العقاب الرادع لحفظ المال والعرض والدين ردعاً للجريمة وترهيباً من مغبتها؛ فقسوة العقوبة هدفها منع الجريمة ، ومن ثمَّ أوجبت الشريعة الإسلامية على الأفراد والمجتمعات أن يقفوا بحزم

وحسم أمام هذه الممارسات الغاشمة ، وأن يواجهوها بكل ما أوتوا من قوة حتى لا تتحول إلى ظاهرة تستوجب العقوبة العامة، وتمنع استجابة الدعاء ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ) (أخرجه أبو داود والترمذي وصححه)، وروى الترمذي وحسنه من حديث حذيفة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا إلى كل خير ، وأن يجنبنا كل مكروه وسوء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

*   *   *

الإسلام دين البناء والتعمير

أولا: العناصر:

١- عمارة الأرض مطلب شرعي.

٢- دعوة الإسلام للبناء والتعمير.

٣- إتقان العمل سبيل نهضة الأمم والشعوب.

٤- نبذ الإسلام لكل مظاهر الكسل.

٥- التحذير من التخريب والإفساد في الأرض.

ثانيا: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى:{هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}(هود: ٦١) .

٢- وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك :١٥] .

٣- وقال تعالى:{ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [المزمل:٢٠].

٤- وقال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة:١٠٥].

٥- وقال تعالى:{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦] .

٦- وقال تعالى:{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة:٣٣].

الأدلة من السنة:

١- عن المقدام (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) [رواه البخاري] .

٢- وعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من أمسى كالاًّ من عمل يديه أمسى مغفورًا له) (المعجم الأوسط).

٣- وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ) [رواه البخاري] .

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) [صحيح البخاري].

٥- وعن أنس بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَليغرسها) (رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد).

٦- وعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ!! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَفِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) (رواه الطبراني).

٧- وعَنْ أنس بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: كان رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ)

(رواه مسلم) .

ثالثا: الموضوع:

لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه وفضله على سائر خلقه ، وسخر له كل ما في الكون ، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}[الإسراء:٧٠]، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا}[البقرة: ٢٩] ، واقتضى هذا التكريم والإنعام استخلافه في الأرض ، قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٣٠] ، ثم حدد ربنا للإنسان مهمة عظيمة بجانب مهمة العبادة وهي مهمة إعمار هذا الكون ، واستخراج كنوزه وخاماته ، قال تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا }[هود:٦١]، أي : طلب منكم عمارتها وإصلاحها ، والنظر فيما أودع فيها من خيرات وما قدر فيها من أقوات .

ولقد أمر الله عز وجل الإنسان بالسعي والأخذ بالأسباب ، وعدم الركون إلى الخمول والكسل لتحقيق هذه الغاية ، فقال سبحانه وتعالى :{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥].

ولا يتوقف السعي والعمل على وقت معين ، بل لا بد وأن يسعى الإنسان حتى آخر نفس في حياته ، وإلى ذلك أشار الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي رواه أنس بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإِنْ استَطاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَلَيَغِرسْهَا) (رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد). فالإسلام دين يُقَدِّس البناء والتعمير ويدعو إليهما ،حتى وهو في وقت الشدة ، لأنهما عصب الحياة ومن أهم سبل تقدم الأمم والمجتمعات.

ولقد اهتم الإسلام بتعليم وتعلم كل ما يتم به عمارة الكون وبناؤه ، فحث الإسلام أتباعه على الضرب في الأرض والسعي في مناكبها ، والتنقيب عن موارد الرزق في البر والبحر ، مع الحث الواضح على

العمل ، ففي الحديث عَنِ المقدام (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنّ نَبِيّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (رواه البخاري) ، فالإسلام هو دعوة صريحة للعمل الذي يتحقق به التعمير والبناء فيعود بالخير على الدنيا كلها.

هذا : ولقد نظر الإسلام إلى العمل الجاد نظرة توقير وتمجيد ، فرفع قدر العمل وقيمته وجعله سبيلاً للرقي والتقدم ، وجعله عبادةً يثاب عليها فاعلها ، فقد حث القرآن الكريم من خلال آياته على السعي على المعاش والعمل ، وجاء الأمرُ بالانتشار في الأرض طلبًا للرزق الحلال بعد الأمر بالصلاة ، يقول تعالى:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الجمعة :١٠]، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: اللَّهُمّ إِنّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ.

ولأهمية العمل من أجل البناء والتعمير وردت في القرآن الكريم نصوص كثيرة تحدثت عن العمل ، وكذلك السنة النبوية المطهرة زاخرةٌ أيضا بنصوص تحث على الجدّ والاجتهاد والحثّ على العمل والبناء ، وترك الخمول والكسل، وتبين أن العمل سبيل لحفظ ماء الوجه والرفعة والعزة والكرامة الإنسانية ، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى

ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ) (رواه البخاري)، وكان سفيانُ الثوريّ (رحمه الله) يمُرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله ، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

ولقد بين الإسلام الحنيف أن من يسعى على كسب معاشه ورزق أولاده من حلال فهو في درجة الشهيد أو المرابط في سبيل الله ، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ !! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَفِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) (رواه الطبراني).

ولم يكتف الإسلام بمجرد دعوة أصحابه إلى العمل كسبيل للبناء وإعمار الكون فحسب ، بل دعاهم – أيضًا– لإتقان العمل وإحسانه ، رجاء محبة الله تعالى ورحمته ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنّ اللهَ (عز وجل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (رواه الطبراني).

إن إتقان العمل والاهتمام به والمحافظة عليه من أهم القيم والمبادئ التي دعا إليها الإسلام، وهو هدف من أهداف الدين ، يسمو به المسلم ويرقى به إلى مرضاة الله تعالى والإخلاص له، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يكون إلا بإتقانه، فلقد خلق الله عز وجل كل شيء بإتقان مُعجز ، يقول تعالى:{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}[النمل: ٨٨]، وحثه على الإحسان والإجادة ، ونهاه عن الإفساد ، فقال تعالى: {...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[البقرة: ١٩٥]، وقال:{وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٧].

ولقد دعا القرآن الكريم في كثير من آياته إلى إتقان العمل والإخلاص في أدائه طلبًا لمرضاة الله تعالى ، ونصحًا لعباده ، وخدمة وتعاونًا بين أفراد المجتمع ، ووعد على ذلك الثوابَ العظيمَ والثناء الحسن في الدنيا والآخرة ، وبيَّن أن الإنسان وهو يزاول عملًا ما يكون تحت رقابة الله ، العليم بمكنونات الصدور وخفايا القلوب ، وأنه لا يغيب عنه مثاقيل الذر من أعمال العباد ، فهو سبحانه يسطرها لهم ويسجلها عليهم ويجازيهم بها يوم يلقونه، قال تعالى:{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[يونس:٦١]، فالله عز وجل هو الذي يرى

الإنسان ويراقبه في عمله ، يراه في مصنعه وفي مزرعته وفي متجره وفي أي مجال من مجالات سعيه وعمله ، يقول تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[التوبة: ١٠٥]. فالأمر هنا كما قال المفسرون: فيه تخويف وتهديد : أي إن عملكم لا يخفى على الله ، ولا على رسوله ، ولا على المؤمنين ، فسارعوا إلى أعمال الخير ، وأخلصوا أعمالكم لله عزّ وجلّ ، وفيه أيضاً ترغيب وتنشيط ، فإن من علم أن عمله لا يخفى سواء أكان خيرًا أم شرًّا رغب إلى أعمال الخير ، وتجنب أعمال الشرّ ، وما أحسن قول زهير :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ** وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وكذلك جاءت السنة النبوية المطهرة بالدعوة إلى إتقان العمل والبناء من أجل الوصول إلى الأفضل والأحسن والأتقن ، ففي الجانب التعبدي كالصلاة التي هي صلة بين العبد وربه ، يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، وفي قراءة القرآن : يقرؤه الماهر به الذي بشره الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بأنه مع السفرة الكرام البررة ، ويأمر من يلي أمر الميت بقوله: (إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ) (رواه مسلم). وعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ الْجَرْمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي كُلَيْبٍ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةً شَهِدَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ ، فَانْتَهَى بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُمْكِن لَهَا ، قَالَ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (سَوُّوا لَحْدَ هَذَا) حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ) [رواه البيهقي].

فكل عمل يعمله الإنسان لابد وأن يكون حسنًا متقنًا ، وأن يراعي الله تعالى فيه ، فهو سبحانه وتعالى وحده المطلع على قلوب العباد ويحصي عليهم أعمالهم عظمت أم صغرت ، كثرت أم قلت. أما الذي لا يتقن عمله ولا يراقب الله تعالى فيه فإنه آثم بقدر ما يتسبب فيه من ضياع الأموال وإهدار الطاقات ، فهذا الموظف الذي يقصر ويهمل ولا يتقن عمله ويرضى لنفسه أن يتقاضى أجرًا حرامًا يخاصمه فيه الشعب كله يوم القيامة ، ومن كانت هذه صفاتهم فإنهم يتحملون وزر تأخر الأمة وتخلف البلاد ، نشكوهم إلى الله تعالى ، يقول عمر (رضي الله عنه): (إلى الله أشكو ضَعْفَ الأمين وخيانة القوى)(مجمع الأمثال للميداني).

ولقد حارب الإسلام كل مظاهر اليأس والكسل التي لا تساعد على البناء والتعمير ، واعتبر الكسل صفة ذميمة ، فقد ذمّ الله عزّ وجلّ الكسالى في كتابه المجيد وبين أنه من صفات المنافقين فقال :{وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى}[التوبة: ٥٤] ، فالكسل سلبية خطيرة وآفة مهلكة تفسد الأمم والشعوب وتؤدي إلى تخلفها عن ركب الحضارات المتقدمة ، وهو داء وبيل إذا تمكن من الإنسان كاد أن يفقده إنسانيته ، قال الإمام الراغب: (من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية ، بل من الحيوانية، وصار

من جنس الموتى) (الذريعة إلى مكارم الشريعة) ؛ لذلك استعاذ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من الكسل والتراخي ، فعن أنس بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: كان رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ) [رواه مسلم] ، وقد قرن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في استعاذته بين الكسل والعجز لأنهما قرينان فكل منهما يؤدي إلى التثاقل عن إنجاز المهمات المطلوبة من الشخص إنجازها.

فالكسل آفة قلبية وعائق نفسي يوهن الهمة ، ويضعف الإرادة ، ويقود إلى الفتور ، وهو جرثومة قاتلة ، وداء مهلك ، يعوق نهضة الأمم والشعوب ، ويمنع الأفراد من العمل الجاد والسعي النافع. وإنما عاب الإسلام الكسل وحذر منه ؛ لأن فيه تغافلا عما لا ينبغي التغافل عنه ، ولأنه يجر إلى الفتور في الأفعال مع الشعور بالسآمة أو الكراهية والعياذ بالله ، ويجعل الإنسان يكره الخير لضعف همته وقلة عزيمته ، ويجعله يفرط في الواجبات ، وهو آفة النجاح ، يفتك بكل من يصيبه ، فيجعل صاحبه إنسانًا متواكلاً عالةً على الناس عاجزًا عن تحمل مسؤولياته كإنسان ، فيمتد خطره إلى أفراد المجتمع، يقول الإمام علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): التواني مفتاح البؤس ، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة، ونتجت الهلكة ، ومن لم يطلب لم يجد وأفضى إلى الفساد) ، فالتكاسل ليس من هدي الإسلام ولا قيمه لأن

الإسلام يسعى للخير وعمارة الكون ، أما الكسالى فإنهم لا يبنون حضارة ، بل يساعدون على هدم كل الحضارات.

ومن الأمور التي حاربها الإسلام لأنها لا تؤدي إلى البناء وإعمار الكون الإفساد في الأرض والسعي في خرابها ، فالفساد في الأرض هو خلق اللئام من البشر ، لا يتخلق به إلا المنافقون الذين قال الله فيهم: {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[المائدة: ٦٤]، ويقول سبحانه: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة:٦٠].

وللفساد صور متعددة ، أخطرها ما كان باسم الدين ، فقد ابتليت الأمة بأناس يفسدون في الأرض باسم الدين والدين منهم براء ، فيقتلون ويستبيحون الأعراض والأموال باسم الدين ، وهؤلاء ذمهم الله (عز وجل) في كتابه ، فقال تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}

[البقرة: ٢٠٤: ٢٠٦] .

إن الفسادَ بكل صوره وأنواعه يُزعزِعُ قيم البناء والتنمية ، وينشُر السلبيَّة وعدمَ الشعور بالمسؤولية، ولابد من التصدي للفساد والمفسدين ، فالتصدي له فيه نجاة للمجتمع كله ، وإهماله وعدم التصدي له فيه الهلكة للمجتمع كله ، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان يقول: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ

وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (رواه البخاري)، فلابد من التآزر والتعاون والتناصر والتضامن بين المسلمين وتحقيق الإيمان والأخوة الإسلامية.

إن تطهير الأرض من المفسدين ، وتأمين الطرق والمنشآت وحمايتها من أعظم أعمال الخير وأجل أنواع البر ، فالله (عز وجل) يدفع بالمصلحين فساد المفسدين ، قال تعالى: { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ}[هود: ١١٦]. فإن المفسد مِعول هدم للمجتمع، ولا نجاة للعباد إلا بمنعه من الفساد.

والأمة الإسلامية – بفضل الله تعالى– تملك الكثير من خيرات الله ، ففيها الأرض الخصبة وفيها البحار والبحيرات والأنهار العظام ، وفيها معظم المعادن التي يحتاجها العالم المعاصر ، وتملك أكبر مخزون في العالم من النفط ، إضافة إلى ما تملك من ثروات هائلة من العقول المفكرة والأيدي العاملة ؛ لذلك وجب عليها أن تستثمر ممتلكاتها وثرواتها أحسن استثمار ، وأن تستثمر أوقاتها في الخير ومنفعة الناس ، وفي سبيل النهوض الحضاري والتقدم العلمي.

فأمتنا أمة عمل لا أمة كسل ، أمة بناء لا أمة هدم أو تخريب ، أمة حضارة ، ولم يكن التخلف أبدًا سمة من سماتها ، فحري بكل مسلم يحب دينه ويعتز به أن يعمل من أجل رفعة دينه وعزة وطنه.

* * *

مكارم الأخلاق في الرسالة المحمدية

أولا: العناصر:

١. الإسلام دين مكارم الأخلاق.

٢. انهيار الأخلاق انهيار للأمم.

٣. الأخلاق ثمرة العبادات الصحيحة.

٤. كيف نسمو بأخلاقنا؟.

ثانيا: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١. قال الله تعالى : {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}[القلم: ٤] .

٢. وقال تعالى :{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}

[الأعراف: ١٩٩].

٣. وقال تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}. [فصلت : ٣٣ – ٣٥].

٤. وقال تعالى :{وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً} [الفرقان : ٦٣].

٥. وقال تعالى :{يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا

تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }

[لقمان: ١٧– ١٩].

٦. وقال تعالى : {اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ * وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهُنا وَإِلهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت : ٤٥ – ٤٦].

٧. وقال تعالى :{ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ} [البقرة: ١٩٧].

٨. وقال تعالى : { وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كانَ ذا مالٍ وَبَنِينَ * إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ }

[القلم : ١٠ – ١٦].

الأدلة من السنة :

١. عَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَان الْأَنْصَارِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ قال: سَأَلتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فقَالَ: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)

(صحيح مسلم).

٢. وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ) [سنن الترمذي].

٣. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) [رواه أحمد].

٤. وعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) [رواه الترمذي].

٥. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا ، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ) [رواه أحمد].

٦. وعَنْ سَعْد بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ – يَعْنِي عَائِشَةَ – حَدِّثِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ : (أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟) قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: (فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ الْقُرْآنَ) [رواه مسلم].

٧. وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْها) قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ) [رواه أبو داود].

٨. وعَنْ جَابِرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ

أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: (المُتَكَبِّرُونَ) [رواه الترمذي].

ثالثا: الموضوع:

لا شك أن وجوه العظمة في الدين الإسلامي متعددة ، ومن عظمته أنه دين شريعة وأخلاق ، يجمع بين القيم والمثل الإنسانية الرائعة ، التي تجسد الصورة المثلى للأخلاق الفاضلة، وتتجلى عظمة هذا الدين في شموليته لجميع جوانب الحياة ، فلم يترك فضيلة من الفضائل إلا دعا إليها وحث على التمسك بها ، ولم يدع في نفس الوقت أي رذيلة من الرذائل إلا نبه عليها وأمر بالابتعاد عنها .

ومن الفضائل التي دعا إليها ورغَّب فيها وحث على التخلق بها : التحلي بمكارم الأخلاق، كالصبر والحلم والرفق، والصدق والأمانة ، والرحمة والوفاء ، والكرم والحياء والتواضع، والشجاعة والعدل والإحسان ، وقضاء الحوائج ، وغض البصر وكف الأذى ، وطلاقة الوجه وطيب الكلام ، وحسن الظَّن ، وتوقير الكبير ، والإصلاح بين النَّاس ، والإيثار ، ومُراعاة مشاعر الآخرين ، وغيرها من مكارم الأخلاق. ولعل هذا ما يشير إليه قوله (عز وجل): {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٩] .

وقد وردت بذلك نصوص الكتاب والسنة ، ومن ذلك قوله سبحانه – آمرًا رسوله (صلى الله عليه وسلم)–:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ}[الأعراف: ١٩٩]. وقوله تعالى:{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}[البقرة : ٨٣] ، وقوله تعالى:{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاس وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء : ١١٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرة. ومن تأمل آيات القرآن ، ودقق النظر فيها، ظهر له آيات كثيرة تدعو إلى مكارم الأخلاق ، ووجوب التحلِّي بها ، وما ذلك إلا لكون الأخلاق ميزان شرعي يهذِّب الإنسان ، ويرقى به إلى مدارج الكمال.

كما أكدت نصوص السنة النبوية المطهرة على أهمية الأخلاق في حياة الإنسان ، مبينة الأجرَ العظيم لمن تخلق بالأخلاق الفاضلة ، ومن ذلك قوله (صلَّى الله عليه وسلَّم) : (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) (رواه الإمام مسلم). والبرّ : اسم جامع لأنواع الخير . وقوله (صلَّى الله عليه وسلَّم): (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)، وفي رواية : (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ)

(رواه الترمذي في سننه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ).

ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يحثُّ على مكارم الأخلاق ويرغب فيها ، فمرة يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ) (مسند أحمد). وسئل (صلى الله عليه وسلم): أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) (سنن ابن ماجه) ، ولما سُئِلَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عَنْ أَكْثَرِ مَا يدخل الناس الجنة ، قَالَ : (تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ) (سنن الترمذي)، ثم

جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) مكارم الأخلاق من أسباب محبته ، فقال: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا) [سنن الترمذي].

وللأخلاق في الإسلام مكانة خاصة ومنزلة عالية ، فهي لبُّ الدين وجوهره ، فقد سئل (صلى الله عليه وسلم) ما الدين ؟ قال: (حسن الخلق) (رواه مسلم). بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أولاها عناية فائقة ، حيث أعلن (صلى الله عليه وسلم) أن الغاية الأولى من بعثته ورسالته إنما هي إتمام مكارم الأخلاق ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ) (الأدب المفرد للبخاري) ، وحتى قبل الرسالة كان الناسُ يُسمُّونَه بالصادق الأمين ، إنها الأخلاق الإسلامية الكريمة المقرونة بالإيمان الصادق ، فكان (صلى الله عليه وسلم) مثلاً أعلى في حسن الخلق ، لذا وصفه ربه بقوله :{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم:٤]. إنها لشهادةٌ عظيمةٌ من العليّ العظيم ، لنبيّه الكريم ، بعظمةِ أخلاقه وحسن خلقه ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) أجمع الخَلْق خُلُقا ؛ لأنه كان أجمعهم للقرآن الكريم، يمتثلُ أوامرَه ، ويجتنبُ نواهيه ، فاجتمعت فيه الفضائلُ كلُّها ، وهذا ما أكدته أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ (رضي الله عنها) حين سئلت عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ).

كان (صلى الله عليه وسلم) نموذجًا عمليًّا في امتثال الأخلاق القرآنية ، فقد كان أحسن الناس خلقاً ، وأكثرهم محبة ، ورأفة ورحمة ، وحلمًا

وعفوًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأوفاهم عهدًا وذمة ، وأكرمهم عشرة ، كان مضربَ المثل في تواضعه مع أنه سيد البشر ، من رآه هابه ، ومن خالطه أحبه ، وصفته أمُ المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) فقالت : (إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق) ، ووصفه ربه – تعالى – بقوله: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }[آل عمران : ١٥٩]، بمثل هذه الأخلاق استطاع (صلى الله عليه وسلم) أن يملك القلوب والعقول.

ولقد ربَّى النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه على مكارم الأخلاق ، وأمرهم أن يتزينوا بها ويتمسكوا بأحسنها ، حين قال لأبي ذر (رضي الله عنه): (اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) ، فتعلموا الرفق والعفو والإحسان ، وتخلصوا من العصبية والغضب بالحلم والصفح ، وضربوا أروع الأمثلة في جمالِ الخلق وحسن المعاملة والعطاء أفرادًا وجماعاتٍ ، فلما هاجر الرسول من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وآخى بين المهاجرين والأنصار كان الأنصاري يشاطر أخاه المهاجر بنصف ماله ، فالأخلاق الإنسانية تقوم على مبدأ العطاء ، وقد أطلعنا القرآن الكريم على نماذج رائعة ليست مقصورة على أفراد معينة ، بل أصبحت صفة للمسلمين عامة ، قال تعالى:{ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩].

لذلك كانوا بهذه الأخلاق سادةَ الأمم ، ومحطَّ الأنظار ، وموضعَ القدوة حين كانوا متمسكين بأخلاقِهم السامية ، كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا لما يرون من حسن المعاملة ، وجميل الأخلاق ، وحين بدأ الانحراف عن هذا المنهج القويم وساءت أخلاق الناس ؛ فُقدت القدوة وضاعت القيم ، وتبدلت المفاهيم ، وصدق الإمام مالك (رحمه الله) حين قال : (ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).

فالأخلاق الفاضلة هي التي تعصم المجتمعات من الانحلال، وتصونها من الفوضى والضياع، فسلامة الأمة وقوة بنيانها، وسمو مكانتها وعزة أبنائها، بتمسكها بالأخلاق الفاضلة ، كما أن شيوع الانحلال والرذيلة نتيجة لنبذ الأخلاق والأفعال الحميدة.

صَلاحُ أَمـرِكَ لِلأَخـلاقِ مَرجِعُهُ ... فَقَـوِّمِ النَفسَ بِالأَخلاقِ تَستَقِمِ
وَالنَفسُ مِن خَيرِها في خَيرِ عافِيَةٍ ... وَالنَفسُ مِن شَرِّها في مَرتَعٍ وَخِمِ

لذا كان التحذير من انهيار الأخلاق وترديها ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا) (المستدرك للحاكم) ، والسَّفْسَافُ : الْأَمْرُ الْحَقِيرُ ، وَالرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ضِدُّ الْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ.

فبالأخلاق تحيا الأمم وتبقى آثارها خالدة ، وبزوالها وانهيارها تنهار الأمم وتسقط ، فكم من حضارات انهارت ، لا بسبب اقتصادها ، أو قوتها العسكرية – فحسب

وإنما بتردي أخلاقها ، ويقول الشاعر:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ   فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

وإذا تأملنا العبادات في القرآن والسنة وجدنا أن من أهم مقاصدها : تهذيب سلوك المسلم وتزكية أخلاقه ، فما من عبادة شرعها الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج إلا ولها أثر يظهر على سلوك الفرد في السمو الأخلاقي ، بل يتعدى هذا الأثر من الفرد إلى المجتمع ، فإن الإسلام ليس طقوسًا جوفاء تؤدى في المسجد ولا علاقة لها بالواقع ، فيخرج المصلي بعدها ليغش ويحتكر ، ويؤذي جاره ، وإنما العبادات شرعت في جميع الأديان لترتقي بالإنسان ، وتسمو بأخلاقه ، ففريضة الصلاة أبان الله – تعالى – الحكمة من إقامتها ، فقال تعالى:{اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُون}[العنكبوت : ٤٥]. فالإبعاد عن الرذائل ، والتطهر من سوء القول والعمل ، هو حقيقة الصلاة ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم): (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي ، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي ، وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي ، وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي ، وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ، وَابن السَّبِيلِ وَالأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ) (رواه البزار) ، وعن ابن مسعود (رضي الله عنه): (من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد من الله إلا بعداً) (رواه الطبراني بإسناد صحيح). فالذي لا تأمره صلاته بالبعد عن الرذائل من القول والعمل، فإن صلاته لم تُحقق مقصداً من أهم مقاصدها.

وكذلك الزكاة ، والصيام ، والحج ، وسائر العبادات ، شرعت كلها لتزكية النفس ، والارتقاء بها إلى مكارم الأخلاق ، فقال تعالى عن الزكاة :{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[التوبة :١٠٣]. ومن أجل ذلك وسَّع النبي (صلى الله عليه وسلم) في دلالة كلمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم) : (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ تُكْتَبُ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الشَّوْكَةَ وَالْحَجَرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ، وَإِرْشَادُكَ الضَّالَّ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) [رواه البزار].

وفريضة الصوم عبادة من العبادات التي فرضها الله على عباده من أجل تحقيق التقوى ، فالثمرة والغاية التي يريدها ربنا سبحانه من الصيام هي تقوى الله (عز وجل) ، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة : ١٨٣]. فمن خلال الصيام تتقوى إرادة المسلم، ويتعود على ضبط أخلاقه وشهواته. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ) (رواه البخاري) .أي ينبغي أن يعصمه صومه عن الأخلاق السيئة وعن الرذائل ، فالصوم لابد وأن يترك أثرا في سلوك المسلم وتهذيب أخلاقه.

وقال تعالى عن فريضة الحج :{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ } [البقرة : ١٩٧]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ ، فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [رواه مسلم].

فالعبادة لابد وأن تترك أثرًا إيجابيًّا يعود على الفرد والمجتمع ، فإذا لم تؤثر هذه العبادة في خلق الإنسان وتهذيب سلوكه فلا قيمة لها ولا ثمرة لها في الآخرة ، لأن سوء الخلق يأكل تلك العبادات وتلك الحسنات كما تأكل النار الحطب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) [رواه الترمذي]، ولما سئل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ) ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي الْجَنَّةِ) [رواه أحمد].

إن مكارم الأخلاق تشمل كافة المخلوقات ، فلا فرق بين مسلم وغيره ، إنما الجميع أخوة في الإنسانية ، فالحق سبحانه وتعالى يقول: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[الإسراء:٧٠]، ولما قام النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لجنازة مَرَّتْ بِهِ ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ ، قَالَ: (أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟) رواه البخاري. وقال تعالى : {وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهُنا وَإِلهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[العنكبوت: ٤٦]. وعَنْ مُجَاهِدٍ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)

(رواه الترمذي).

ولم تقتصر مكارم الأخلاق على البشر فحسب ، بل إن دائرة الأخلاق تشمل الحيوان أيضا، فإن الله أدخل رجلا الجنة بسبب كلب سقاه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ) (رواه البخاري) ، وفي المقابل أدخل الله امرأة النار بسبب هرة ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي

هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ) قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ: (لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا ، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا ، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ) [رواه البخاري].

إذا أردنا أن نرتقي بأخلاقنا ومجتمعنا فلا بد من الاقتداء بالقدوة الحسنة ، فالقدوة عامل أساسيّ في تكوين الأخلاق ، قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }[الأحزاب :٢١]، فالوالد قدوة لولده ، ولقد أخبرنا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن المولود يولد على الفطرة النقية ، فطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم تأتي القدوة فتغير فيه إلى الأحسن ، أو إلى الأسوأ ، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ...) ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ} [الروم:٣٠] [رواه البخاري].

وكذلك المعلم قدوة لتلاميذه بصلاحه وأخلاقه ، يتخلق الطلاب بخلقه ويقتدون به ، فقد دخلَ الشَّافِعِيُّ يَوْمًا إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَمَعَهُ سِرَاجٌ الْخَادِمُ ، فَأَقْعَدَهُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ مُؤَدِّبِ أَوْلادِ الرَّشِيدِ ، فَقَالَ سِرَاجٌ لِلشَّافِعِيِّ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! هَؤُلاءِ أَوْلادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ مُؤَدِّبُهُمْ ، فَلَوْ أَوْصَيْتَهُ بِهِمْ ، فَأَقْبَلَ الشَّافِعِيُّ عَلَى أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ ، فَقَالَ لَهُ : لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَبْدَأُ بِهِ مِنْ إِصْلاحِ أَوْلادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِصْلاحُ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ

أَعْيُنَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا تَسْتَحْسِنُهُ ، وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَرَكْتَهُ...) [حلية الأولياء لأبي نعيم].

جدير بالذكر أن مكارم الأخلاق ليست قاصرة على الفرد فقط ، فهناك الأخلاق الفردية التي يلتزم بها الفرد من الأوامر والنواهي ...إلخ ، والأخلاق الأسرية بين الزوجين ، وبين الأبناء والآباء ، والأقارب والأرحام ...إلخ ، والأخلاق الاجتماعية داخل المجتمع في البيع والشراء والجوار والزمالة والعمل ...إلخ ، والأخلاق الدولية بين الدول وبعضها ، وأخلاق الحرب والسلم.

ومن الأمور التي تساعد العبد على حسن الخلق : الإخلاص لله تعالى ، ثم الدعاء بحسن الخلق ، ثم مجاهدة النفس وشهواتها ، ثم محاسبة النفس دائما ، مع النظر إلى مآلات سوء الخلق وما يجره على الفرد والمجتمع من مفاسد.



الحياء خير كله

أولا: **العناصر**:

١. الحياء ومنزلته في الإسلام .
٢. مظاهر الحياء وأقسامه.
٣. فضائل الحياء وثمراته.
٤. أثر ضعف الحياء في سلوكيات الناس.
٥. أثر الحياء في الحفاظ على الأعراض.
٦. أثر الحياء على الفرد والمجتمع.

ثانيًا: **الأدلة**:

الأدلة من القرآن الكريم:

١. يقول الله تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢٥].

٢. ويقول تعالى : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: ٣٠، ٣١].

٣. ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا }

[الأحزاب: ٥٣].

٤. ويقول تعالى: { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق:١٤].

٥. ويقول تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

[النور: ١٩].

الأدلة من السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ– شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)

(رواه مسلم).

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ لِلأَشَجِّ الْعَصرِيِّ: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْم ، وَالْحَيَاء)

(سنن ابن ماجة).

٣- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ) (سنن ابن ماجة).

٤- وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قال : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :(إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأولى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) (صحيح البخاري).

٥- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ :(كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ) (متفق عليه).

٦- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ)

(سنن الترمذي).

٧- وعن عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ (رضي الله عنه) عَنِ النبي (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: (الْحَيَاءُ لاَ يأتي إِلاَّ بِخَيْرٍ ، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ : إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً). فَقَالَ عِمْرَانُ : (أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وتحدثني عَنْ صُحُفِكَ)

(متفق عليه).

٨- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ) (سنن الترمذي).

٩- وعن سلمان (رضي الله عنه) قال: قال رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلم): (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ يَدَيهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا)

(سنن أبي داود).

١٠- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: (لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) (سنن الترمذي).

ثالثًا: الموضوع:

إن للأخلاق منزلة عظيمة في الدين ، عني الإسلام بها عناية جليلة وفريدة ، لما لها من صلة وثيقة وقوية بعقيدة الأمة ومبادئها ، فكمال الأمة بكمال أخلاقها، وصلاح الأمة بصلاح آدابها وأخلاقها، وصدق الشاعر حيث قال :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإن من أفضل مكارم الأخلاق وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا خُلُقُ الحياء ، فبه يتم الدين ، وبه يكتمل الإيمان ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (الحياء شعبة من الإيمان ، ولا إيمان لمن لا حياء له) (الترغيب والترهيب). فإذا تخلق الإنسان بخلق الحياء ، كان ذلك دليلاً على حسن أدبه وسلوكه وصلاح ظاهره، ونقاء سريرته ، وكمال إيمانه.

والحياء معيار الأخلاق الحسنة وعلامتها ؛ بل هو رأس مكارم الأخلاق، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا ، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ) (سنن ابن ماجة). وعن أم

المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : (رأس مكارم الأخلاق الحياء) (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا).

هذا الخلق النبيل والسلوك القويم هو رمز العفة والطهارة الذي تحلّى به النبي (صلى الله عليه وسلم) ولقد وصف بقدر من الحياء لم يوصف به غيره ، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) : كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ) (متفق عليه). فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) حييًّا أعظم ما يكون الحياء ، لا يجابه أحدًا بما يكره ، وكان في هذا كما هو شأنه في كل شيء مضرب الأمثال ، وأسوة الأسوة ، مما جعله دائمًا مركز إشعاع وموئل هداية لا ينتهي عطاؤها، قال سبحانه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ...}

[الأحزاب : ٥٣].

إنه خلق يحبه الله (عز وجل) ويرضاه لعباده الصالحين، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ لِلأَشَجِّ الْعَصَرِيِّ : (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمَ، وَالْحَيَاءَ)، بل إن الحياء يرتبط بالإيمان، فإذا غاب الحياء غاب الإيمان ، ففي الحديث عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ)

(المستدرك على الصحيحين للحاكم). فبينهما تفاعل مستمر وعطاء دائم ، يجتمعان ولا يفترقان ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر.

وإذا كان لكل دين علامة تميزه فإن الحياء خلق الإسلام وأداة تميزه ، بل يمثل منه الركن الركين ، لأن الإيمان وعاء الحياء ، وفلكه الذي يدور فيه، ولا يتصور إلا به ، فهو شعبة من شعبه ، وفرع من فروعه ، وسبيل من سبله المفتوحة إلى رضوان الله تعالى ونعيمه ، يتجلّى ذلك فيما أخبر به النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الحياء شعبة من الإيمان ، فعن أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)

(متفق عليه).

فالحياء جامع لكل خصال الخير ، يدفع الإنسان إلى فعل المحاسن ويبعده عن القبائح ، ما اتصف به مسلمٌ إلا حاز الخير الكثير، وابتعد به عن الشر المستطير ، ونال به الثواب العظيم ، فعن عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ : (الْحَيَاءُ لاَ يأتي إِلاَّ بِخَيْرٍ) ، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: (إِنَّهُ مَكْتُوبٌ في الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً).

والحياء صفة جليلة اتصف بها الخالق سبحانه وتعالى ، فمن صفاته تعالى أنه حييٌّ ، ففي الحديث: (إنَّ ربكُم حَيِيٌ كريمٌ يستحيي مِنْ عبدِه إذا رَفعَ يَدَيهِ إليه أن يَرُدَّهما صِفْرًا).

والحياء يكون من الله (تعالى) ومن النفس ، ومن الناس.

أما الحياء من الله تعالى : فهو أعلى درجات الحياء ، فيستحي العبد من ربه أن يجده حيث نهاه ، وهذا الحياء الذي بين العبد وربه قد بينه الحديث : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ: (لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) (سنن الترمذي) .

ولهذا أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) بالتَّسَتُّرِ ولو كنا في خلوة حياءً من الله تعالى، فعن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ عَوْرَاتُنَا ، مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ ؟ قَالَ: (احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ)، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ:(إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تُرِيَهَا أَحَدًا فَلاَ تُرِيَنَّهَا)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا ؟ قَالَ: (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ) (سنن أبي داود) .

فإذا كان هذا حال المؤمن في خلواته فما بال هؤلاء المتكشفين بإبداء العورات وإظهار القبائح أمام الخلائق!!! فالعبد إذا علم أن الله ناظر إليه ؛ أورثه ذلك حياءً منه تعالى، وإذا تيقن العبد أن الله مطلع عليه وسيسأله يوم القيامة عن كل ما اقترفت يداه ، فإنه سيخجل فيقبل على الفضيلة ويترك الرذيلة ، نجد ذلك واضحًا في بكاء الأسود بن يزيد

(رحمه الله) عند احتضاره ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قال: ما لي لا أجزع ومن أحق بذلك مني؟! والله لو أتيت بالمغفرة من الله (عز وجل) لأهمّني الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحيا منه.

وأما الحياء من الناس : فهو من مكارم الأخلاق كذلك ، فحياء الإنسان من الناسِ يمنعه من أن تقع أعينهم على ما يعيبونه عليه ، ويكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح ، رُوِيَ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ (رضي الله عنه) أَتَى الْجُمُعَةَ مُتَأَخرًا َفوَجَدَ النَّاسَ قَدْ انْصَرَفُوا فَتَنكَبَّ الطَّرِيقَ (أي اجتنبه) عَن النَّاسِ ، وَقَالَ : لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِيي مِنْ النَّاسِ.

فالواجب على العاقل أن يعوِّد نفسه لزوم الحياء من الناس ، فإن ذلك يقوده إلى التعوّد على فعل محمود الخصال ، والابتعاد عن سيئ الخِلال وردي‌ء الكلام.

وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وهذا أكمل ما يكون من الحياء ، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو أولى أن يستحيي من غيره .

أما عن مظاهر الحياء فمنها: أنْ يُطهِّر المسلم لسانه من الفحش والرذيلة فـ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) (صحيح البخاري). والحياء مستحبٌ في كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل. ومن الحياء التعفف عن قول ما لا يليق ، ولنا عبرة فيما كان يصنعه النبي (صلى الله عليه وسلم) حين يقول: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا) (شرح مشكل الآثار للطحاوي)،

وكان يكني عن أشياء كثيرة ، فلْنتأسَ به (صلى الله عليه وسلم) ولنتخلق بأخلاق الإسلام حتى نعالج هذه السلبيات التي انتشرت في المجتمع ، فلقد صرنا نسمع قبيحًا من القول في الطرقات وفي المواصلات وفي الأماكن الخاصة والعامة ، وصرنا نرى من يجاهر بالمعاصي ويتظاهر بالقبائح في وضح النهار وأمام الناس دون وازع من إيمان أو رادعٍ من حياء.

ومن مظاهر الحياء أيضًا : أن يتوقى الإنسان ويتحاشى كلّ ما يجلب له السوء من موارد الشبه ومواطن الشائعات ، فمن الحياء أن يحرص المسلم على سمعته ، فلا يقل أو يفعل ما يلوث سمعته ، ويعرضه للسخرية والأقاويل المغرضة ، قال الْأَصْمَعِيُّ (رحمه الله): سَمِعْت أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: (مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ) .

وكذلك من مظاهر الحياء : محافظة المرأة المسلمة على كرامتها وحشمتها ، ومراقبة ربها، وحفظها حقَ زوجها ، والبعد عن مسالك الريبة ومواطن الرذيلة ، فحياء المرأة هو سياجها وحصنها ، وحماها الذي تحمي به شرفها ، وتصون به عرضها ، وتحفظ به سمعتها ، لذا دعا الإسلام إلى رعايته وتنميته ، وجعله من أَجَلِّ النعم التي تنعم بها المؤمنات المقربات ، وتتحلى به عَقيلات الأسر ، وعريقات الأصول ، يلتزمنه ويتخذنه سننًا وطريقًا يمشين عليه ، قال تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}

[القصص:٢٥].

إن الحياء من أجمل ما تتزين به المرأة ، ومن حياء المرأة غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة لغير المحارم ، وهذا ما أمر به القرآن الكريم حيث قال:{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[النور:٣١]. ففي هذه الآية الكريمة جماع العفة والطهارة والنقاء والحياء والعفاف للمرأة المسلمة.

ومن تمام حياء المرأة المسلمة : عدم خضوعها في القول حتى لا يطمع فيها أصحاب القلوب المريضة ، وأن تلتزم في حديثها بالقول المعروف الذي يؤدي الغرض المطلوب ، قولا جميلا حسنا معروفا في الخير ،كما أمر الله نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمهات المؤمنين في قوله تعالى : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا }
[الأحزاب : ٣٢] .

وإنّ من أعظم فضائل الحياء أنه يفضي بأصحابه إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ): (الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنْ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ) (سنن ابن ماجه). والبذاء ضد الحياء ، فهو جرأة في فُحشٍ، والجفاء ضد البر.

كذلك من فضائل الحياء أنه يفتح أبواب الخير ، ويمنع أبواب الشر ، فالحياء يدل على كمال عقل صاحبه ، فمتى وجد في الإنسان الحياء وجد فيه الخير كله ، ومتى فارقه الحياء قادته نفسه وشيطانه إلى الهلاك المحتوم ، وأرداه ذلك موارد الفساد.

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه * فلا خير في وجه إذا قل ماؤه**

حياؤك فاحفظه عليك فإنما * يدل على وجه الكريم حياؤه**

ومن يتدبر أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم): في الحياء ، حيث قال: (الْحَيَاء لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ) (رواه البخاري عن عمران بن حصين) ، وقال: (والْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ ، أَوْ قَالَ: الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ) (رواه مسلم عن عمران بن حصين) يجدها تعطينا خلقًا كريمًا وسلوكًا حضاريًّا تنعم خلاله المجتمعات بالأمن والاستقرار ، وينعم تحت ظلاله الشعوب بالطمأنينة والأمن النفسي الذي يحملهم على أن يكونوا من حملة راية التنمية والتقدم والازدهار لهذا الوطن .

ومما يثمره الحياء على مستوى الفرد والمجتمع:

- أنه يمنع من الفواحش ، ويحمل على البر والخير ، فمن استحيا من الناس أن يروه يفعل قبحًا، دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد ، فلا يهمل فرضًا ولا يعمل ذنبًا.

- أنّه مما يعين على التخلص من سلطان الشيطان وكيده : قال الإمام الغزالي-رحمه الله: (فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يُظلم وتنطفئ منه أنواره ، فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان، ويسعى في تحصيل مراد الشيطان) ، كما أنه سببُ كل خيرٍ ، وعمدةُ كلِّ فضيلة: فقد قال علي (رضي الله عنه): (والحياء سببٌ إلى كلِّ جميل).
- أنه سببٌ لهجر المعاصي: ويكون ذلك خجلاً من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الترك من ثمرات الحياء؛ لأن الإنسان إذا استحيا من فعل شيء تركه.
- أنه سبب لمحبة الله عز وجل: فصاحبه يُعد من المحبوبين من الله ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله -عز وجل- حييٌّ ستير ، يحب الحياء والستر) (رواه أبو داود).
- فلذلك صار الحياء خلقا للإسلام ووعاء للدين ، يحمل على الاستقامة على الطاعة ، وعلى ترك المعصية ونبذ طريقها .

أما ضعف الحياء في نفوس الناس فيؤدي إلى انتهاك الحرمات ، والخوض في أعراض الناس وأنسابهم ، فكم من كلمة أوقعت صاحبها في الإثم ؟! وكم من نظرة محرمة أردت صاحبها ؟! ، وهي مقدمة لفعل الفواحش ، من أجل ذلك سد الإسلام الباب المؤدي إلى الزنا ، فقال تعالى : {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: ٣٢] .

إن الحياء خلق رفيع يمنع الإنسان عن الاتصاف بالأخلاق الوضيعة، وعن السمعة المشينة، وعن الأقوال الفاحشة، وعن كل ما لا يرضاه الطبع السوي. فإنَّ المرء إذا فقده فعل ما شاء من معاصٍ أو آثام أو سوء خلق، ولم يخشَ في ذلك لوم لائم.

والذي هبط بالناس إلى هذا المستوى المذموم هو ذهاب الحياء من الله عز وجل ، كما في صحيح البخاري من حديث أبي مسعود أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت). فمن لم يستحِ صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياءٌ انغمس في الفواحش والمنكرات. والمرء حينما يفقد حياءه يتدرج في المعاصي من سيئ إلى أسوأ ، ومن رذيلة إلى أرذل ، ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل.

إن منزوعَ الحياء لا تراه إلا على قبيح الخصال، ولا تسمع منه إلا رديء الكلام ، كأصحاب الدعوات الإباحية والشاذة الهدامة الخارجة على حدود اللياقة والحياء ، وعلى قيمنا الدينية والأخلاقية ، وعاداتنا وتقاليدنا المصرية الأصيلة ، وهي دعوات يرفضها الشعب المصري كله ، لأنه تربى على العفة والطهارة . كما أن هذه الدعوات تعد أكبر وأهم وقود للتطرف والإرهاب ، وتعطيه ذريعة لوصف المجتمع بما ليس فيه ولا يمكن أن يقره ولا يرتضيه .

إن الإنسان المستقيم صاحب الحياء لا يرضى لأمه ولا لبنته مثل هذه الأمور ، فقد جاء شاب يستأذن النبي (صلى الله عليه وسلم) في الزنا كما جاء في حديث أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ : ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ : (أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ) ؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : (وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ)، قَالَ : (أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ) ؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : (وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ) ، قَالَ : (أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ)؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ :(وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ) ، قَالَ : (أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ)؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ :(وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ). قَالَ : (أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ) ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : (وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ) . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ:(اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ) (مسند أحمد).

* * *

الإخلاص في القول والعمل

أولا : **العناصر** :

١- الإخلاص جوهر العبادات.

٢- دعوة الإسلام إلى الإخلاص .

٣- التحذير من الرياء وخطره.

٤- ثمرات الإخلاص.

ثانيًا : **الأدلــة** :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قـال تعـالى:{ قُـلْ إِنَّ صَـلَاتِي وَنُسُـكِي وَمَحْيَـايَ وَمَمَـاتِي لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

٢- وقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا } [مريم:٥١].

٣- وقال تعالى :{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: ٢، ٣].

٤- وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر:١١– ١٤].

٥- وقال تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥].

٦- وقال تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦].

٧- وقال تعالى:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} [الفرقان:٢٣].

٨- وقال تعالى:{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٤].

٩- وقالَ تعالَى:{قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ} [ص: ٧٩-٨٣].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا شَيْءَ لَهُ) ، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا شَيْءَ لَهُ) ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) (سنن النسائي).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) (رواه مسلم).

٣- وعن عُمَرَ بْن الْخطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) (رواه البخاري).

٤- وعن ابن عباس (رضي الله عنهما)عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عز وجل عِنْده عشر حَسَنَات إِلَى سَبْعمِائة ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هم بسيئة فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عنده حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كتبهَا الله سَيِّئَة وَاحِدَة) (رواه مسلم).

٥- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ).وفي رواية : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ). وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ (مسلم).

٦- و عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ . فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ

الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ) (رواه مسلم).

٧- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ(رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَعِبَادَتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، مَاتَ وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ)

(رواه ابن ماجه).

٨- وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ : (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهْوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (رواه البخاري).

٩- وعَنْ سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيّ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ) (سنن النسائي).

ثالثًا : الموضـــــوع :

لقد بين القرآن الكريم في آيات كثيرة أن الله سبحانه وتعالى قد أوجدنا في هذه الحياة الدنيا لعبادته وطاعته ، ومن هذه الآيات قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}[الذاريات:٥٦، ٥٨]. فالعبادة هي الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان ، وَجَاءَ فِي الأَثَر الإِلَهِيّ: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- قَالَ (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ). (سنن الترمذي).

والعبادات في الإسلام من صلاة وصيام ، وزكاة وحج، وغير ذلك مما أمر الله تعالى به لها أصول لا تتم إلا بها ومن تلك الأصول : أن تكون هذه العبادات جوهرها وظاهرها وباطنها الإخلاص لله رب العالمين ، فهوَ روحُ الطاعاتِ ، وجوهرُ العباداتِ ، لاَ تُقْبَلُ الطاعةُ بدونِهِ ، لأن الله سبحانه وتعالى جعله شرطا لقبول الأعمال الصالحة، ليس في العبادات فقط، بل في جميع الأعمال والأقوال ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا شَيْءَ لَهُ) فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا شَيْءَ لَهُ) ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) (سنن النسائي).

والإخلاص معناه : الابتعاد عن الرياء والسمعة ، وحب النفس والشهرة ، بمعنى : أن يقصد الإنسان بقوله وعمله ، وبحركاته وسكناته وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته ، من غير نظر إلى مغنم أو جاه أو مظهر أو شهرة ، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة أو مدح من الخلق، وهذا ما أمر الله به رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال:{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. فالمخلص هو الذي يقوم بأعمال الطاعة من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة وقراءة للقرآن وقضاء حوائج الناس والوطن ابتغاء وجه الله – عز وجل – ، وليس من أجل أن يمدحه الناس ويذكروه ، فعمله ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده، لا يريد من الناس جزاءً ولا شكورًا.

ومن عظيم شأن الإخلاص أن الله تعالى مدح به أنبياءه ورسله في القرآن الكريم ، لأنهم أخلصوا أقوالهم وأفعالهم لله عز وجل ، فقال سبحانه وتعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا }[مريم:٥١]. ويقول تعالى عن يوسف– عليه السلام: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[يوسف: ٢٤]. أي إنه من عبادنا الذين أخلصوا العبادة والطاعة لله عز وجل.

وقَدْ شَهِدَ اللهُ سبحانَهُ بالإخلاصِ لمن صَفَتْ سرائِرُهُمْ، وصدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ، وسَلِمَتْ أعمالُهُمْ، قالَ تعالَى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ*

وَإِنَّهُـمْ عِنـدَنَا لَمِـنَ الْمُصْـطَفَيْنَ الأَخْيَـارِ }[ص: ٤٥-٤٧]. أَيْ أخلَصُـوا العبادةَ للهِ عزَّ وجلَّ.

وقد أمر الله تعالى عباده بالإخلاص ، وحثهم عليه في كل أقوالهم ، وجميع أعمالهم ، وأول من وجه إليه هذا الأمر هو رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ليكون قدوة طيبة وأسوة حسنة ، فقال سبحانه :{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْـكَ الْكِتَـابَ بِـالْحَقِّ فَاعْبُـدِ اللَّـهَ مُخْلِصًـا لَـهُ الـدِّينَ * أَلَـا لِلَّـهِ الـدِّينُ الْخَالِصُ}[الزمر: ٢، ٣] ، وفي آية أخرى يخاطب الله رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بقوله:{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر:١١، ١٤].

كما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يتحلوا بالإخلاص ، فقال سبحانه وتعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥] ، وقال تعالى : {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [غافر: ١٤].

ولقد حث النبي (صلى الله عليه وسلم) أتباعه على الإخلاص في أعمالهم وأقوالهم وعباداتهم لله سبحانه وتعالى وحده ، وحذرهم من الرياء تحذيرًا بالغًا، وشنع على من لم يخلص أعماله وأقواله لله-عز وجل- ، فعن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ

إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) (رواه البخاري) وفي رواية : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)، لقد صدَّر الإمام البخاري كتابه الصحيح بهذا الحديث إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله عز وجل فهو باطل ، لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة ، وكذلك نوَّه الإمام الشافعي (رحمه الله) بجلال هذا الحديث واشتماله على كثير من المعاني والمقاصد برغم وجازته ، فقال : (هذا الحديث ثلث العلم).

فليعلم المسلم أنه لابد لكل عمل من نية، ولابد للنية من الإخلاص لله رب العالمين، فليراجع الإنسان نيته أولاً بأول حتى لا تتحول عباداته إلى عادات ويفقد إخلاصه فيها ، فالعمل وإن كان موافقًا للشرع فإنه لا يكفي حتى يكون مقبولاً، بل لا بد وأن يصاحبه الإخلاص لله رب العالمين، قال الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ في قوله – تعالى – : {لِيَبْلُوكمْ أيُّكم أحسنُ عملاً}[سورة الملك:٢] : العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه ، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة ، ثم قرأ قوله تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: ١١٠](مدارج السالكين لابن القيم).

ومما يؤكد أن العبد المسلم يجازى بنيته ، ما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عز وجل عِنْده عشر حَسَنَات إِلَى سَبْعمِائة ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هم بسيئة فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عنده حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كتبهَا الله سَيِّئَة وَاحِدَة).

ومن هذا يتضح أن الله تعالى لا ينظر إلى كثرة الأعمال أو قلتها بقدر ما ينظر إلى قيمة الإخلاص فيها ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ). وفي رواية: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ). وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. فالعاقل الفطن هو الذي يخلص النية لله تبارك وتعالى لأنّ الناس لا ينفعونه بشيء إذا راءى لهم بل هو الخاسر يوم القيامة.

وإذا كان الإخلاص في أسمى درجات الكمال ، فإن الرياء في أحطِّ دركات النقصان ؛ لأن الله تعالى توعد المرائين بسوء المصير ، فقال سبحانه : {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } [سورة الماعون].

فإذا اختل شرط الإخلاص، وقُصِد بالعمل غير الله تعالى أصبح رياءً ، لا ثواب له ، وهذا ما يوضحه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ) (رواه ابن ماجه).

وقد حذرنا ربنا سبحانه وتعالى من الرياء ؛ لأنه شرك خفي ، فيعمل العبد عملاً في ظاهره الصلاح وفي الحقيقة لا يريد به إلا مرضاة الناس ومدحهم، فهو سبحانه غنيّ حميد، لا يرضى أن يشرِك العبد معه غيرَه، فإن أبى العبد إلا ذلك ردّ الله عليه عملَه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) (رواه مسلم). وفي رواية أخرى : (... فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ) (رواه ابن ماجه).

فإذا حُرِم الإنسان نعمة الإخلاص وراءى الناس بعمله ولم يقصد به وجه الله عز وجل فسد عمله ، وساء مصيره ، بل كان أول الهالكين يوم القيامة ؛ لذلك حذَّر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من الرياء تحذيرًا شديدًا ، ففيما أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي

النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ).

ومن هذا يتضح أن الرياء يمحق الأعمال الصالحة، ويبطلها ، ليس هذا فحسب بل يؤدي إلى التهلكة وسوء المصير ، يقول سبحانه: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود : ١٥-١٦]. يقول بعض الحكماء: (مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة، كمثل رجل خرج إلى السوق، وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل، ولا منفعة له من عمله سوى مقالة الناس عنه ، ولا ثواب له في الآخرة) (تنبيه الغافلين).

إن الإخلاص في الأقوال والأعمال وكل ألوان العبادة إذا ما استقر في القلب ، وظهر في السلوك أثمر الخير الكثير والأجر العظيم ، وجعل

الله تعالى لصاحبه من كل همٍّ فرجًا ، ومن كل ضيقٍ مخرجًا ، **ومن هذه الثمرات:**

رضا الله تبارك وتعالى عن المخلصين: فإن من لازم الإخلاص لله تعالى في أقواله وأعماله وعبادته عاش في الدنيا سعيدًا وفارقها والله –تعالى– عنه راضٍ ، فرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يبين لنا أن رضا الله تعالى لا يكون إلا بالمداومة على الإخلاص له في العبادة والطاعة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):)مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَعِبَادَتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، مَاتَ وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ) (رواه ابن ماجه).

قبول الأعمال عند الله عز وجل : فإن الإنسان مرتهن بعمله عند ربه عز وجل ، إما أن يقبله وإما أن يردَّه ، والعمل المردود سبب من أسباب هلاك صاحبه؛ لأنه قصد به رضا الناس لينال مدحهم وثناءهم عليه ، فكان كما قال ربنا سبحانه : {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }[الفرقان: ٢٣]. فكل ما عملوا في الدنيا من عمل صالح أصبح هباء منثورًا ، لا قيمة له ولا وزن له ؛ لأنه لم يقم على الإخلاص لله رب العالمين ، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً (أي : من أجل العصبية والدفاع عن عشيرته ولو بالباطل)، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً (أي : يقاتل من أجل أن يقال عنه : إنه شجاع)، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً (أي يقاتل من أجل رضا الناس وثنائهم عليه وليس من أجل الله تعالى)، فَأَيُّ ذَلِكَ

فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ : (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهْوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (رواه البخاري).

فمن لم يكن عمله خالصًا لوجه الله – تعالى – لا يقبله الله ، ففي حديث أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (تعرض أعمال بني آدم بينَ يَدي اللهِ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ فِي صُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ، فيقول الله : أَلْقُوا هَذَا واقبلوا هذا ، فتقول الملائكة : يا ربِّ والله ما رأيْنا مِنه إلَّا خَيْرًا، فيقول الله : إِنَّ عَمَلَهُ كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد بِهِ وَجْهِي) (مسند البزار). وقال العراقي: رواه الدار قطني من حديث أنس بإسناد حسن.

رعاية الله تعالى وحفظه للمخلصين : فإذا ما أخلص الإنسان لله تعالى في أقواله وأعماله وعبادته فإنه سبحانه وتعالى يحفظه ويرعاه ، ويصرف عنه كل سوء ومكروه ، يؤكد هذا ما جاء في قصة يوسف (عليه السلام) حيث يقول ربنا سبحانه :{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[يوسف: ٢٤]. فيوسف (عليه السلام) قد نجاه الله سبحانه وتعالى من البلاء الذي وقع به بسبب الإخلاص.

وكلمة (المخلصين) في القرآن تقرأ بقراءتين : الأولى (المخلَصين) بفتح اللام ، أي : الذين أخلصناهم وطهرناهم لعبادتنا وطاعتنا. الثانية: (المخلِصين) بكسر اللام ، أي : الذين أخلصوا العبادة والطاعة والدين لله رب العالمين.

النصر على الأعداء : فإذا ما أخلص الناس في طاعتهم وعبادتهم ، وأقوالهم وأعمالهم، فإن الله تبارك وتعالى ينصرهم على عدوهم مهما كانت قوته ، ومهما كان ضعفهم ، فعَنْ سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيّ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ) (سنن النسائي).

فالإخلاص أساس العبادة ؛ فبه تكون الأقوال والأعمال مقبولة ، وبه تكون العبادة والطاعة كذلك ، وبالإخلاص يكون التصديق بسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن ثم العمل بها، وبالإخلاص يكون التعليم ، والتعلم، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإنفاق في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله ، والبذل، والعطاء، والتضحية ، وصلة الرحم ، وبالإخلاص يكون التحابُّ في الله والقيام بحقوق المسلم ، والحفاظ عليها ، وبالإخلاص تكون مراعاة حق الجار ، ونصحه ومعاونته ، والأخذ على يديه إذا فرّط، والسؤال عنه ، وغض البصر عن محارمه ، وبالإخلاص تكون الرحمة والشفقة على المساكين ، ومواساة الأيتام والأرامل ، حتى إنك إذا أفرغت من دلوك في دلو أخيك أجرت على ذلك، بل الأعظم من ذلك أن تبسمك في وجه أخيك صدقة إذا ابتغيت بها وجه الله تعالى .

* * *

الأمانة وأثرها على الفرد والمجتمع

أولًا: العناصر:

١- الأمانة ومكانتها في الإسلام.

٢- خطورة الكلمة.

٣-الأمانة في القول والعمل.

٤-الخيانة نقص في الإيمان وسبب للخسران.

٥- أثر الأمانة على الفرد المجتمع .

ثانيًا : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم:

١- يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء : ٥٨].

٢- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا * إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}

[الأحزاب: ٧٠ – ٧٢] .

٣- ويقول تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون : ٨ – ١١].

٤- ويقول تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٢٧ ، ٢٨].

٥- ويقول تعالى: {...فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٣] .

٦- ويقول تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}

[آل عمران:٧٥ ، ٧٦].

٧- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...} [المائدة: ١].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) [متفق عليه].

٢-وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ (يعني رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) : (فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ (يَأْمُرُ) بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ) [صحيح البخاري].

٣-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) [صحيح البخاري].

٤-وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا قَالَ: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) [أخرجه أحمد والبزار].

٥-وعن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (الْخَازِنُ الأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ) [صحيح البخاري].

٦-وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) [أخرجه أبوداود].

٧-وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ) [متفق عليه].

٨- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) [صحيح البخاري].

ثالثًا : الموضوع:

من كمال الإيمان وحسن الإسلام أن يتخلق المسلم بأخلاق القرآن الكريم ، التي دعانا إليها ديننا الحنيف وحث على التحلي بها حتى

يعيش المجتمع في خير وبركة ، ومن تلك الأخلاق : الأمانة ، فهي خُلُقٌ مِن أخلاق الأنبياءِ والمرسَلين، وفضيلةٌ من فضائل المؤمنين الصالحين ، لا يستطيع تحملها إلاّ الرجال العظام الذين تربوا على مائدة القرآن الكريم ، عظَّم الله أمرَها ورفع شأنها وأعلى قدرَها ، وإن من عظيم شأنها وجلال خطرها أن عرضها المولى (سبحانه وتعالى) على بعض مخلوقاته فأعرضن عن حملها وخفن من ثقلها وشدتها ، وحملها الإنسان ، وقد أعطاه الله من النعم التي تعينه على أداء مسئوليته والقيام بأمانته، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}

[الأحزاب:٧٢].

والأمانة هنا كما قال جمهور المفسرين: كل شيء يؤتمن الإنسان عليه من أمرٍ ونهي وشأنِ دينٍ ودنيا ، فالشرع كله أمانة، ومن جملة هذه الأمانات : أمانة القول والعمل ، والأمانة في العبادة ، والأمانة في حفظ الجوارح ، والأمانة في الودائع ، والأمانة في البيع والشراء ، والأمانة في حفظ الأسرار فالكلمة أمانة ، يجب على قائلها أن يتقي الله (عز وجل) فيها ، لما لها من خطورة وما يترتب عليها من خير كبير أو شر مستطير ، فقد ترفع صاحبها إلى مراتب الصديقين ، وقد تهوي به في دركات الهالكين ، فعن بِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ (رضي الله عنه) يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ

يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ) [سنن الترمذي].

إن الكلمة قد تخرج من فم الإنسان بلا تفكير فتسبب بلاءً كبيرًا لا يمكن تداركه ، ومن هنا يجب على الإنسان ألا ينطق إلا بالقول الطيب المستقيم الذي يرضي الله (عز وجل) والذي ينفع ولا يضر ، ويبني ولا يهدم ، ويعمر ولا يخرب ، يقول الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب:٧٠-٧١] ، فقد وجه الإسلام أتباعه إلى التثبت والتحقق من كل ما يقال أو يشاع ، إذ ليس كل ما يُقال يُصدق قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [الحجرات: ٦]. فكل كلمة تخرج من فم المسلم سيحاسب عليها .

كما أن الأمانة في القول تتطلب صدق الحديث وسلامة اللسان ، فالتحدث باسم الدين أمانة ومسئولية تحتاج إلى علم ، والكلام في دين الله بدون علم خيانة لله ورسوله ، يقول الله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣].

أما الأمانة في العمل فتتطلب أن يراقب الإنسان ربه (عز وجل) في عمله المكلف به، سواءً أكان صاحب العمل حاضرًا أم غائبًا ، وسواءً أكان عملاً عامًا أم خاصًا ، وليعلم أن الله تعالى يراقبه من فوق سبع

سموات ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، فعن عبد الله بن دينار ، قال:) خرجت مع ابن عمر إلى مكة ، فعرسنا ، فانحدر علينا راع من جبلٍ ، فقال له ابن عمر: أراع ؟ قال: نعم، قال: بعني شاةً من الغنم ، قال: إني مملوك ، قال: قل لسيدك: أكلها الذئب، قال: فأين الله ؟ قال ابن عمر: فأين الله!! ثم بكى، ثم اشتراه بعدُ فأعتقه) [سير أعلام النبلاء].

وأما أمانة حفظ السر فيجب المحافظة عليها ؛ لأن إفشاء السرّ خيانة ، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إذا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَديثَ ثم الْتَفَتَ فَهِي أَمَانَةٌ) (رواه الترمذي وحسنه) ، ومن أشد ذلك أثرًا إفشاء السر بين الزوجين ، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها) ، فليكن صاحب المجلس أمينًا لما يسمعه ويراه ، وما يقع فيه من قَول وفعل.

أما أمانة المسئولية فكل من ولي من أمر المسلمين شيئًا فهو أمانة في عنقه ، سواء أكان رجلا أم امرأة فهو راعٍ ومسئول عن رعيته ، كما علمنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها (زوجها) وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) [متفق عليه].

إن خلق الأمانة من أبرز ملامح الدين الإسلامي ، ولذلك حين سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن دين الإسلام وصفة نبيه (صلى الله عليه وسلم) أخبره أنه يأمر بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ) فقَالَ له هرقل : (هَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ) فأبو سفيان في هذا الموضع يذكر ما رآه أهم ما يميز الإسلام.

لقد تَمَثَّلَ خلق الأمانة في شخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وكان أشهر من اتصف بالأمانة في كل أمور حياته ، قبل البعثة وبعدها ، حتى إن أعداءه وخصومه كانوا يلقبونه قبل بعثته بالصادق الأمين ، وكان (صلى الله عليه وسلم) أحرص النَّاس على أداء الأمانات وردّ الودائع لأصحابها حتى في أصعب الأوقات ، فحين هاجر (صلى الله عليه وسلم) أمر عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه وأن ينتظر ليرد الأماناتِ المودعةَ عنده إلى أهلها ، مع أنهم قوم ناصبوه العداء ، وأخرجوه وآذوه وآذوا أصحابَه وأخذوا كل ما يملكون ، ذلك لأن المؤمن لا تحل له الخيانة حتى مع أعدائه، والله تعالى يقول: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨]، فالمؤمن لا يعرف الخيانة حتى مع الخائنين ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ).

إن خيانة الأمانة صفة من صفات النفاق ، جعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) علامة يعرف بها المنافق ، فقال (صلى الله عليه وسلم):

(آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) نفى الإيمان عن خائن الأمانة ومضيعها فقال: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ)، وذلك لما يترتب على خيانة الأمانة من فساد المعاملات بين الناس ، وقطيعةٍ بين أفراد المجتمع ، وتباغضٍ يفضي إلى النزاع والشقاق ، وتكدُّس في المحاكم بالعديد من القضايا التي يعدُّ سببها الأول خيانة الأمانة.

ومن ثم فيجب على المسلم أن يكون حريصًا على الأمانة حافظًا لها ، لأن جزاء خائن الأمانة عظيم وأليم ، بيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه سوف يعذب بسببها في النار، وسوف تكون عليه خزيًا وندامة يوم القيامة، فعن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ) (أخرجه مسلم)، ويكفي خائن الأمانة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خصيمه يوم القيامة، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وسلم) : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ ، وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ) [أخرجه ابن ماجه] .

فليحذر المسلم من العقوبة التي تنتظر مضيع الأمانة ، فالخيانة نقص في الإيمان وسبب للخسران ، ففي الحديث عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

أنه قال : (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم)، وعلى المجتمع بكل أطيافه أن يرجع إلى كتاب ربه ، وسنة نبيه ، فتصفو القلوب ، وتتوحد المشاعر، وتتكامل الأدوار لرفعة هذا الوطن ، وتنطق بخيريتها جميع الأمم ونكون مثالًا ونموذجًا مشرّفًا لهذا الدين العظيم.

وإنّ من علامات قيام الساعة ضياع الأمانة والتّفريط فيها والتّهاوُن في أدائها ، وتغليب المصالح الخاصّة على المصالح العامّة فتقطع الأرحام ويُساء الجوار ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ ، وَسُوءُ الْجِوَارِ) (رواه أحمد) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)

[أخرجه الإمام البخاري].

فكل إنسان لا يؤدي ما يجب عليه من أمانة أو يراقب الناس ولا يراقب الله (عز وجل) فهو خائن، والله لا يحب الخائنين، قال تعالى: {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا}[النساء: ١٠٧، ١٠٨]، وقد نهانا الله (عز وجل) عن

الخيانة، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧].

إن للأمانة أثرًا جليلاً على حياة الفرد ، فهي تقوي صلته بربه ، وتحقق مرضاة الله (عز وجلّ) وتزيد ثقة الناس في صاحبها ، فبها يحفظ الدين ، وتصان الأعراض والأرواح والأموال ، وتصل الحقوق إلى أصحابها .

كما أن لها أثرًا بالغًا على المجتمع فتقوي العلاقات والروابط بين الأسر ، وتؤسس لمجتمع فاضل إيجابي يملأه الأمل ، وبيئة صالحة للإنتاج والعمل ، فحفظ الأمانات ينظم شئون الحياة كلها من عبادات ومعاملات وآداب ، وتكافل اجتماعي ، وحكم رشيد ، وخلق حسن كريم، وهي بذلك سر سعادة الأمم في الدنيا والآخرة ، فعندما يلتزم الناس بالأمانة يتحقق لهم الخير، ويعمهم الحب والرخاء وتنتشر بينهم المودة والسخاء .

* * *

عظمة الإسلام وخطورة المتاجرة به والافتراء عليه

أولاً: العناصر:

١- عظمة الجوانب الأخلاقية في الإسلام.

٢- عظمة الجوانب الإنسانية.

٣- خطورة المتاجرة بالدين.

٤- خطورة الافتئات على الدين.

٥- حرمة القتل والتخريب.

ثانيًا: الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤].

٢- وقال تعالى:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

[آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

٣- وقال تعالى : {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}

[الأعراف: ١٩٩].

٤- وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ٨ –١٠].

٥- وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ٧٧].

٦- وقال تعالى:{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [النحل: ٩٥].

٧- وقال تعالي: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: ٩٣].

الأدلة من السنة:

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [مستدرك الحاكم].

٢- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) [سنن الترمذي].

٣- وعَنْ مَسْرُوقٍ : قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ (خَيْرِكُمْ) أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا).

٤- وعن عائشة (رضي الله عنها) حين سئلت عن أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) قالت: (كَانَ خلقه الْقُرْآن) [مسند أحمد].

٥- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) [متفق عليه].

٦- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا) [صحيح البخاري].

ثالثا: الموضوع:

لقد تحدث القرآن الكريم عن الأخلاق حديثًا عظيمًا ، فما من كتاب دعا إلى مكارم الأخلاق مثل القرآن الكريم ، فالنهج الأخلاقي القرآني يمثل إعجازًا، فإذا تأملنا كيف تغيرت بلاد العرب خلال سنوات قليلة بعد أن كانت موطنًا للوثنية والجمود والقسوة والعنف والظلم وغير ذلك من سيِّء الأخلاق، وكيف تغيرت سلوكياتهم وعاداتهم ، فتعلموا ضبط النفس ومكارم الأخلاق ، وتخلصوا من العصبية والغضب بالحلم والصفح ، وتخلصوا من الضغائن والأحقاد ، وتعلموا الرفق والعفو والإحسان.

والنموذج العملي الأكمل في امتثال الأخلاق الإسلامية هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي وصفه القرآن الكريم بأنه على خلق عظيم ، قال تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم: ٤]. فقد كان (صلى الله عليه وسلم) أجمع الخَلْق خُلُقا ؛ لأنه كان أجمعهم للقرآن الكريم تطبيقًا وامتثالاً، كما ورد على لسان أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) حين سئلت عن أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) قالت: (كَانَ خلقه الْقُرْآن) (مسند أحمد).

كما تحدث القرآن الكريم عن عظمة الجوانب الإنسانية في الإسلام ، فتحدث عن البشرية جمعاء مبيِّنا أنهم متساوون في الخلقة والتكريم على سائر المخلوقات ، قال تعالى : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠]،

ليؤكد بذلك على مبدأ لا يقبل حذفا ولا تعديلا ولا نسخا ولا تعطيلا وهو هدف من أهداف الخلق وهو (التعارف والتآلف) قال تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] ، فالقرآن يبين عظمة الإسلام في نظرته لكل البشر بغض النظر عن اللون والجنس والديانة ، وهذا يجسد مفهوم الحقوق والواجبات ، والرحمة والصدق ، ومفهوم الولاء والانتماء ، وترسيخه بين المسلم وغيره ممن يعيشون تحت مظلة وطن واحد ، ويؤمن بسنة التنوع والاختلاف ، فالاختلاف بين الناس سنة من سنن الله عز وجل الكونية ، قال تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٨، ١١٩] .

ولقد تجسَّد هذا المفهوم من خلال وثيقة المدينة التي كانت بمثابة الدستور الأول المنظم للعلاقات بين البشر ، والتي تعد أفضل أنموذج في فقه التعايش السلمي بين البشر جميعا على اختلاف أديانهم وأعراقهم ، كما جسد النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه العظمة الإنسانية في تعامله مع غيره ممن لا يدينون بدين الإسلام بأواصر الترابط والتراحم ، فعن ابْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ (خَيْرِكُمْ) أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا).

ولقد ربى النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه على هذا الخلق العالي الرفيع حينما أعلنها مدوية معرفًا المسلم الحقيقي حين قال :(المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) فقد بيَّن الإسلام للبشر أن المسلم سِلْم للمسلم ، وسِلْم لغير المسلم .

فالأخلاق الإنسانية تقوم على مبدأ العطاء، فينكر المسلم ذاته وحظ نفسه في سبيل الآخرين، وقد أطلعنا القرآن الكريم على عينات رائعة من نماذج ليست مقصورة على أفراد معينة بل أصبحت صفة للمسلمين عامة ، قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[لحشر:٩]، وقال تعالى:{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}

[الإنسان: ٨].

ولقد ضرب المسلمون أروع الأمثلة في العطاء أفرادًا وجماعاتٍ ، فلما هاجر الرسول من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وآخى بين المهاجرين والأنصار كان الأنصاري يشاطر أخاه المهاجر بنصف ماله.

ولقد حذر الإسلام أن يتخذ الإنسان الدين وسيلة لكسب أغراض سياسية أو حزبية ، دينية أو دنيوية، لأن ذلك يعد متاجرة بالدين ، والمتاجرة بالدين هي النفاق بعينه الذي قال عنه ربنا سبحانه وتعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}

[البقرة: ٨ – ١٠].

إن أخطر ما يهدد البلاد ويؤدي إلى الفرقة والتشاحن إساءة استخدام الدين ، والمزايدة عليه ، سواء بالشعارات الجوفاء أو بالخطب الرنانة أو بالمجادلات العقيمة التي لا تحقق نتيجة ولا تصل إلى غاية ، وما ذلك إلا متاجرة بالدين.

ومن صور المتاجرة بالدين وتوظيفه لأغراض سياسية أو سلطوية ، تلك الدعوات الآثمة إلى رفع المصاحف ، ونقول لهؤلاء محذرين من الاستجابة لدعواتهم : هذه فعلة الخوارج ، فما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد صنع الخوارج هذا الصنيع وخرجوا على سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ورفعوا المصاحف ، وقالوا: لا حكم إلا لله، ثم كفروه وهو من هو (رضي الله عنه) ، وكانت فتنة عظيمة سفكت فيها الدماء، ونهبت فيها الأموال ، وتحول رفع المصاحف إلى رفع السيوف وقتل الآمنين على الرغم أن من قواعد الشريعة التي يرفعون ظلمًا وخداعًا شعارها: حفظ الدين، والنفس ، ومن قواعدها أيضا : أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وهذه الدعوات الآثمة التي يرفعونها قد تؤدي مالم نتنبه لها إلى فتن عظيمة تعصف بالبلاد والعباد من قتل وتدمير وتخريب وزعزعة لأمن الفرد والمجتمع ، فالشريعة تدعو إلى تعظيم شأن المصحف وصيانته عن كل مالا يليق به ، فكيف بالمصحف الشريف حين يحدث الهرج والمرج ، أو يحدث احتكاك بين هؤلاء وبين المعارضين لهم ، أليس من المحتمل ، بل من المؤكد أن تسقط بعض المصاحف من أيديهم على الأرض

وربما تهان بالأقدام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم ، إثمه وإفكه على من دعا إليه أو يشارك فيه.

إن إقحام الدين في السياسة والمتاجرة به لكسب تعاطف العامة إثم كبير وذنب خطير ، ويكفي الإسلام ما أصابه من تشويه صورته في الداخل والخارج على يد ولسان بعض المنتسبين إليه ، وليس لهم من حقيقته إلا مجرد أسمائهم وبطاقات هوياتهم.

ونؤكد على حرمة المشاركة في هذه التظاهرات الآثمة ، وعلى إثم من يشارك فيها من الجهلة والخائنين لدينهم ووطنهم.



خطورة الإدمان والمخدرات على الفرد والمجتمع

أولًا : العناصر:

١- نعمة العقل ووجوب المحافظة عليها.

٢- آفة المخدرات ومفاسدها.

٣- الآثار السيئة للمخدرات على الفرد والمجتمع.

٤- وسائل العلاج وتضافر الجهود للقضاء على الإدمان.

ثانيًا : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}

[المائدة:٩٠– ٩٢].

٢- وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣].

٣- وقال تعالى : {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ..}الآية [النساء : ١٤٠].

٤- وقال تعالى:{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة ١٩٥].

٥- – وقال تعالى: { قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة : ١٠٠] .

٦- وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحريم :٦] .

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ) (متفق عليه)، وفي رواية لابن ماجه من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما): قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ).

٢- وعَنْ دَيْلَمٍ الْحِمْيَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَعَ أَصْحَابِي مِنَ الْيَمَنِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ لَنَا شَرَابًا نَتَّخِذُهُ نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى أَعْمَالِنَا وَعَلَى بَرْدِ بِلادِنَا ، وَنَحْنُ نُعَالِجُ أَعْمالا شَدِيدَةً فَنُقَوَّى بِهِ وَيَتَقَوَّوْنَ بِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (هَلْ يُسْكِرُ ؟) قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : (فَاجْتَنِبُوهُ)

[رواه أبو داوود].

٣- وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ) [رواه أبو داوود].

٤- وعن ابْن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ) [رواه أبو داود].

٥- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ)

(صحيح مسلم).

٦- وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا) (سنن ابن ماجه).

٧- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ) [سنن ابن ماجه].

٨- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

[متفق عليه].

٩- وعن أُمِّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) تَقُولُ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتِرٍ) [مسند أحمد].

١٠- وعَنْ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ

رَاعٍ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهْيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه) [أخرجه البخاري].

١١- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ مِنْ فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ ، فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ : إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ (رضي الله عنه): (قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِقْهَا فَأَهْرَقْتُهَا) [البخاري ومسلم] .

ثالثًا: الموضوع:

لقد كرم الله (عز وجل) بني آدم بخلال كريمة وأنعم عليهم بنعم كثيرة امتازوا بها عن غيرهم من المخلوقات ، فقد كرمهم بالعقل، وزينهم بالفهم، ووجههم بالتدبر والتفكر، فكان العقل من أكبر نعم الله على الإنسان ، به يميز بين الخير والشر ، والضار والنافع ، به يسعد في حياته ، ويأمن في آخرته ، وبه يدبر أموره وشئونه ، وبالعقل يكون مناط التكليف ، وهو جوهرة ثمينة ، يحوطها العقلاء بالرعاية والحماية ، اعترافا بفضلها ، وخوفا من ضياعها وفقدانها ، وبالعقل يشرف العقلاء ، فيستعملون عقولهم فيما خلقت له ، كما قال تعالى :{ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[الحديد:١٧]. وإذا ما فقد الإنسان عقله ، لم يُفَرَّق بينه وبين سائر الحيوانات والجمادات بل ربما فاقه الحيوان الأعجم بعلة الانتفاع ، فمن فقد عقله لا نفع فيه ولا ينتفع به، بل هو عالة على أهله ومجتمعه.

هـذا العقـل الـثمين، هنـاك مـن لا يعـتني بـأمره ، ولا يحيطـه بـالحفظ والحماية ، بل هناك من يضعه تحت قدميه، ويتبع شهوته ، فَتُعمى بصيرته ، كل هذا يبدو ظاهرًا جليًّا في الذي يتناول كأس خمر ، أو جرعة مخـدر ، أو استنشاق مسكر ، أو شرب مفتر يُفقد الإنسان عقلـه ؛ فينسـلخ مـن عـالم الإنسانية ، ويتقمص شخصية الإجـرام والفتك والفاحشـة ؛ فتشـل الحيـاة ، ويهدم صرح الأمة، وينسـى السـكران ربـه ، ويظلـم نفسـه ، ويقتـل إرادتـه ، ويمزق حياءه.

ومن هنا فإن اهتمام الشرع الحنيف بنعمة العقل يتطلـب مـن المسـلم أن يحافظ عليه وأن لا يتناول مـن الأشياء مـا يفسـده أو يعطـل وظيفتـه أو يضره ويؤذيه ، ومن أجل ذلك حـرم الإسـلام كـل مـا يضـر بالعقـل فجعـل من مقاصد الشريعة التي جاء الإسلام بالحفاظ عليها ضرورة الحفـاظ علـى العقل.

هـذا والاعتـداء علـى العقـل لـه صـور عديـدة ، ومـن ذلـك عـدوان الشخص على عقله بتدميره عـن طريـق تعـاطي المخـدرات الـتي تفسـده وتشل فاعليته ، فتضر بالمجتمع الذي يعيش فيـه؛ نظـرًا لأن هـذا السـلوك المنحرف من شأنه أن يفقد المجتمع عضوًا كان من المفـروض أن يكـون عضوًا صالحًا وعقلًا مفكرًا يساعد في بناء مجتمعه وتقدمه.

فعقل كل فرد من أفراد المجتمع ليس حقًّا خالصًا له يتصرف فيه كيف يشـاء ، بـل للمجتمـع حـقٌّ فيـه أيضًـا باعتبـار كـل شـخص لبنـة مـن لبنـات المجتمع ، وأن مصالح الأمة لا تستقيم إلا إذا كانت عقـول أبنائهـا سـليمة

من الآفات ؛ قادرة على التفكير السليم والتخطيط الدقيق لكل ما من شأنه أن يعود بالخير والسعادة على الأفراد والجماعات.

ومن أجل ذلك قرر الإسلام عقوبة على الشخص إذا تناول عَمْدًا ما يُفسد عقله ؛ لأنه بذلك قد تسبب في ضرر المجتمع ، فضلًا عن الضرر الذي جلبه على لنفسه.

يقول الحسن البصري – رحمه الله– : (لو كان العقل يشترى، لتغالى الناس في ثمنه ، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده).

وأفضل قَسْمِ الله للمرء عقله ... وليس من الخيرات شيء يقاربه

ويزري به في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه

ولما كان الهدف الرئيسي للشريعة الإسلامية الحفاظ على مصالح العباد والبلاد من المفاسد والأضرار التي تلحق بهم حرّمت كلَّ ما يذهبُ العقل أو يشوِّشُ عليه ، أو يخرجه عن وعيه وإدراكه ، فحُرِّمت الخمر والمخدرات بأنواعها ، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [المائدة:٩٠– ٩٢] .

وتنبيها إلى أهمية الطاعة في الخير وضرورة الانتهاء عن الشر نلاحظ أنه عندما سمعَ أصحابُ النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه الآيات كانتِ

الوقفةُ الأخيرةُ مع الشهوةِ التي مالت إليها النفوسُ ، وامتثلوا (رضي الله عنهم وأرضاهم) لأمر الله (عز وجل) في الحال، فأريقتِ الخمورُ حتى جرت في طرقِ المدينةِ ، وفي ذلك روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ مِنْ فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ، فَجَاءَهُمْ آتٍ ، فَقَالَ : إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ (رضي الله عنه): قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِقْهَا فَأَهْرَقْتُهَا) (البخاري ومسلم) ، وهذا الموقف يدل على سرعة الانقياد والامتثال لأمر الله تعالى .

ولقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن هذا الزمان الذي تكثر فيه أنواع المسكرات تحت مسميات مختلفة، الأمر الذي جعل بعضهم يدعي أنه لا يشرب الخمر التي حرّمها الله (عز وجل) متغافلا أن كل مسكر حرام أيًّا كان اسمه ، فعن أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: (لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا)، لهذا وضع الإسلام وصفًا عامًا للخمر ينطبق على أي نوعٍ من الأنواع المعروفة ، أو التي تُستحدث من المسكرات ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أن رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ)، وعند مسلم أيضًا من حديث ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ في الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ ، لَمْ يَشْرَبْهَا في الآخِرَةِ)، كما أخرج أبو داود والترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ).

فمن هنا نعلم أن اسم الخمر شامل لكل ما يُسكر ، مهما أحدث الناس له من أسماء، وسواءً أكان مائعًا أم جامدًا، طالما توافر فيه المعنى المُحرَّم وهو الإسكار ، وإنما اعتبر إسكار الجنس دون القَدْر ، لأن الأمر لا يتعلق بقدر معين ولا بشارب معين، بل ما أسكر جنسه أيَّ شاربٍ فهو حرام كما دلت الأحاديث الشريفة المذكورة وغيرها.

فالخمر حرمها الله (عز وجل) ، بل إن اللعنة تصل إلى كل من امتدت يده لها من قريب أو بعيد، فعن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ) (أخرجه أبو داود)، ولِمَ لا ؟! ولحظة تعاطي الخمر والمخدرات هي لحظة سقوط الإيمان من قلب المؤمن، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) (متفق عليه)، فكيف به إن مات وهو على هذا الحال؟! أهُنَاك خاتمةٌ أسوأ من ذلك والعياذ بالله؟!

ويلتحق بتحريم الخمر المخدرات بجميع أنواعها ومسمياتها، وكل ما يؤثر على النشاط الذهني والحالة النفسية لمتعاطيها، وكل ما يتداوله المتعاطون ممّا يغيب العقل أو يفتّر الجسم ، يستوي في ذلك كل ما يدخل الجسم بأي طريقة كانت: بشربٍ أو شَمّ أو حَقْنٍ، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ)،

فالمخدرات داء عضال يفتك بشباب مجتمعنا فيجعلهم جثثًا هامدةً، وعقولًا خاوية، وقلوبًا فارغةً في الوقت الذي نحتاج فيه إلى رجال يلبون نداء الوطن دفاعًا عن الأرض والعرض، ويكونون لبنة أساسية في تنمية الوطن.

ولما كان للخمر والمخدرات تأثير على عقل الإنسان نهى الله شاربها عن القرب من العبادة أثناء سكره وخاصة الصلاة ، فقال (عز وجل): { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء:٤٣].

ومن هنا يجب على الأسرة أن تحافظ على عقول أبنائها من خطر الخمر والمخدرات والسموم البيضاء ، حتى نعالج المجتمع من الإدمان وينتشر الأمان ، ويسود السلام ، ويكون الوئام ، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحريم :٦]. وعَنْ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:(كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهْيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (أخرجه البخاري)، فينبغي تضافر الجهود وقيام الدول والحكومات بكل ما من شأنه أن يجنب شبابنا مخاطر الإدمان والمخدرات.

ويجب على المجتمع بأسره أن يقف في وجوه تجار المخدرات والمهربين والمروجين والمتاجرين بالمسكرات ، بل ومساعدة الحكومات في القضاء على هذه الظاهرة التي تهدد مجتمعنا في أعز ما يملك – وهم شبابنا وأبناؤنا – وأن تشدد العقوبة الرادعة على من يعبثون بعقولهم ، حتى يستقر المجتمع وينعم بالأمن والصحة ، فقد رُفعَ إلى عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) قومٌ يشربون الخمر فأمر بضربهم فقيل له : إن فيهم صائمًا فقال ابدؤوا به ، ثم قال : أما سمعت قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ..}الآية [النساء :١٤٠].

ومن ثم فواجب علينا آباءً ومسئولين، ومربين ومواطنين استشعار خطورة هذا الداء ، وأن نتعاون جميعًا على نبذه وبيان أضراره ، فخطر المخدرات يستهدف المجتمع كله ، في تدينه واقتصاده ، وصحته وأخلاقه ، وتماسك أُسره ، واستقرار معيشته.

ويكفي استشعارًا لخطر المخدرات أنّ من وقع في شباكها وذاق سمّها تأتي عليه لحظة يتحول فيها من إنسان سوي إلى كائن مسعور ، يمكن أن يسرق ويقتل ، أو يبيع دينه في سبيل الحصول على ما يسكت خلاياه العصبية ، في مشهد يشبه حالة الجنون .

إن خطر المخدرات لا يقتصر على الأمراض بل تجر صاحبها إلى الانحدار في المستوى التربوي والتعليمي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي ، وهذا يدعونا جميعًا أن نقول بصوت واحد مرتفع لا للمخدرات لا للإدمان.

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده
وضرورة كف الأذى عن المجتمع

أولاً : العناصر :ـ

١. متانة الروابط في المجتمع المسلم.

٢. تحذير الإسلام من أذى العباد.

٣. حرمة المؤمن عند الله.

٤. من صور الإيذاء المحرم للمسلم وغيره.

٥. فضل دفع الأذى عن الناس.

ثانياً: الأدلـــة:ـ

الأدلــة مــن القــرآن:ـ

١. قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١].

٢. وقال تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } [الأحزاب: ٥٨].

٣. وقال تعالى: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} النور: ١٥].

٤. وقالَ تَعالى :{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } [ق: ١٧– ١٨].

٥. وقال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠].

٦. وقال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: ١٢٤] .

الأدلـــة مــن السنة:-

١. عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) قال إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ؟ قَالَ: (مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) [رواه مسلم].

٢. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) [متفق عليه].

٣. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا). وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) [رواه مسلم].

٤. وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [متفق عليه].

٥. وعَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ (رضـي الله عنهمـا) قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ ، وَاللَّهُ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِ) [رواه الترمذي].

٦. وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ (رضـي الله عنـه) قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ (صلى الله عليه وسلم) (مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لاَ يُؤْذِيهِمْ. فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ) [رواه مسلم].

٧. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ : (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)

[رواه مسلم].

٨. وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ (رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ) قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا ، أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) [متفق عليه].

٩. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَتَفْعَلُ وَتَصَّدَّقُ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا خير فيها هي من أهل النار) (رواه البخاري في الأدب المفرد).

ثالثا: الموضوع:

لقد حث الإسلام أتباعه على المحافظة على الروابط الإنسانية ، والأخوة الإيمانية التي تربط وتوثق الصلة بين أفراد المجتمع ، قال تعالى :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠].

فالمحافظة على الأخوة بين أفراد المجتمع تزرع المودة والألفة بين الجميع ، من هنا حرص الإسلام كل الحرص على أن يكون المسلم إنسانا كاملا يحمل الخير لكل من حوله ، فلا يؤذ أحدًا بلسانه ولا بيده ولا يتناول أعراض الناس وسلوكهم بما يكرهون ، ولا يشتم أحدا منهم ولا يجري قبيح الكلام على لسانه ، ولا يسف في القول فيخرج عن دائرة الأدب.

ولقد جاءت الشريعة بالآداب والتوجيهات التي تعظم الحرمات وتحمي جناب المسلم أن يُمَس بأدنى أذى ولو كان لمشاعره وأحاسيسه ، وقرر الإسلام مبدأ الأخوة التي تستوجب الإحسان وتنفي الأذى بكل صوره وأشكاله ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لا تَحاسَدُوا ولا تناجشُوا ولا تباغَضوا ، ولا يبعْ بعضُكُمْ على بيعِ بعْض ، وكُونوا عبادَ الله إخوانًا ، المسلمُ أخو المسْلم لا يظلمْهُ ولا يحقِرْه ولا يَخْذُله ، التقوى هَا هُنا ، وأشارَ بيدِه إلى صدرِهِ ثلاثا ، بِحسْبِ امرئٍ منَ الشرِّ أنْ يحقرَ أخاهُ المسلِم .. كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرَام دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ) رواه مسلم ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يحبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه) (متفق عليه) .. ولقد كانت (حجة الوداع) إعلانا لحقوق

المسلم وإشهارًا لمبدأ كرامته وتعظيم حرمته وقدره عند الله (عز وجل) وتحريم أذيته بأي وجه من الوجوه في ميثاق تاريخي نودي به في أعظم جمع جمعه الله.

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها نهت عن أذى المسلم لعظم حرمته ، وحتى لا يفضي ذلك إلى وقوع العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع ويؤدي إلى انتشار الفوضى وزعزعة الأمن الاجتماعي وقطيعة الرحم وانصرام حبال المودة بين الأصحاب ، كما أن انتهاك هذه الحرمة التي عظمها الله والتعدي على المسلمين بأذيتهم لمن أعظم الذنوب والآثام ، قال تعالى:{ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} (سورة الأحزاب : ٥٨) . وتزداد الجريمة إثمًا إن كانت الأذية للصالحين والأخيار من المؤمنين ، وفي الحديث القدسي يقول الله (عز وجل) : (مَنْ عَادَى لي وليًّا فقدْ آذنتُهُ بالحرْب) [راوه البخاري].

وقد يكون المسلم الضعيف المغمور وليًّا لله وأنت لا تدري ؛ فاحذر من أذية من تولى الله الدفاع عنهم ، قال ابن كثير - رحمه الله- : (وقوله : {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا }- أي ينسبون إليهم ما هم برءاء منه لم يعملوه ولم يفعلوه - {فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً }، وهذا هو البهت البين أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم) .

ولقد حرَّمت الشريعة كل ما يؤدي إلى مضايقة المسلم في مشاعره ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (إذا كُنْتمْ ثلاثَة فَلا يتنَاجَى اثنانِ دونَ صاحِبِهِمَا .. فإنَّ ذلكَ يُحْزِنُه)، وفي رواية : (فإنَّ ذلكَ يُؤذِي المؤمِن ، والله يكْرَهُ أذَى المؤمِن). [راوه الترمذي].

بل وصل الأمر إلى الجزاء بالجنة لمن أزال شوكة عن طريق المسلمين .. قال (صلى الله عليه سلم): (مرَّ رجلٌ بغصنِ شجرةٍ على ظهرِ طريق ، فقال : واللهِ لَأُنحيَنَّ هذا عنِ المسلمِين لا يؤذِيهِم؛ فأُدخِلَ الجنَّة). [رواه مسلم].. فهذا ثواب من كفَّ عن المسلمين أذى وإن كان يسيرا .. وإن لم يتسبب فيه.

إن مجرد كف الأذى لَهُو معروفٌ وإحسان يثاب عليه المسلم .. قال (صلى الله عليه وسلم): (تكفُّ شرَّكَ عنِ الناسِ فإنها صدقةٌ منكَ على نفسِك) (رواه مسلم) . ولما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أيُّ المسلمين خَير ؟ قال : (مَنْ سَلِمَ المسلِمُونَ مِنْ لسانِهِ ويدِه) (متفق عليه) ، وفي رواية : (المسلمُ مَنْ سلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه) ثم تأتي رواية شاملة للناس جميعًا فعن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعاصِ (رضي الله عنه) قال : إنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ). قال ابن حجر – رحمه الله –: فيقتضي حصر المسلم فيمن سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمراد بذلك المسلم الكامل الإسلام ، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فإنه ينتفي عنه كمال الإسلام الواجب ؛ إذ سلامة المسلمين من لسان العبد ويده واجبة ، وأذى المسلم حرام باللسان أو اليد.

وللإيذاء صور كثيرة ، وعلى المسلم أن يتجنب جميعها ؛ خاصة ما ورد النص عليه تنبيها لخطره وتعظيما لأثره .. ومن صور الأذى ما ورد في الغيبة والنميمة وأذية الجيران والخدم والضعفاء قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ ظلمَ معاهَدًا أو انتقصَه أو كلَّفهُ فوقَ طاقتِه أو أخذَ منه شيئا بغير طيب نفسه فَأنا حجِيجُهُ يومَ القيامة) [رواه أبو داوود].

فإذا كان هذا في ظلم المعاهَدِين فكيف بمن ظلم إخوانه المؤمنين ؟! عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : (قِيلَ يا رسولَ الله .. إنّ فلانةَ تصلِّي الليلَ وتصومُ النَّهارَ وتؤذِي جيرانَها بلسانِها ، فقال : لا خيْرَ فيها .. هي في النَّار) . (رواه أحمد). وقال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلا يؤذِ جارَه) [متفق عليه].

ومن صور الأذى : السباب والشتائم والغيبة والنميمة والقدح في الأعراض ، والله – تعالى – يقول: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ} (سورة النور: ١٥) ، وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : (صعِدَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) المنبر فنادَى بصوتٍ رفِيعٍ ، فقال : (يا معشرَ مَنْ أسلَمَ بلسانِهِ ولمْ يُفضِ الإيمانُ إلى قلبِه .. لا تُؤذُوا المسلمِينَ ولا تُعيرُوهُمْ ولا تتَّبِعُوا عورَاتِهِم ؛ فإنَّ مَنْ تتبَّعَ عورةَ أخيهِ المسلمِ تتبعَ اللهُ عورتَه ، ومنْ تتبعَ الله عورتَه يفضحْهُ ولو في جوفِ رَحلِه) ونظر ابن عمر يوما إلى البيت أو إلى الكعبة ، فقال : ما أعظمك وما أعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمةً منك) .

[رواه الترمذي].

كل ذلك يوضح خَطَرَ اللِّسانِ فعلى المسلم أن يعمل بِمَا قالَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ): (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت) ، ويعمل بما قالَهُ سَيِّدُنا عَبْدُ اللهِ بن مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) حَيْثُ أَمْسَكَ لِسانَهُ وخاطَبَهُ قائلاً : يا لِسانُ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ واسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَم.

فَإِيّاكَ أيها الْمُسْلِم وَالاِسْتِهْزاء بِأَخِيك الْمسلم بِكَلام تَجِدُه سهلاً على لسانك يكون سببًا في عَذاب النار يوم القِيامَةِ وإِيّاكَ وسَبَّ مسلم أَو لعنه بِغيْرِ حَقٍّ فَإِنّكَ تَجِد وَبالَهُ يَوْمَ لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وإِياك أَن تغتابَ مسلمًا فَيَكُونَ سَبَبَ عَذابِكَ في قَبْرِكَ وإِيّاكَ أَنْ تَرْمِيَ مُسْلِمًا أو مُسْلِمَةً بِالزِّنَى فَتَهْلِكَ في الآخِرَةِ فَالعاقِلُ مَنْ عَقَلَ لِسانَهُ ووَزَنَ قَوْلَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ بِهِ فَكُلُّ ما تَتَلَفَّظُ بِهِ يَكْتُبُهُ الْمَلَكانِ الْمُوَكَّلانِ بِذَلِكَ ، فَقَدْ قالَ اللهُ تَعالى : {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ *وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} (ق: ١٧ – ٢٢) ، واجتمع قس بن ساعده وأكثم بن صيفي فقال أحدهما للآخر : كم وجدت في ابن آدم من عيوب ؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى ، والذي أحصيته كثير ، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها ، قال : ما هي ؟ قال : حفظ اللسان.

احفظ لسانك أيها الإنسان *** لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه *** كانت تهاب لقاءه الشجعان

فالمسلم لا يؤذي غيره بلسانه وكذلك المسلم يسلم المسلمون من شر يده ، فلا يؤذِ أحدًا بِضَرْبٍ أو قَتْلٍ ، أو سرقة ، أو كتابةِ ما يضر المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم، أو يخدش في أعراضهم. ويدخل في ذلك الاستيلاء على حقوقهم عن طريق الظلم والمعاملات المحرمة. وينبغي للمسلم أن يعلم بأن أذية المسلمين من أعظم ما يقضي على حسنات المرء في الآخرة. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) . وقال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: سألت النبي (صلى الله عليه وسلم): أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ قَالَ: (إِيمانٌ بِاللهِ وَجِهادٌ في سَبيلِهِ قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقابِ أَفْضَلُ قَالَ: أَغْلاها ثَمَنًا وَأَنْفَسُها عِنْدَ أَهْلِهَا قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ قَالَ: تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ قَالَ: تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّها صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِها عَلى نَفْسِكَ) . فمن تمام الإسلام أن يسلم المسلمون من يدك، فلا تؤذ أحدًا بفعلك.

ومن صور الأذى الكتابة على أملاك الآخرين بلا إذن من صاحب الملك، وتشويه الشوارع العامة بكتابة ما يتنافى مع ديننا وقيمنا وأخلاقنا وذوقنا ، ورمي المخلفات في الطريق.

ومن صور الأذى التدخل في خصوصيات الأقارب والجيران وتتبع عوراتهم وإبداء الرأي في أحوالهم وإلقاء اللوم عليهم ونقد تصرفاتهم دون استشارة منهم أو إذنهم وعلمهم بذلك في الوقت الذي لا يسمح المتكلم لأحد التدخل في شؤونه.

ومن صور الأذى التدخل في عمل الغير وتتبع عوراته وهو لا يمت بصلة إلى هذا العمل من أي جهة وليس مسؤولاً عنه ، ولا مخولاً بذلك ، بينما كان الواجب عليه أن ينصحه إذا رأى تقصيرًا واضحًا دون التدخل في هذا العمل ، ففي الحديث عن عليٍّ بنِ حسينٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (مِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تَركُه ما لا يَعنيهِ).

وصور الأذى لا تكاد تنحصر في الناس من كثرتها ، مما يدل على سوء الأخلاق ، وينافي تعاليم الإسلام الذي جعل الأخلاق من أجلِّ العبادات وأفضلها. وفي ذلك من التشديد قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (من آذَى الْمُسْلِمِينَ في طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عليه لَعْنَتُهُمْ) (رواه الطبراني بإسناد حسن).

إن الله عز وجل كما تعبدنا بفعل الطاعات تعبدنا أيضا بحفظ حرمة المسلمين وعدم التعدي عليها بنوع من الأذى. فالمسلم كما يؤجر على فعل الطاعات وبذل المعروف كذلك يؤجر على كف الأذى وصرف الشر عن المسلمين لأن ذلك من المعروف ويدخل في معنى الصدقة.

إن دفع الأذى عن المسلم أمرٌ محمود عندَ الله جلّ وعلا، وفعلٌ مرغوب كما يقول أحد السّلف معبِّرًا عن منهاج النبوّة: (اجعَل كبيرَ المسلمين عندك أباً، وصغيرَهم ابنًا، وأوسطَهم أخًا، فأيّ أولئك تحبّ أن

تسيء إليه)، ويقول آخر: (ليكُن حظّ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضرَّه ، وإن لم تُفرحه فلا تغمَّه، وإن لم تمدَحه فلا تذمَّه). فالمسلم الحقيقي هو الذي تظهر عليه آثار الإسلام وشعائره وأماراته ، هو الذي يكف أذى لسانه ويده عن المسلمين ، فلا يصل إلى المسلمين منه إلا الخير والمعروف.



الإتقان سبيل الأمم المتحضرة

أولًا: العناصر:

١- دعوة الإسلام إلى إتقان العمل.

٢- إتقان العمل واجب ديني ووطني.

٣- الإتقان سبيل رفعة البلاد.

٤- المراقبة والمتابعة طريق الإصلاح.

ثانيًا ـ الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- يقول الله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (التوبة:١٠٥).

٢- ويقول تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} (الكهف: ٣٠) .

٣- ويقول تعالى:{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ } (النمل: ٨٨).

٤- ويقول تعالى :{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} (آل عمران: ١٩٥).

٥- ويقول تعالى:{...إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (يوسف: ٩٠).

٦- ويقول تعالى:{...وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (النساء: ١٢٨).

٧- ويقول تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } (هود: ١١٧).

الأدلة من السنة والآثار:

١-عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنّ اللهَ (عز وجل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) وفي رواية : (إن الله تعالى يُحب من العامل إذا عمل العمل أن يُحسن) (شعب الإيمان للبيهقي).

٢-وعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ الْجَرْمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي كُلَيْبٍ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةً شَهِدَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ، فَانْتَهَى بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُمْكِن لَهَا، قَالَ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (سَوُّوا لَحْدَ هَذَا) حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ) [شعب الإيمان للبيهقي].

٣- و عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ

إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، قَالَ صَدَقْتَ.... قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...)

[متفق عليه].

٤-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)

[صحيح مسلم].

٥-وقال أبو بكر (رضي الله عنه): (إن عليك من الله عيونًا تراك)

[مجمع الأمثال للميداني].

٦-وقال عمر (رضي الله عنه): (إلى الله أشكو ضَعْفَ الأمين وخيانة القوى) [مجمع الأمثال للميداني].

ثالثاً- الموضوع:

إن الإتقان في العمل والاهتمام به والمحافظة عليه والتميز فيه من أهم القيم والمبادئ التي دعا إليها الإسلام ، فهو أساس نهضة الأمة ، به يعلو شأنها، وتستقيم حياتها، وبه يكون بناؤها بناءً قويًا شامخًا، والإتقان هو الذي تقوم عليه الحضارات، ويعمر به الكون وكذلك هو هدف من أهداف الدين يسمو به المسلم ويرقى به إلى مرضاة الله تعالى والإخلاص له ، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، وإخلاص العمل لا يتم إلا بإتقانه.

ولقد لفت الله تعالى أنظارنا إلى الإتقان، حيث خلق كل شيء بإتقان مُعجز، يقول تعالى:{...صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

تَفْعَلُونَ}(النمل: ٨٨)، وأوجب على الإنسان السعي نحو الإحسان والإجادة ، ونهاه عن الإفساد فقال: {...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[البقرة: ١٩٥]، وقال: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}(القصص: ٧٧).

ولقد دعانا القرآن الكريم في كثير من آياته إلى إتقان العمل وتجويده والإخلاص في أدائه طلبًا لمرضاة الله تعالى، ونصحًا لعباده، وخدمة وتعاونًا بين أفراد المجتمع، ووعد على ذلك الثوابَ العظيمَ والثناء الحسن في الدنيا والآخرة ، وبيَّن أن الإنسان وهو يزاول عملًا ما يكون تحت رقابة الله العليم بمكنونات الصدور وخفايا القلوب، وأنه لا يغيب عنه مثاقيل الذر من أعمال العباد،

فهو سبحانه يسطرها لهم ويسجلها عليهم ويجازيهم بها يوم يلقونه، قال تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (يونس:٦١)، فالله تعالى مطلع على جميع أحوالكم في حركاتكم وسكناتكم، فراقبوا الله تعالى في أعمالكم وأدوها على وجه النصيحة والاجتهاد فيها، فعلى كل عامل أن يتقن عمله ويبذل فيه الجهد لإحسانه وإحكامه تعبدًا وتقربًا إلى الله تعالى قبل أي شيء آخر، فالله عز وجل هو الذي يراه ويراقبه في عمله، يراه في مصنعه وفي مزرعته وفي أي مجال من مجالات سعيه، يقول تعالى:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (التوبة: ١٠٥).

يقول الشوكاني رحمه الله: قوله :{وَقُلِ اعملوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمؤمنون} فالأمر فيه تخويف وتهديد : أي إن عملكم لا يخفى على الله ، ولا على رسوله ولا على المؤمنين ، فسارعوا إلى أعمال الخير ، وأخلصوا أعمالكم لله عزّ وجلّ ، وفيه أيضًا ترغيب وتنشيط ، فإن من علم أن عمله لا يخفى سواء أكان خيرًا أم شرًّا رغب إلى أعمال الخير ، وتجنب أعمال الشرّ، وما أحسن قول زهير :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ** وإن خالها تخفى على الناس تعلم

والمراد بالرؤية هنا : العلم بما يصدر منهم من الأعمال ، ثم وعد سبحانه بوعيد شديد فقال : { وَسَتُرَدُّونَ إلى عالم الغيب والشهادة } أي : وستردّون بعد الموت إلى الله سبحانه ، الذي يعلم ما تسرّونه وما تعلنونه ، وما تخفونه وما تبدونه) (فتح القدير).

وفي السنة النبوية دعوة إلى محاولة الوصول إلى الأفضل والأحسن والأتقن ، ففي الصلاة يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وفي قراءة القرآن يقرؤه الماهر به الذي بشره الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه مع السفرة الكرام البررة ، وفي قصة مشروعية الأذان حينما رأى عبد الله بن زيد الرؤيا قال له الرسول (صلى الله عليه وسلم): (أَلْقِهِ عَلَى بِلاَلٍ، فَإِنَّهُ أَنْدَى مِنْكَ صَوْتًا) (سنن البيهقي)، ويأمر من يلي أمر الميت بقوله: (إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ) [رواه مسلم]. وهكذا بينت السنة

النبوية أن كل عمل يعمله الإنسان لابد وأن يكون حسنًا متقنًا، وأن يراعي الله تعالى فيه؛ لأن الله مطلع على قلوب العباد ويحصي عليهم أعمالهم دقَّت أو جلَّت.

فالإحسان والإتقان والحرص على بلوغ الكمال في العمل قربة وطاعة لله عز وجل، وإن لم ينتفع الإنسان بذلك في الدنيا ؛ لأنه فعل شيئًا يحبه الله تعالى، فعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ الْجَرْمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي كُلَيْبٍ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةً شَهِدَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ، فَانْتَهَى بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُمْكِن لَهَا، قَالَ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (سَوُّوا لَحْدَ هَذَا) حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ)[شعب الإيمان]، فهاهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمر بالإتقان في موضوع لا ينفع ولا يضر، لكنه يريد أن يُربيَ المسلمين على الإجادة والإتقان، يريد تربية الشخصية المسلمة على تَلَمُّسِ طريق الكمال.

والذي يتقن عمله ويحسنه لن يضيع سعيه وجهده، بل سينال جزاءً حسنًا في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}(الكهف:٣٠)، ويقول تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}(آل عمران: ١٩٥)، فالذي يسعى نحو الإجادة والإتقان في كل عمل يعمله صالحٌ فاضلٌ، نورُ الهدى ساطع في قلبه،

حريص على حقوق الله وحقوق الناس، معتصم بالفضيلة يضع كل شيء في مكانه الجدير به واللائق له، فالمسلم مطالب بالإتقان في كل أعماله التعبدية والسلوكية وما يتصل منها بالمعايش لأن كل عمل يقوم به المسلم يعد عبادة ما دام مقرونًا بنيّة التعبد لله تعالى يُجازى عليه، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأنعام: ١٦٢).

أما الذي لا يتقن عمله ولا يراقب الله تعالى فيه فإنه آثم، آثم بقدر ما يتسبب فيه من ضياع الأموال وإهدار الطاقات، فهذا الموظف الذي يقصر ويهمل ولا يتقن عمله ويرضى لنفسه أن يتقاضى أجرًا حرامًا يخاصمه فيه الشعب كله يوم القيامة، فهذا عمر (رضي الله عنه) يقول لمعيقيب عامله على بيت المال الذي أعطى ولده درهمًا وجده وهو يكنس بيت المال: (ويحك يا معيقيب! ' أوجدتَ عليَّ في نفسك شيئًا؟ قال قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد (صلى الله عليه و سلم) في هذا الدرهم؟!) [الورع لابن أبي الدنيا].

فهذا الذي يعمل في رصف الطرق فلا يراعي الله في عمله فيتسبب في فساد الطرق آثم بقدر ما يتسبب فيه من حوادث وقتل، وهذا الفلاح الذي لا هَمَّ له إلا جمع المال وفي سبيله يُهلك أجسام الناس بالمبيدات السامة غشاش قاتل يأثم بقدر كل كبد أفسده وبقدر كل كُلْيَةٍ أفشلها، وهذا الصانع الذي لا يتقن صنعته فينتج سلعة مغشوشة آثم غشاش يدخل

فيمن تبرأ منهم النبي (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) [صحيح مسلم].

فمن كانت هذه صفتهم يتحملون وزر تأخر الأمة وتخلف البلاد، نشكوهم إلى الله تعالى، يقول عمر (رضي الله عنه): (إلى الله أشكو ضَعْفَ الأمين وخيانة القوى)، أما يعلم هؤلاء جميعًا أن الله يراهم، {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق: ١٤]، ألم يعلموا أن الرقيب عليهم هو الله تعالى؟! {...إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا})النساء: ١).

إن من أشد أسباب تأخرنا وإهدار الطاقات والثروات في بلادنا وجود نوعية من الموظفين أو من العاملين في المجالات المختلفة لا يبالون بما وقعوا فيه من تقصير أو تأخر أو غياب، يخرجون من أعمالهم قبل إنهاء ما كلفوا به من أعمال وأداء ما حُمِّلُوه من أمانة، متناسين أن هذه الأعمال أمانة سيسألون عنها يوم القيامة، {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}(الصافات: ٢٤).

إن وطننا الحبيب لن ينهض ويحقق آماله إلا بعد أن يزكي كل عامل قلبه بالإخلاص وينقي لُبَّهُ بالإحسان، ويعلم أنه لن تعلو مرتبته إلا بحسن العمل وجودة الإنتاج، وسلامة الصنع ونبل المقصد، وسيجد المجتمع عند ذلك في إتقان العمل ما يوفر الجهد والمال والوقت وما يحفظ الحقوق من الضياع والإهمال، وهنا تسعد البلاد وتنعم بهذا الإتقان ويجني من ثمار عقول وسواعد أبنائها ما يغنيها عن غيرها ويحفظ لها عزتها وكرامتها، أما حين يسود الإهمال ويستبدُّ الكسل والخمول وينعدم الضمير فسيتجرع المجتمع مرارة ذلك، ويسهم ذلك في تخلف الأمة برمتها.

إن مـن أسـباب تقـدم غيرنـا في الميـادين المختلفـة إتقـان العمـل وإحسانه وقيام كل فرد بواجبه وما يناط به من عمل على خير وجه، فمن أتقن وأحسن تقدم وإن كان كافرًا، ومن أساء وقصر شقي وتأخر وإن كان مسلمًا، يقول ابـن تيميـة (رحمـه الله): (إنَّ اللَّـهَ يُقِيمُ الدَّوْلَـةَ الْعَادِلَـةَ وَإِنْ كَانَـتْ كَـافِرَةً، وَلَـا يُقِيمُ الظَّالِمَـةَ وَإِنْ كَانَـتْ مُسْلِمَةً)[فتـاوى ابـن تيميـة]، فهذه سنة الله في خلقه، وقد قال الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}(هـود: ١٥)، وفي نفس السورة يقول عز وجل: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}(هود: ١١٧)، فالله سبحانه لا يخلف سننه مع من يصلحون بها دنيـاهم ولـو كـانوا أهـل إشـراك، فـإذا مـا أدرك المسـلم أهميـة الإتقـان وضـرورته ومـا يـؤدى إليـه مـن نتـائج جيـدة، وإذا أدرك كـذلك عاقبـة الإهمال والتقصير وخطورتـه ومـا يـؤدى إليـه مـن عواقـب وخيمـة دفعـه ذلك إلى الإتقان وإجادة ما يقوم به من أعمال لينفع نفسه ومجتمعه.

ما أحوجنا اليوم إلى أن نربيَ أجيالًا على مراقبة الله تعالى، فالمراقبـة تكسب الأمـة المسـلمة الإخـلاص في العمـل، كمـا أنهـا تجـرد العمـل مـن مظاهر النفاق والرياء، فكثير من الناس يتقن عمله ويجوّده إن كان مراقبًا من رئيس له، أو قصد بـه تحقيـق غايـات لـه أو سعى إلى السـمعة والشـهرة لأنـه يفتقـد المراقبـة الداخليـة الـتي تجعلـه يـؤدي عملـه بإتقـان في كـل الحالات دون النظر إلى الاعتبارات التي اعتاد بعضهم عليها.

فأين نحن من مراقبة الله تعالى؟! وأين نحن من الإحسان الذي ذكره النبي (صلى الله عليه وسلم): (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)، ورحم الله ابن المبارك حيث قال لرجل: (رَاقِبِ اللهَ تعالى، فسأله عن تفسيره فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله عز وجل)[إحياء علوم الدين]، ويقول أبو بكر (رضي الله عنه): (إن عليك من الله عيونًا تراك)، فالمسلم يستشعر دائمًا أن الله تعالى يراه ويطلع عليه فيتقن عمله إرضاءً لله تعالى، بغض النظر عمن يراه ويراقبه من الخلق.

إن تَمَثُّلَ هذه المعاني الإيمانية هو المخرج مما يعانيه المجتمع، فإنه من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسانٍ حارسًا يحرسه، أو مراقبًا يراقبه، وحتى لو فعلنا ذلك فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، لكن من السهل أن نُربيَ في كل إنسانٍ ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إلى الخير لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم.



إسهامات الشباب في الحضارة الإسلامية

أولا: العناصر:

١- مكانة الشباب في الإسلام.

٢- دور الشباب في النهضة العلمية للحضارة الإسلامية .

٣- دور الشباب في الحفاظ على الفكر الوسطي المعتدل .

٤- دور الشباب في حاضر الوطن ومستقبله.

ثانيا : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- يقول الله تعالى : {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (الروم : ٥٤).

٢- ويقول تعالى :{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا}(الكهف : ١٣،١٤).

٣- ويقول تعالى: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} (الأنبياء: ٦٠).

٤- ويقول تعالى : {يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} (مريم: ١٢).

الأدلة من السـنة :

١- عن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) [متفق عليه].

٢- وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ علمهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟)

[المعجم الكبير للطبراني].

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) [صحيح مسلم].

٤- وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ (رضى الله عنه)قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) [السنن الكبرى للنسائي مرسلا وله شاهد].

٥- وعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رضى الله عنه) قال: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِىَّ (صلى الله عليه وسلم) فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ ، فَقَالَ النَّبِىُّ (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)

[رواه الترمذي].

٦- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ)

[صحيح البخاري] .

٧- وعن عَبْد اللَّهِ بن مسعود (رضى الله عنه) قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شَبَابًا لاَ نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)

[متفق عليه].

٨- وعنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ قَالَ : فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ : فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ. [سنن الترمذي].

ثالثًا : الموضـــــوع :

إن الشباب هم القلب النابض والعمود الفقري لأي أمة من الأمم، فهم عماد حضارتها، وسر نهضتها، وأمل مستقبلها، لأنهم في سن البذل والعطاء، سن التضحية والفداء، فبعقولهم وبسواعدهم تتقدم المجتمعات ، وهم القوة بين الضعفين ، ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، قال الله تعالى :{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم من ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} (الروم : ٥٤).

ولقد اعتنى الإسلام بالشباب عناية فائقة ، ووجههم للخير والبناء، والإصلاح والعطاء، فهم الثروة الحقيقية ، ومنبع القوة والعزة لأي مجتمع من المجتمعات ، وقد ذكر القرآن الكريم العديد من النماذج الشابة من الأنبياء والمرسلين ، وغيرهم من الصالحين ، ليكونوا قدوة صالحة لشباب المسلمين، وكذلك ربّى النبي (صلى الله عليه وسلم)جيلاً من شباب الصحابة الكرام الذين ضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء ، والتضحية والفداء ، والعلم والعمل ، فكانوا خير قادة وأفضل سادة، ولقد صور القرآن الكريم هذه الحقيقة في قصة أصحاب الكهف، وهم شباب قاموا داعين لتوحيد الله تعالى في مجتمع طغت فيه الوثنية ، وانتشر فيه الإلحاد ، قال تعالى :{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} (الكهف: ١٣،١٤)، ولفظ (الفتية) ينطبق على المرحلة الزمنية التي يطلق عليها مرحلة الشباب بكل خصائصها وسماتها،

قال ابن كثير: (فِتْيَةٌ) وَهُمُ الشَّبَابُ، فهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ، وَأَهْدَى لِلسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ.

وإذا كان الإسلام قد اهتم بالشباب هذا الاهتمام ، وأولاه هذه العناية الفائقة فلا بد إذًا من الاستفادة من طاقاته ، وحسن توجيهها فيما يخدم بناء الوطن بناءً قويًّا اقتصاديا وثقافيًّا، حتى يستفيد منه المجتمع ، فهم عماد النهضات، وهم أهل العزائم والشجاعة والإقدام والتضحيات.

وهذا ما فعله النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقد كان يختبر ذكاء الشباب من صحابته ويعهد إليهم بما يتفق وإمكانات كل واحد منهم ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رَسُول اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَاسْتَحْيَيْتُ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنَا بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) هِيَ النَّخْلَةُ) [صحيح البخاري].

كما استفاد النبي (صلى الله عليه وسلم) من الشباب ، حيث جعل سيدنا مصعب بن عمير (رضي الله عنه) أول سفير في الإسلام ، وأَمَر أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) أن يتعلم السريانية فتعلمها في وقت قصير ، فعنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ قَالَ : فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ

حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ ، قَالَ : فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ. [سنن الترمذي].

ولقد رسم النبي (صلى الله عليه وسلم) منهجًا واضحًا في توجيه الشباب ممثلاً في ابن عمه عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حيث قال: (يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)

[سنن الترمذي].

ولقد كان للشباب دور بارز في نشر الدعوة الإسلامية وبناء حضارتها ، وذلك لما لهم من خصائص عقلية، ونفسية، وجسمية، أهّلَتهم للقيام بهذه المهمة ، فإن عامة أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) كانوا من الشباب حين كذّبه معظم شيوخ مكة ، فهم الذين أحاطوا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نشر دعوته ، حتى أصبحوا من أكثر الرواة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى جاوزت مروياتهم ألف حديث لكل راوٍ وهو دون الثلاثين من العمر عند وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فكان أبو هريرة (رضي الله عنه) الذي روى (٥٣٧٤) حديثًا في نحو السابعة والعشرين، وروى عبد الله بن عمر الذي (٢٦٣٠) حديثًا وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وكان أنس بن مالك (رضي الله عنه) الذي روى (٢٢٨٦)

حديثًا في العشرين من عمره ، وروت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) (٢٢١٠) أحاديث وهي بنت ثماني عشرة سنة ، أمَّا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) الذي روى (١٦٦٠) حديثًا فلم يتجاوز عند وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الثالثة عشرة من عمره، وكان جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) الذي روى (١٥٤٠) حديثًا حوالي سبع وعشرين سنة، وأمَّا سابعهم أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) الذي روى (١١٧٠) حديثًا فكان في نحو العشرين من عمره، وتبعهم عبد الله ابن مسعود الذي قاربت مروياته ألف حديث، وكان دون الأربعين عند وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم).

كما أن الشباب هم الذين ناصروه (صلى الله عليه وسلم) في جميع غزواته ، وهم الذين حملوا لواء الإسلام ومشعل النور في كل بقاع الأرض، فهذا أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يروي كلام النبي (صلى الله عليه وسلم)، فله مائة وثمانية وعشرون حديثا، ولقد ولاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إمارة الجيش وسنه دون العشرين، وفي الجيش أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأكابر الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) ، وكان قوامه ثلاثة آلاف من أصحاب رسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فلما طعن بعض الناس في إمارته قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وايم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن هذا لمن أحب الناس إلي) وزاد في رواية مسلم – وأوصيكم به فإنه من صالحيكم) .

ولا ينكر أحد ما لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من دور فعال في نصرة الإسلام وهو لا يزال شابًا يرقد في فراش النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة الهجرة تمويهًا على المشركين، مع علمه بما يدبره المشركون لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيضحي بنفسه وروحه في سبيل الله ، وعرّض نفسه للقتل ونقمة قريش، وكان عمره يومئذ ثلاث وعشرون سنة. وقد حمَّله النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ ذاك مسئولية ردّ الأمانات إلى أصحابها. وفي تلبيته (رضي الله عنه) أمْرَ النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلا للجندي الصادق المخلص لدعوة الإسلام ، حيث فدى قائده بحياته ، ففي سلامة القائد قوة الدعوة ، وفي هلاكه وهنها.

جدير بالذكر أن الشباب قد أسهم إسهامًا عظيمًا في بناء الحضارة الإسلامية منذ عصر النبوة من خلال تعلم العلوم الشرعية ونشر العلم النافع في كل مجالات الحياة ، فكان أكثر فقهاء الصحابة من الشباب ،حيث برز منهم العالم، والفقيه ، والمحدث ، والمفتي، وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) الذي كان أكثر الصحابة فتوى وأوسعهم فقهًا، حتى كان عمر (رضي الله عنه) يجلسه وهو شاب صغير مجالس الكبار من أهل بدر وغيرهم، ويقول: إن له لسانًا سؤولاً وقلبًا عقولاً، والذي جمعت فتاواه فبلغت سبعة أسفار كبار، وتبعه في الفقه وكثرة الفتوى عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، وقد كانا من شباب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فإذا نظرنا إلى المشهورين بالعلم والفقه من غيرهم رأينا معاذ بن جبل (رضي الله عنه) الذي كان ابن بضع وعشرين

حين أرسله النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى اليمن مفتيًا وقاضيًا، وكان حين أسلم ابن ثماني عشرة سنة، وشهد بيعة العقبة وهو شاب أمرد، ووصفه النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، وكان أحد المفتين في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأحد حفظة القرآن كاملاً في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم).

ومن هؤلاء الفقهاء: زيد بن ثابت، الذي وصفه النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه أفرض المسلمين، يعني أعلمهم بالفرائض، الذي أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة، والذي بعثه النبي (صلى الله عليه وسلم) ليتعلم لغة اليهود ليقرأ له كتبهم، فتعلمها في سبع عشرة ليلة، وكان أحد الذين حفظوا القرآن الكريم كله في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم حمَّله أبو بكر وهو ابن إحدى وعشرين سنة مسئولية جمع القرآن ، وهي من أخطر المهام على الإطلاق ، فكان أحق بها وأهلها، وكان أحد المفتين من الصحابة ، وأمَّا فقيهة النساء عائشة، فكانت في الثامنة عشر من عمرها حين توفي النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقد كان الصحابة يرجعون إليها فيما أُشكل عليهم، وما سألوها عن شيء إلا وجدوا عندها منه علمًا، وغير هؤلاء كثير من شباب الصحابة الذين اشتغلوا بالعلم منذ حداثة أسنانهم، فاستنارت بهم الأمة في شئون دينها ودنياها، وازدهرت بهم الحياة.

وفى العلوم الدنيوية : حث الإسلام على الأخذ بكل علم نافع ، فقد اهتم عدد كبير من الشباب المسلم بالرياضيات لتحديد المواقيت واتجاه

القبلة ، أشهرهم الخوارزمي واضع علم الجبر، وعلم الهندسة ، واهتموا بالطب والجراحة، وبنى المسلمون المستشفيات وأتقنوا علم الجراحة والصيدلة منهم : الرازي وابن سينا وابن النفيس ، واهتموا أيضا بعلم الفيزياء كابن الهيثم خاصة في علم البصريات ولا تزال نظرياته تدرس إلى الآن ، واهتموا بعلم الفلك لفهم بعض آيات القرآن وصنعوا المراصد الجوية لتتبع حركات النجوم .

وإذا كان للشباب الدور الأبرز في الحضارة الإسلامية ، فلا شك أن لهم دورًا مهمًا في الحفاظ على الفكر الوسطي المعتدل للإسلام ، فالإسلام دين السماحة، والوسطية ، ولا علاقة له بالإرهاب ، والتطرف والتشدد ، ولا سيما أن شريعته السمحة قد جاءت لما فيه صلاح العباد والبلاد، وبما يحقق للفرد وللأسرة وللمجتمع السعادة والأمن والاستقرار، مما يؤكد أن الجماعات الخارجة التي جعلت القتل والعنف ديدنها خارجة عن الدين الإسلامي، فهم امتداد للخوارج الذين استحلوا الدماء والأموال وعاثوا في الأرض فسادا، والإسلام منهم براء.

ولا شك أن على الشباب الآن الدور الأكبر تجاه حاضر الوطن ومستقبله ، فعلى الشباب الآن بصفة خاصة أن يتسلحوا بالعلم والمعرفة، حتى يكونوا أقوياء في مواجهة التحديات ، وأن يطلبوا العون والمدد من الله تعالى ولا يتعجلوا النتائج، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ

بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ).

وعلى الشباب أن يتمسك بالفكر المعتدل النابع من الفهم الصحيح للإسلام ، وأن يكون له شخصيته المتميزة ، حتى يكون مؤهلا لحمل الرسالة ، وتأدية الأمانة ، وقيادة سفينة النجاة لإنقاذ الأمة من حيرتها ومن تخبطها ، والوصول بها إلى طريق الرشاد والأمن والسعادة والاستقرار والتقدم وعلى الشباب أن يتحلى بروح المبادرة إلى الخير والعمل الصالح، فقد كان الصحابة يبادرون ويتسابقون إلى فعل الخيرات ، فمن ذلك ما قاله عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال:(أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) ، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ). فالمراد خلق روح التنافس بين الشباب بصفة خاصة وبين الناس بصفة عامة على التسابق في أوجه الخير ، قال تعالى :{ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} (البقرة:١٤٨).

كذلك على الشباب أن يحسنوا توظيف طاقاتهم ، فلديهم طاقات هائلة لو أحسنوا استثمارها، ووجّهوها إلى أبواب الخير ، وميادين الإصلاح والتنمية ، لكانت سببا في رقي المجتمع وتقدمه وتحضره،

فالإسلام لا يقبل أن يعيش الشباب عالة على المجتمع ، بل دعا الشباب إلى العمل والإنتاج ، فعن كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) [المعجم الكبير للطبراني].

وقد عمل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في صباه برعي الغنم ، كما عمل في شبابه بالتجارة في مال السيدة خديجة (رضي الله عنها) ، فهل لشبابنا أسوة وقدوة في رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟ ، وبخاصة في اغتنام شبابهم في الخير ، فعنَ مُعَاذِ بن جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لا تَزُول قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟)

[رواه الطبراني ، وكذا أخرجه الترمذي وقال :حديث صحيح] .

كذلك على الشباب أن يحسنوا استثمار الوقت، فالوقت أمانة سَنُسأل عنها يوم القيامة حتى إن الأسئلة الأربعة التي توجّه إلى المكلف يوم القيامة يخص الوقتَ منها سؤالان رئيسان ، فالإنسان يسأل عن عمره عامة

، وعن شبابه خاصة ، والشباب جزء من العمر ولكن له قيمة مميزة باعتباره سن الحيوية والنشاط والقوة فعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) (سنن النسائي) ، فالوقت نعمة لا يعرف قيمتها إلا الموفقون فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ) [رواه البخاري] .

وقد حث النبي (صلى الله عليه وسلم) الشباب على فعل الخير والطاعة ، وبين لهم فضل العبادة ، لاسيما في مرحلة الشباب ، حيث يظلهم الله في ظله، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ....) كذلك على الشباب أن يناهضوا الفكر المتطرف والبعيد كل البعد عن الفكر الإسلامي المستنير، فبدلا من أن يكونوا حقلا لتجارب من لا علم لهم ولا دين ، عليهم أن يكونوا جنودا أوفياء لدينهم ، فيتسلحون بالعلم والفهم المستنير لدينهم.

إننا في حاجة إلى أن نعيد تأهيل الشباب تأهيلاً مبنياً على العلم والدين الصحيح، ودفعه إلى العمل والإنتاج والابتكار بعيدًا عن تلك الثقافات التي تسربت إلى أخلاقيات المجتمع عامة والشباب خاصة ، وأن نغرس في نفوس الشباب احترام الآخر .

كما أنه لن ينهض مجتمع إلا بالتعاون المثمر القائم على المحبة والمودة والاحترام الكامل بين الشباب والشيوخ ، حيث يفيد الشباب من حكمة وخبرة الشيوخ ، ويفيد الشيوخ من طاقة وقوة الشباب، فيوجه كل واحد منهما عِلْمَه وتجربته إلى ما يعود نفعه خيرًا على الوطن والمواطنين.



إسهامات المرأة في الحضارة الإسلامية

أولا : العناصر :

١- مكانة المرأة في الإسلام.

٢- رعاية الإسلام للمرأة في جميع مراحل حياتها.

٣- إسهام المرأة في بناء الحضارة الإسلامية.

أ- دور المرأة في بناء المجتمع .

ب- دور المرأة في المشاركة الوطنية.

ثانيًا : الأدلـة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (التوبة: ٧١).

٢- وقال تعالى:{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } (الأحزاب: ٣٥).

٣- وقال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}(آل عمران: ١٩٥).

٤- وقال تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل: ٩٧).

٥- وقال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}

(الحجرات:١٣).

٦- وقال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً}

(النساء: ٧).

٧- وقال تعالى : {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} (الفرقان: ٧٤).

الأدلـة من السـنة :

١- عَنْ أَبِي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَة إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ ، فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا) فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّم بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً، إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ) فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ واثْنَيْنِ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ: (وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ) [متفقٌ عَلَيْهِ].

٢- وعند الترمذي من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)قَالَ: (لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ). [سنن الترمذي].

٣- وعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: (لَمَّا أُصِيبَ أَكْحُلُ سَعْدٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَثَقُلَ، حَوَّلُوهُ عِنْدَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: رُفَيْدَةُ، وَكَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى، فَكَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا مَرَّ بِهِ يَقُولُ: (كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟)، وَإِذَا أَصْبَحَ: (كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟) فَيُخْبِرُهُ) (الأدب المفرد).

٤- وعن الرُّبَيِّع بنت معوذ الأنصارية قالت : (كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَنَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ ، وَنَرُدُّ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى إِلَى الْمَدِينَةِ) [رواه البخاري].

٥- وعن عطاء بن أبى رباح- رحمه الله- قَالَ: (كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ وَأَعْلَمَ النَّاسِ وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ)

[رواه الحاكم في المستدرك].

ثالثًا : الموضوع:

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة ، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال ، خُلقا من أصل واحد- خلقا من ذكر وأنثى- يَسعد كل منهما بالآخر، ويأنس به في هذه الحياة، فهما في الإنسانية سواء ، قال عز من قائل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات: ١٣).

ولم تعرف البشرية دينًا ولا حضارةً عنيت بالمرأة أجمل عناية وأتم رعاية كالإسلام؛ فقد تحدث عن المرأة وأكد على مكانتها وعظم منزلتها، وجعلها مرفوعة الرأس عالية القدر، لها الاعتبار الأسمى والمقام الأعلى، حيث تتمتع بشخصية محترمة وحقوق مقررة وواجبات معتبرة.

فالمرأةُ في ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاتِه الحكيمة تعيش حياةً كريمة في مجتمعها المسلم، حياةً مِلؤها الحفاوةُ والتكريم من أوَّل يوم تَقْدُم فيه إلى هذه الحياة ، مُرورًا بكل حال من أحوال حياتها ، أُمًّا كانت ، أو بنتًا ، أو أختًا ، أو زوجة ، أو امرأة من سائر أفراد المجتمع .

والإسلام الحنيف أراد للإنسان رجلا أو امرأة أن يقوم بدوره في قيادة البشرية والسير بها في طريق الخير والمحبة والسلام ، والوصول إلى مرضاة الله سبحانه، قال تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}(آل عمران: ١١٠) ، وقال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (البقرة: ١٤٣) ، وقال: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} (الفرقان: ٧٤).

فمن هذه المفاهيم وغيرها نجد أن الإسلام يريد أن يُعِدَّ أمة قائدة رائدة في طريق الخير والحضارة المدنية بما لديها من رسالة إنسانية ، يشترك في ذلك الرجل والمرأة على السواء. إذ إن الحضارة الإسلامية تحتل مكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، كما أنها من أطول الحضارات عمرًا، وأعظمها أثرًا في الحضارة العالمية ، لأن من خصائصها أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة.

ولقد أسهمت المرأة في بناء الحضارة الإسلامية إسهاماً واضحاً من خلال أدوارها المختلفة في المجتمع ، فللمرأة دورها المهم في بناء المجتمع ، حيث إن وجودها بارزٌ وواضحٌ في كل مجالات الحياة ،فهذه

أم المؤمنين السيدة أم سلمة (رضي الله عنها وأرضاها) صبرت على فراق ابنها الصغير قبل الهجرة ثم صبرت على وفاة زوجها أبو سلمة حتى كافأها الله بالزواج من النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان لها دور سياسي بارز في صلح الحديبية عندما شعر المسلمون بأن بنود الصلح كان بها إجحافٌ ، وأنهم لن يعتمروا هذا العام ، فلم يبادروا بالتحلل من الإحرام، فدخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) خيمته وذكر لأم سلمة ما لقي من الناس ، فأشارت عليه بأن يبدأ بنفسه ، ويتحلل من الإحرام ، وعندئذ سيضطر الجميع إلى التحلل من الإحرام، فتكون بذلك قد أسهمت بالرأي الذي قدمته للنبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين في تقديم حل عملي يسهل على المسلمين الأخذ به ، وهو ما فعله النبي (صلى الله عليه وسلم) .

ولقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن نسيبة بنت كعب : (إنني في غزوة أحد ما تلفت يمينا ولا شمالا إلا ورأيت أم عمارة تقاتل دوني) حتى جاء من يريد أن يقتل الرسول كلما أراد أن يطعن رسول الله (رضي الله عنها) يجد أم عمارة أمامه ، وأخذ يضربها بالسيف حتى غارت عظام كتفها من شدة ضرب السيف عليه، فقال لها الرسول: (ما أشد ما تطيقين يا أم عمارة) قالت : بل أطيق وأطيق وأطيق يا رسول الله ، فقال لها النبي (صلى الله عليه وسلم) : (سليني يا أم عمارة) ، قالت : أسألك مرافقتك في الجنة يا رسول الله ، فقال (صلى الله عليه وسلم): لست وحدك يا أم عمارة ، بل أنت وأهل بيتك).

ولم يقتصر دور المرأة المسلمة على هذا الجانب ، بل كانت حريصة على طلب العلم والاهتمام به منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى العصور الزاهية بالعطاء والإشعاع العلمي، والإسهام في البناء الحضاري ، إذ كانت تطلب من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يخص النساء بمجلس علم ، ففي الحديث عن أَبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ، قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَة إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَتْ: ي َا رَسُولَ اللهِ ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ ، فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا) فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّم بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً، إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ) فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ واثْنَيْنِ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ: (وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ) [متفقٌ عَلَيْهِ].

ومن ثم تعلمت المرأة علوما شتى، فأسهمت إسهامات فعالة في الحركة العلمية منذ عصر النبوة إلى الوقت الحالي ، وكان لها دور كبير في تعليم العلوم الشرعية، والعلوم اللغوية وتبليغها عبر العصور ، بالإضافة إلى علم الطب والفلك والرياضيات والتمريض والحساب وغيرها، فبرزت نساء عالمات ، وفقيهات ، ومحدثات ، ومفتيات، وأديبات، وشاعرات، وفي مجالات الطب والصيدلة والعمل الخيري، وقد كانت النواة الأولى لذلك أمهات المؤمنين ، وعلى سبيل المثال: السيدة عائشة (رضي الله عنها)كان بيتها مدرسة و جامعة لمختلف العلوم ، حتى قال الزهري: (لو جُمع علم

عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل) ، وكان عطاء بن أبى رباح- رحمه الله- يقول: (كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ وَأَعْلَمَ النَّاسِ وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ) [رواه الحاكم في المستدرك]. وقد أخذ العلمَ عنها كثيرٌ من الصحابة والتابعين،وكذلك أم سلمة (رضي الله عنها) التي اشتهرت بالفقه ، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين ، والسيدة عَمْرَة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، وكانت يتيمةً في حجر عائشة (رضي الله عنها) وتربَّتْ تحت ظِلِّها، وكانت من أعلم الناس بحديثها، قال عنها الزركلي في الأعلام: فقيهة عالمة بالحديث ثقة.

كما أسهمت المرأة بخبرتها في الطب والصيدلة في الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وبعد وفاته ، وعلى سبيل المثال: السيدة رُفيدة الأنصارية أول طبيبة ميدانية ، والتي كانت تداوي الجرحى في الغزوات والحروب، وتحتسب عملها خدمةً للمسلمين ، لقد ارتبط اسمها بخيمتها ، مع كل غزوة من غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وظهرت خيمة رفيدة على مسرح الأحداث بدءا من يوم أحد ، تستضيف الجرحى ، وتضمد جراحاتهم ، وتسعفهم ، وتسهر على راحتهم ، وتواسيهم ، فعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَكْحُلُ سَعْدٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَثَقُلَ، حَوَّلُوهُ عِنْدَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: رُفَيْدَةُ، وَكَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى، فَكَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

إِذَا مَرَّ بِهِ يَقُولُ: (كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟)، وَإِذَا أَصْبَحَ: (كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟) فَيُخْبِرُهُ)(الأدب المفرد) (والأَكْحَلُ: عِرْق في وسَط الذّراع يَكْثُر فَصْدُه).

وقد ظلت المرأة في الإسلام مشاركة في أمور الحياة العامة مع التزامها بوقارها وأدبها ، فقد عُرفت المرأة في الإسلام معلمة ومتعلمة وقائمة على شأن الفقراء والمساكين حتى أصبح منهن من تلقب بأم المساكين ، وهي (زينب بنت خزيمة) زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقد برز في حياة التابعين كثير من النساء الفضليات مثل حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين سيدة التابعيات ، والتي حفظت القرآن وعمرها اثنتا عشرة سنة، وأم الدرداء الصغرى هُجيمة الوصابية، فقد كانت فقيهة وهي زوجة الصحابي الجليل أبي الدرداء (رضي الله عنه).

وكما أسهمت المرأة في الحركة العلمية والبناء الحضاري ، فقد شاركت كذلك في نشر الدعوة إلى الله – عز وجل – جنبا إلي جنب مع الرجل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تحقيقا لقوله تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (التوبة: ٧١)

وقد ضربت المرأة المسلمة المثل الأعلى في الدعوة إلى الله (عز وجل) وهذه بعض النماذج التي توضح هذا الدور العظيم :

في عهد الخليفة المقتدر الخليفة العباسي كانت امرأة تسمى (ثِمْل) من ربات النفوذ والسلطان، وكانت الساعد الأيمن لأم المقتدر الخليفة ، وكلفتها الدولة (بالرصافة) سنة ٣٠٦هـ يعني النظر في شئون المظالم ، وكان يحضر في مجلسها القضاة والفقهاء والأعيان، توفيت عام ٣١٧هـ.

فاطمة السمرقندية : وهي ابنة محمد بن أحمد السمرقندي كانت فقيهة عالمة وكان أبوها لا تأتيه الفتوى إلا ويعرضها على ابنته ويسمع رأيها فكانت الفتوى تخرج بتوقيعين ، توقيعه وتوقيع ابنته، وتزوجت من ملك العلماء علاء الدين الكاساني ، وكانت تنظم الحلقات التي كان يقصدها الآلاف من طلبة العلم.

ذكر ابن بطوطة عند زيارته لمصر أنه لا يستطيع حصر النساء اللاتي أسهمن في المدارس العلمية ، وذكر منهن:

١- شمسية بَنَتْ عجلان التي بَنَت المدرسة الأشرفية.

٢- فاطمة ابنة قايتباي العمري الناصري التي عَمَّرت المدرسة الحنفية ، وأوقفت كتبا على طلبة العلم .

وقد ذكر الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة٩٠٤هـ المئات من المتخصصات في الحديث. وغيرهن من النساء الكثيرات اللاتي عرفن بإخلاصهن وكفاحهن واستمساكهن بالإسلام وتعاليمه.

ولم تقتصر مكانة المرأة في الإسلام على ذلك ، بل تعددت أدوارها عبر العصور والدهور، فحكمت ، وتولت القضاء ، وعلَّمت ، وخرجت أجيالا ساهمت في البناء الحضاري للأمة الإسلامية ، وغير ذلك كثير مما يشهد به التاريخ .

وصفحات التاريخ الإسلامي مليئة بالشخصيات والنماذج التي تظهر قيمة المرأة في الحضارة الإسلامية، وكم لها من إسهامات في بناء المجتمع وإرساء دعائمه.

إن الأعـداد الهائلـة مـن النسـاء اللـواتي أسـهمن في بنـاء الحضـارة الإسـلامية لـيس بوسـعنا أن نسـتوعب جمـيعهن في عـدة سـطور، ولكـن الأمثلـة المـذكورة كافيـة لتأكيـد مكانـة المـرأة في الشـريعة الإسـلامية، وإسهامها في بناء الحضارة وتعمير الكون.

جدير بالذكر أن دور المرأة لا يقل أهمية عن دور الرجل في الدفاع عن الوطن والإسهام في بنائه وحضارته ، فهي المربية التي تغرس في نفوس أبنائها حب الوطن والانتماء إليه وأن يكونوا عناصر إيجابية قوية وفعالة في الحياة.

فإذا أردنا إطلاق نهضة بناء حقيقية فعلينا أن نركز اهتمامنا علي الإنسان ، وينبغي الالتفات إلى أن المرأة هي نصف المجتمع ، فقد نظر الإسلام إليها نظرة سامية من حيث مشاركتها في ميادين الحياة و ممارستها لأنشطتها ، وتعليمها ، وعملها ، ومساعيها الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادي، والعلمية وفق الضوابط الشرعية ، فالمجتمع في حاجة إلى جهود جميع أبنائه رجالاً ونساءً وشبابًا وشيوخًا حتى ينهض بجهود أبنائه جميعًا.

*　　*　　*

التنمية الشاملة وسبل تحقيقها

أولا : **عناصر الموضوع** :

١- مفهوم التنمية ومعناها في الإسلام .

٢- أنواع التنمية ومجالاتها :

أ- التنمية الإيمانية .

ب- التنمية العلمية .

ج – التنمية الاجتماعية .

د– التنمية الاقتصادية.

٣- سبل تحقيق التنمية الشاملة.

ثانيا : **الأدلـة** :

الأدلة من القرآن الكريم :

١. قال تعالى :{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (التوبة:١٢٤).

٢. وقال تعالى:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (المجادلة:١١).

٣. وقال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } (فاطر: ٢٨) .

٤. وقال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}

(العلق:١– ٥).

٥. وقال تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٦١).

٦. وقال تعالى:{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران: ١٠٤).

٧. وقال تعالى:{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ}(آل عمران: ٩٢). وقال تعالى:{وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}(البقرة: ٢٧٥)، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } (البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩).

٨. وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } (النساء: ٢٩).

الأدلة من السنة :

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ) ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: (أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [رواه أحمد والحاكم] .

٢- وعن أبى الدرداء (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ..)

[رواه أبو داوود والترمذي].

٣- وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (... إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ...) [رواه الترمذي].

٤- وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) [متفق عليه] .

٥- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ(رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أُولَئِكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ) [رواه الطبراني في الكبير]

٦- وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ) [متفق عليه] .

٧- وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ في حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [متفق عليه].

٨- وعَنْ الْمِقْدَامِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قال:(مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) [رواه البخاري].

ثالثا : الموضـــوع :

لقد جاء الإسلام بالأسس المتكاملة التي يقوم عليها المجتمع المسلم ، والتي تمتاز بالشمول والواقعيّة ، وتضمن سير الحياة في المجتمع على وجه يحقق العدل والأمن والحياة الكريمة لكافّة أفراده ، من خلال إتاحة الفرصة للجميع بالمشاركة في التنمية الحضارية ، مما يؤدي إلى تطور المجتمع وتقدمه في كل المجالات ، اجتماعيًّا ، واقتصاديًّا، وزراعيًّا ، وصناعيًّا ، وغير ذلك من المجالات ؛ لمواكبة التطور المذهل في أنحاء دول العالم المتقدم خاصة النمور الاقتصادية وبالأخص التي تجِلُّ العلم وتجعله عماد نهضتها .

إن التنمية تعني طلب الزيادة والبركة، وذلك لأنها إدراك حقيقي للدور الذي يجب أن ينهض به الإنسان، ليؤدي الدور الاجتماعي الملقى على عاتقه في الحياة.

وقد ارتبطت التنمية في العصر الحديث بالجانب الاقتصادي والزراعي والصناعي ، وكثيرًا ما تتردد عبارات (التنمية الاجتماعية ، والزراعية ، والاقتصادية ، والصناعية) وغيرها .

أما النظرة الإسلامية لمفهوم التنمية فتشمل كل جوانب الحياة نظرة شاملة كاملة دافعة ومحرضة على تحقيق التنمية في شتى المجالات ، كالتنمية الإيمانية ، والعلمية ، والاجتماعية، والاقتصادية ، وغير ذلك.

هذا: وقد عني الإسلام بجوانب التنمية المختلفة والمتنوعة ، فمن ركائز التنمية في الإسلام ما يتصل بالإيمان ، فالإيمان يجب أن ينمو باطّراد ، فإذا لم يكن هناك نمو وزيادة في الإيمان تنعكس التنمية الإيمانية سلبًا في حياة الإنسان وسلوكه ، وبالتالي يتأثر المجتمع كلّه ، وفى ذلك يقول الله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (التوبة:١٢٤)، فزيادة الإيمان مع البشارة تعطى دفعة للعبد المؤمن وتأخذ بيده للعمل والتنمية والنشاط المتواصل الذي يعم بالخير والنفع عليه وعلى مجتمعه.

والمتأمل في السنة النبوية يجد أنها تدعو المسلم دعوة جادة للتنمية الإيمانية ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ) ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: (أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [رواه أحمد والحاكم] ، فكلما تجدد الإيمان في قلب العبد ازداد نشاطا ، وكان حريصًا على بلوغ أعلى الدرجات وإرضاء الله سبحانه وتعالى.

ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن رب العزة سبحانه: (إذا تقرب العبد إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا ، وإذا تقرب إليَّ ذراعًا تقربت منه باعًا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) ، فهذه دعوة للتقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح والتنمية الإيمانية التي تعد جانبًا مهمًّا وركيزة أساسية في التنمية الشاملة التي تعم المجتمع بالخير والنفع وتبعث السعادة والراحة في قلوب العباد

كذلك نجد أن الإسلام قد عني بالتنمية العلمية عناية فائقة ، حيث قدّم العلم على العمل ، ورفع شأن العلماء العاملين على العابدين بغير علم ، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ) ؛ لأن العلم هو الباب الأوسع إلى الإيمان ، وإلى معرفة سنن الله تعالى ، وخشيته عز وجل قال سبحانه : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} (فاطر: ٢٨).

فالإسلام دين العلم ، لا يُعرَفُ دينٌ مثلُه أشاد بالعلم وحثَّ عليه ، ورغب في طلبه ، ونوَّه بمكانة أهله ، وأعلى من قدرهم ، وبين فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة ، وحضَّ على التعلم والتعليم ، وحسبنا أن أول آيات نزلت من الوحي على قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشارت إلى فضل العلم ، حيث أمرت بالقراءة وهي مفتاح العلم ، ونوهت بالقلم وهو أداة نقل العلم ، وذلك في قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق:١– ٥).

ولقد عني الإسلام أعظم عناية بالعلم، وحث أتباعه على طلبه ونشره ، والبحث والتفكير في كل ميادين المعرفة، وكل مجالات الحياة ، وحض على التنمية العلمية التي من شأنها أن توسع الأفق وتنير الفكر الذي يعود بالنفع على الفرد والمجتمع ، قال تعالى : { فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[التوبة:١٢٢]، وقال سبحانه:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (المجادلة:١١) ، وأنعم بذلك من قدر ومن رفعة حينما يرفع المولى سبحانه وتعالى أهل العلم ويعلي شأنهم ويزيد في قدرهم .

كذلك تحض السنة النبوية على التنمية العلمية وتحث عليها ، فعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ..) [رواه أبو داوود والترمذي] فهذا بيان نبوي يحث على تلقّي العلم وسلوك طرقه والسعي على تحصيله.

إن الإسلام يدعو إلى العلم والتقدم الذي تستفيد منه الحضارة الإنسانية ، ويحثّ على النظر في الكون، ويُنشِئ العقلية العلمية التي تبدع وتبتكر، ويرفض العقلية الجاهلة المستسلمة لكل ما يتوارثه الناس دون مناقشة له ، فالأمة الإسلامية لا يمكن لها أن تنهض إلا بالعلم ، وما كانت البشرية لتصل إلى ما وصلت إليه إلا بالعلم والبحث العلمي ، ومن ثم فالتنمية الشاملة تتطلب اكتساب المعارف و تعليم مستمر وتطوير ثقافي ، فالجانب الثقافي الحقيقي يرفع من مستوى تفكير الأمة ووعيها ويساهم في التنمية واللحاق بركب الحضارة المادية.

كذلك قد حلق الإسلام في مجال التنمية الاجتماعية ، والحفاظ على كيان المجتمع، وبناء علاقات ودية أساسها الأخوة والتعاون والتراحم ، مما يجعل جهد الناس يتوجه إلى البناء والإعمار وليس إلى التخريب والدمار.

وحتى يتم الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع ، لا بد من نشر روح المحبة والمودة بين أبنائه ، وتعميق معاني الأخوة وتصفية النفوس من الشحناء وتفريج الكربات ، فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا ، كما وصفه النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث بقوله: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) [متفق عليه].

ومما ينمي هذه الروح في المجتمع الحث على التعاون ، والبذل والإنفاق وتفقد المحتاجين ، وسد حاجتهم، ومد يد العون لمن يعانون من الفقر والضيق، وسد حاجات اليتامى والمساكين وانتشالهم من مذلَّة السؤال ، يقول تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(البقرة:٢٦١). ويقول سبحانه:{قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً }(إبراهيم: ٣١). فإن الإسلام لا يغفل التكافل بين أفراد الأمة من خلال الإنفاق ونشر المودة والمحبة بين الناس ، وهذا جانب عظيم يسهم في التنمية الاجتماعية التي تقوم عليها الأمم وتحيا بها الأفراد.

وفي سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) عشرات الأحاديث التي تحضُّ على مختلف أنواع البر والخير، كالسير في حوائج الناس، ورفع الظلم عنهم، والمطالبة بحقوقهم، وتيسير عسرهم، وتنفيس كربهم، وكفالة أيتامهم، ورعاية أراملهم، وإيواء مشرديهم، وإطعام الجائعين منهم ، من

ذلك ما رواه ابْن عُمَرَ(رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أُولَئِكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ) [رواه الطبراني في الكبير]. وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ) [متفق عليه].

فينبغي على الإنسان أن يسعى جاهدًا في نفع غيره ومجتمعه بالإنفاق والصدقات ، ومساعدة الآخرين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكذلك الإمساك عن الشر ، كل هذه الأمور تنمية واضحة ، شاملة للفرد والمجتمع ، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ ، مَنْ كَانَ في حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [متفق عليه].

فالتنمية الاجتماعية تبرز آثارها النافعة في معالجة النفوس وإصلاح القلوب وتهذيب السلوك والشعور الأخوي بين أفراد المجتمع ، ومن هنا فإن تنمية المجتمع تعد أحد أهم ركائز التنمية الشاملة.

وإذا أمضينا إلى جانب التنمية الاقتصادية نجد أنها إحدى مؤشرات التقدم ، لذا كان الاهتمام بالشأن الاقتصادي ضرورة ملحة في التنمية والتطوير من أجل حياة حرة كريمة ، فالنشاط الاقتصادي في الإسلام يقوم على مبادئ إنسانية وأسس أخلاقية وضوابط شرعية، تغرس في نفوس أتباعه الحرص على مزاولته وإتقانه في الإطار الذي يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية ، ومن ثم فقد اعتنت الشريعة الإسلامية بالقضايا الاقتصادية وبينت الحلال من الحرام فيها ، وحثت على حفظ المال من التلف والضياع وتنميته بالعمل والإنتاج والاستثمار ، وحذرت من الكسب الحرام لما له من آثار وخيمة على الأمة سواء على دينها أو قيمها أو أخلاقها .

ومن ثمَّ حرمت الشريعة الإسلامية كل صور المعاملات المحرمة التي من شأنها أن توغر الصدور ، وتفسد العلاقة بين المسلمين ، وتكون سببًا في عرقلة التنمية الاقتصادية ، فقد حرم الإسلام الربا بوصفه أولى العقبات في التنمية الاقتصادية، ووسيلة سهلة لسرقة أموال الناس دون عمل ، وسدَّ الطريق على كل من يحاول استثمار ماله عن طريق الربا، فحرّم قليله وكثيره، يقول تعالى:{وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}[البقرة: ٢٧٥]، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ }[البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩]، فهذا وعيد شديد لمَن لم يَنتهِ عن الرِّبا.

وكذلك أعلن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حربه على الربا والمرابين، وبيّن خطره على المجتمع فقال: (إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ)، فآكِل الربا مَلعون، واللعنَةُ: هي الطرد مِن رحمة الله (عز وجل) فعلينا بتقوى الله – سبحانه وتعالى – وأكْل الحلال، والبُعد عن أكل الحَرام، و التعامل بالربا الذي يُطرَد آكِلُه من رحمة الله تعالى.

ومن أسباب عرقلة التنمية الاقتصادية : التعامل بالرشوة أخذًا وإعطاءً وتوسطًا ، لذا حرمها الإسلام تحريمًا جازما ، وذلك لخطرها الكبير على المجتمعات الإنسانية ، فهي تفتك بالمجتمع فتكًا ذريعًا ، وتهدر أخلاق الأمة وكيانها وتعود عليها بالوبال والدمار في الأسر والمجتمعات والأفراد ولم يتوقف الأمر على مجرد النهي عنها وذمها ، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد اللعن الصريح الذي يعني الطرد من رحمة الله تعالى ، فَعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ) يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا ، وما دخلت الرشوة عملًا إلا عاقته، ولا مجتمعًا إلا أفسدته ، فالرشوةُ أكل للأموال بالباطل،وتناول للسحت،يقول تعالى:{وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ} (البقرة: ١٨٨) .

وكذلك حرمت الشريعة الإسلامية (الغش في التعامل بين المسلمين) ، فقد أكد القرآن الكريم حرمة هذه الآفة الخطيرة ، وتوعد عليها بالويل

والخسران ، لمن يتلاعب بالوزن والكيل ، فقال سبحانه:{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } (المطففين :١:٣).

فالغش خيانة وخداع. وهو حرام بإجماع المسلمين، وفاعله مذموم عقلاً وشرعًا، وقد ثبت تحريم الغش بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فعموم الآيات التي تنهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، ومنه قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } (النساء: ٢٩). وأما السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على تحريم الغش ، ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم):(مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) [سنن الترمذي]، فالربا والرشوة والغش من أسباب عرقلة التنمية الاقتصادية وانتشار مظاهر الفساد في المجتمع.

ثم إن التشريعات التي تناولت الشئون الاقتصادية وضعت لها أصولها وقواعدها وضوابطها، لتؤكد على مدى اهتمام الإسلام بالتنمية الاقتصادية والتجارية، من بيع وشراء ومرابحة ومشاركة.

هكذا جاء الإسلام بشريعته الخالدة داعيًا إلى الخير والعدل ومحاربًا لكل ما هو فاسد وضار بالفرد والمجتمع ، فالمجتمع الذي يبحث عن تنمية اقتصادية على أسس من القيم الأخلاقية الفاضلة لا يقبل قطعا أن يتعامل بالحرام ، بل إنه يمنع الفساد ويأخذ على أيدي المفسدين ، ويمنع جميع صور الاستغلال والكسب الحرام ، محافظًا بذلك على

ثروات الأمة، من أجل النهوض بالأفراد والأمم لتحقيق وسائل العيش الكريم، والرقى إلى مدارج التقدم والتنمية.

وحتى تتحقق التنمية الشاملة بكل أنواعها أوجب الإسلام على كل مسلم أن يعمل ، وأن يأكل من كسب يده ، فهو لا يرضى لأتباعه أن يكونوا عالة على الآخرين ، فقد حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على السعي والكسب وتحصيل الرزق الحلال ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) [رواه البخاري].

فإذا كانت مهمة الإنسان في هذه الحياة هي إعمار الأرض فإن ذلك لن يتحقق إلا بالعمل من أجل بلوغ الهدف، فالحياة بلا عمل موات ، والإنسان أعطاه الله من القوى والطاقات ما يجعله قادرًا على قيادة سفينة الحياة بالعمل الجاد المنتج الذي يعود على الفرد والمجتمع بالخير العميم ومن هنا كان اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل اهتماما بالغًا لأنه مصدر كرامة الإنسان.

بهذا يتبين لنا أن التنمية في الإسلام سياسة شاملة متوازنة متكاملة ، تفرض على الفرد والمجتمع الأخذ بجميع أسباب النماء والارتقاء المادي والمعنوي .

إن التنمية الحقيقية هي أن نربي الإنسان علي قيم الحق والعدل والفضيلة، لأن الإنسان هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع ، وإذا فسدت فسد المجتمع.

وجوب تقديم الكفاءات الوطنية في كل مجالات الحياة

أولاً : العناصر :

١- الأمانة في الاختيار .

٢- اختيار الكفاءات مبدأ إسلامي ووطني .

٣- تشجيع الإسلام وتقديره للكفاءات .

٤- خطورة تقديم الولاء على الكفاءة .

٥- أهمية التدريب والتطوير ورفع الكفاءات للفرد والمجتمع.

ثانياً: الأدلـــة:

الأدلـة مـن القـرآن:

١- قال تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (القصص: ٢٦).

٢- وقال تعالى: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } (يوسف: ٥٥).

٣- وقال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} (الأعراف: ١٤٢).

٤- وقال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (البقرة: ٢٤٧).

٥- وقال تعالى:{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } (الأنبياء: ٧٩).

٦- وقال تعالى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ} (القصص: ٣٤).

٧- وقال تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } (آل عمران: ١٠٣).

٨- وقال تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} (الإسراء: ٢١).

الأدلـــة مــن السنة:

١- عَنْ أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي. قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْىٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) [صحيح مسلم].

٢- وعن عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ).

[مسند أبي يعلى ، وشعب الإيمان للبيهقي].

٣- وعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَا وَرَجُلاَنِ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللهِ. وَقَالَ الآخَرُ مِثْلَهُ. فَقَالَ: (إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ) [متفق عليه].

٤- وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ: (لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا) (متفق عليه).

٥- وعَنَ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت :َقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) [متفق عليه].

٦- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ)

[مستدرك الحاكم] .

٧- وعن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ:(مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) [صحيح مسلم].

٨- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ:(مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللهَ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ ، أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [مسند أحمد].

٩- وعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حِينَ بَعَثَنِي إِلَى الشَّامِ : يَا يَزِيدُ ، إِنَّ لَكَ قَرَابَةً عَسَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَهُمْ بِالْإِمَارَةِ ذَلِكَ أَكْثَرُ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ) [مستدرك الحاكم].

١٠- وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم) يقول: (كُلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، الإمام راعٍ وهو مسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والرجلُ رَاعٍ فِي أهلهِ، والمرأةُ راعيةٌ فِي بيتِ زوجِها ، والخادِمُ فِي مالِ سيدهِ) [مسند أحمد] .

ثالثاً: الموضــــوع:

إن الإسلام قد اشتمل على بيان علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى –العبادة–، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان – المعاملة –، لذا نجد أن هناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تنظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان وتضع لها الأسس والقواعد التي تساعد البشر على عبادة الله، وعمارة الأرض. فلا غرو إذا كان الإسلامُ نظامًا يتناول قواعد وشروط تنظم حياة الناس بأفضل الطرق.

كذلك نجد أن الشريعة الإسلامية كانت رائدة في تبني مبدأ العمل الجماعي ، لما فيه من توحيدٍ للهمم والطاقات ، وتعاون تتهاوى أمامه أصعب المهام وتتحقق من خلاله أعظم الإنجازات ، وما ذلك إلا لمساواة الناس جميعًا في الحقوق والواجبات ؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات: ١٣) .

ونجد أن الساعات الحاسمة في تاريخ المسلمين هي الساعات التي تتحول فيها الأمة كلها إلى (ورشة عمل)، كلٌّ في مكانه وكل له مكانته ، يشعر كل فرد أنه يشارك في البناء بل إنه ضروري لهذا البناء ، وهكذا قام المجتمع الإسلامي الأول عندما شارك المسلمون كلهم في بناء المسجد

بمن فيهم قائد هذا المجتمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعندما استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين وتنازلوا عن شطر أموالهم ، ونفَّذوا هذا عمليًّا ولم يكتفوا بالأدبيات والكلام عن الأخوة الإسلامية ، وذلك مصداق قول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة:٢).

ومن الأهمية الإشارة إلى أن تَبَنِّي الحضارة الإسلامية أسلوب العمل الجماعي وبث روح الفريق في الجماعة ينبع من العقيدة الإسلامية ذاتها ، مما يزيد الدافعية لدى أفراد فريق العمل ويجعل هناك نوعا من الرقابة الذاتية النابعة من الفرد نفسه على تصرفاته وأعماله ، ولعل هذا ما يبرر ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم ورقي في شتي المجالات ، فقد قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } (آل عمران: ١٠٣).

وقد جربت الكثير من مؤسسات الدولة اختيار أهل الثقة ، على حساب إقصاء أهل الكفاءة ، فكان من نتيجة هذا المعيار المعوج ، امتلاء كثير من مؤسسات الدولة بالفساد والمفسدين ، وهذا أمر لم يعد خافيًا على أحد ، في الوقت الذي تلقفت فيه كثير من الدول هذه الكفاءات لتبنى بها حضاراتها ، فقامت على أسس من العلم والصلاح والاستقامة.

وبالنظر نجد أن قائد أول دولة إسلامية نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يتحرى الأقوياء الذين لهم القدرة على أداء ما نيط بهم من

مهام ، فيوليهم من أعمال هذه الدولة ما يمكنهم إنجازه على أكمل وجه ، معتبرًا أن تولية العاملين في الدولة أمانة ، لا يقوم بها إلا قوي قادر على أدائها ، فعَنْ أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟. قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى منكبي ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) [صحيح مسلم].

إن المجتمع يحمل من الطاقات الكبيرة ، والإبداعات العديدة، والواجب توجيه كل إنسان فيما يحسنه وفيما يبدع فيه ، وتوجيه الأفراد إلى مواقع الإبداع فهذا من الأهداف التربوية، تأمل هذا الحديث الشريف: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ: (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهُ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ) [مسند أحمد] ، فنجد في هذا الحديث الشريف إعدادًا للمواهب والصفات والطاقات التي اتصف بها هؤلاء الصحابة الكرام ، كلٌ حسب ما قدِّر له من رزقٍ ، وحَسْبَ ما عليه من كفاءة.

وقد شهدت الدولة الإسلامية حِقبًا من الضعف ، ربما كان سببها عدم الأمانة في الاختيار وذلك بتقديم أهل الثقة ، وإقصاء أهل الكفاءة ، فأحدث ذلك صدعًا في جدار الأمّةِ الإسلامية والتي ما زالت تعانى منه

حتى يومنا ، وإن مصر بما مر عليها من محنٍ وأحداثٍ جسامٍ ، ينبغي على القائمين عليها تنقية مؤسساتها من العاملين بها المصنفين ضمن أهلِ الثقة والذين ولُّوا دُونَ اعتبارٍ لخبرةٍ أو كفاءةٍ ، حتى أنها تفتح المجال لاختيار من كان على شاكلتها ، وهذا ما يسفر عنه الواقع الأليم ، من انتشار الرشوة والفساد في أوصال الدولة ومؤسساتها المختلفة ، لكن كل من يقيم في هذه الدولة من أهلها أو من غيرهم ، يأمل في غدٍ تشرقُ شمسهُ على مؤسسات الدولة دون أن يكون بها مفسدٍ أو خائنٍ لأمانته ، تَمّ اختياره مجاملةً دون أن يكون له أدنى خبرة بما أسند إليه من عمل ، وإذا كان الإسلام يحض على إتقان العمل ، لما روته عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (شعب الإيمان للبيهقي) ، فإن هؤلاء المفسدين لا يتقنون إلا لغة واحدة بعيدة كل البعد عن الصلاح والإصلاح.

ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) قدوة حسنة في تعامله مع أهله ، فكان يتعامل معهم بمعيار الكفاءة ؛ لذلك لم يستعمل منهم سوى الأكفاء في كل شيء ، حيث أَمَر ابن عمهِ على بن أبى طالب بالنوم في مكانه أثناء الهجرة ليؤدى الأمانات إلى أهلها، فهو أحق الناس بهذه المهمة ، وأكفأ وأجدر من يقوم بها ، فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يولِّ أحدًا من أقاربه أي منصبٍ إلا بمعيار الكفاءة.

ونجد أيضًا نبينا (صلى الله عليه وسلم) يبحث عن الكفاءات في كل المجالات حتى لو لم يكونوا مسلمين ؛ فقد استعان بغير المسلمين في بعض الأحيان ، حيث استأجر رجلاً كافرًا اسمه (عبد الله بن أريقط) ليكون دليله في دروب الصحراء عند الهجرة إلى المدينة ؛ لما له من معرفة وخبرة متمرسة بدروب الصحراء وطرقها ، فهو لهذه المهمة كفءٌ وللقيام بها أهل.

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يعامل أهله وعشيرته من منطلق أنهم أهل الثقة ، ولم يعينهم في المناصب القيادية ، بل كانت رؤيته أن يُولِي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح وأكفأ من يجده لهذا العمل ، فهو (صلى الله عليه وسلم) القائل: (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ) [مسند أحمد والمستدرك للحاكم].

ولم يكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعطى الولاية لأي شخص يطلبها أو يكون حريصًا عليها ، فعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَا وَرَجُلاَنِ مِنْ قَوْمِي ، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، وَقَالَ الآخَرُ مِثْلَهُ ، فقَالَ: (إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ) [متفق عليه].

ولم يقتصر الهديُ النبوي الكريم على منع الولاية والإمارة عمن يسألها فحسب ، بل جاء التوجيه الكريم والإرشاد العظيم في أمر الولاية بالنهي عن سؤالها ، أو السعي في الحصول عليها ، كما ورد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

سَمُرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا) [متفق عليه].

في حين أننا نفرق بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كونه بشرًا وكونه نبيًّا يوحى إليه ، نجد أنه في كلتا الحالتين لم تأخذه في الله لومة لائم فيما يتعلق بأهله وقبيلته؛ ولم يجامل أحدًا منهم على حساب دينه أو حساب أحدٍ ، فقد نزل قول الله – تعالى– في حق عمه أبي لهب: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}[المسد:١] ، فقالها ولم ينكرها حين نزلت ؛ في المقابل نرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) رؤوفًا رحيمًا بأهله، لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: (قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ) [صحيح البخاري] .

ونجد أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان يختار الرجل المناسب في المكان المناسب ؛ فعندما أرادَ أنْ يرسل ولاةً إلى اليمن أرسل في البداية معاذ بن جبل ثم بعده أبا موسى الأشعري ، وأخيرًا على بن أبى طالب (رضي الله عنهم) على الرغم من أنه كان يقول: (أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا)[مستدرك الحاكم] ؛ لكنه لم يرسله باعتباره أحد أقاربه ، إنما باعتباره أحد العلماء؛ كذلك عندما أخذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) البيعة من أهل المدينة أرسل معهم بعض أصحابه لم يكن منهم أي من أقاربه ، و لم يرسل أيًّا من أقاربه لأخذ البيعة من أهل المدينة.

وبعد اختيار أهل الكفاءات لابد أن نشجعهم ونشد من أزرهم حتى يبدعوا ويبذلوا قصارى جهدهم في عملهم سواء تشجيعًا ماديًّا أو معنويًّا أو بهما معًا نجد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعل ذلك مع أبي قتادة ، وسلمة بن الأكوع (رضي الله عنهما) في (غزوة ذي قرد) لما رجعوا قافلين إلى المدينة بعد أن أبلى سلمة بن الأكوع وأبو قتادة (رضي الله عنهما) بلاءً حسنًا ، ثم ناموا في الطريق، قال سلمة (رضي الله عنه) : فلما أصبحنا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ). قَالَ : ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) سَهْمَيْنِ سَهْمُ الْفَارِسِ وَسَهْمُ الرَّاجِلِ فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ [صحيح مسلم].

تأمل هذه الحادثة .! وكم فيها من الثناء والتشجيع وتقدير الكفاءات؛ ففي قوله: (وخير رجالتنا سلمة) إعلان للتكريم أمام مجمع من الصحابة، ثم إن في إعطائه سهمين مكافأة أيضًا وتقديرًا لجهوده، ثم في إرداف النبي (صلى الله عليه وسلم) له على الدابة زيادة في التكريم والتقدير له، ولك أن تتصور مقدار التكريم حين يُركبك القائد معه في مركبته الخاصة تسير بصحبته أمام الناس . كم سيضاعف هذا الثناء والتقدير من نشاطٍ في نفس سلمة أو أبي قتادة (رضي الله عنهما)، بل كم سيحرك في نفوس الآخرين حين يكون المدح في محله.!

إن كثيرًا من القدرات ، وكثيرًا من أصحاب الكفاءات يصابون بالضمور ، بل ربما يموتون وتموت مواهبهم وقدراتهم ؛ لأنهم لا يجدون من يدفعهم بكلمة ثناء ، أو يرفعهم بعبارة تشجيع؛ إننا حين نثني على أصحاب القدرات لسنا نحفظ ونضمن جهد المجتهد منهم فحسب ، بل إننا نحرك نفوسًا ربما لا يحركها أسلوب آخر.

جدير بالذكر أن الإسلام يرفض المحاباة أو التستر على أهل الفساد والإفساد ، مهما كان قدرهم ومهما كانت منزلتهم ، فهذا رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان يرفض أن يحابى أحدًا من أهله وعشيرته ، وكان يقول:(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَيّمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) [متفق عليه].

ولم يُعرف عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) طوال حياته التزكية أو الترقية أو تعيين أحد أقاربه في أي منصب من مناصب الدولة ، خوفًا من ضياع الأمانة، التي كان حريصًا على استقرارها عند أهلها، فهو (صلى الله عليه وسلم) القائل:(إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. قِيلَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)

[صحيح البخاري].

ولم تكن المحاباة يومًا من الأيام سبيل تولى المناصب ، أو الحصول على مكاسب ، فإن أنبياء الله تعالى ورسله كان دأبهم وحرصهم الأول على تولي أهل الكفاءة ، وأصحاب المسئولية، حيث قال الله – تعالى– مخبرًا عن نبيه يوسف (عليه السلام):{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}[يوسف: ٥٥] ، كذلك فهمت ابنة الرجل الصالح أن

الكفاءة شرط في تولى القيادة ، وإسناد العمل للفرد وتكليفه به ، دون مجاملة أو محاباة ، قال تعالى:{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (القصص: ٢٦).

وهذا نبي الله موسى (عليه السلام) حين أراد المضي للمناجاة والمغيب فيها استخلف أخاه هارون ، قال تعالى:{وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} (الأعراف: ١٤٢) ، وأوصاه بالإصلاح في أمرهم وفي نفسه ، كذلك نهاه عن اتباع سبيل العاصين ، ولا يكن عونًا للظالمين .

إن دين الإسلام قد جاء ليؤسس لقواعد صارمة وحاسمة للأمور الإدارية التي دعت إليها بعد قرون مختلف النظريات الإدارية المعاصرة ، وتعرف الإدارة في الإسلام بأنها الولاية أو الرعاية التي تأتي في نطاق المسئولية التي تلزم وجود أمانة لدى من يتصدى لشئون الإدارة على اختلاف أنماطها ومستوياتها ..كما وضع الإسلام جملة من الركائز لفن الإدارة ، من تقديم أهل الكفاءة ، باعتبارها أصلًا من أصول علاقات العمل.

وهناك أحاديث نبوية شريفة كثيرة تحدثت عن الإدارة ، وسبل اختيار المسئُول أو القائد، وتقديم الكفاءة وحُسْن الإدارة على غيرهما ، منها ما يشير إليه حديث ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ) [مستدرك الحاكم]، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم):) اللَّهُمَّ مَنْ

وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ) [صحيح مسلم].

وهذا يبين لنا خطورة تقديم الولاء أو غير الأكفاء على أصحاب الخبرة من أهل الكفاءة ومتقني الإدارة ، الذي قد يلحق ضررًا أو يأتي بِشَرٍّ على الفرد والمجتمع ، فعن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) [صحيح مسلم]. فكل هذه الأحاديث تشير إلى ضرورة أن يتولى الإدارة أهل الصلاح والإصلاح، وأهل المعرفة والإتقان ، وأهل الكفاءة والخبرة في مجالاتهم ، وتقديمهم على غيرهم.

فالإدارة فن أقره الإسلام ، وأوصى باختيار الرجل المناسب في المكان المناسب ، سواء على مستوى المؤسسات العامة أو المؤسسات الخاصة أو حتى مستوى الأسرة ، واختيار هذا الرجل يجب أن يعتمد على شرط الكفاءة ، وحين اختار الله – سبحانه وتعالى– لبني إسرائيل ملكًا يقاتلون وراءه في سبيل الله ، اختار طالوت عليه السلام ، وبيّن علامات صلاحيته لتلك القيادة ، بقوله تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: ٢٤٧)، فجعل القدرة الجسمية اللازمة والعلم الواجب علامتان لكفاءته ودلالة على أهليته للقيادة. يقول الإمام القرطبي: قوله: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ} أي: اختاره وهو الحجة القاطعة، وبيَّن لهم مع ذلك

تعليل اصطفاء طالوت، وهو بسطته في العلم الذي هو ملاك الإنسان، والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء، فتضمنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة ، وأنها مستحقة بالعلم والدين والقوة لا بالنسب ، لأن الله تعالى أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوته ، وإن كانوا أشرف منه نسبًا ، وقيل: زيادة الجسم كانت بكثرة معاني الخير والشجاعة ، ولم يرد عظم الجسم.

ومن هنا فقد حرص الإسلام على رفع المستوى الثقافي وغرس روح المبادرة وحسن التصرف، وكذلك التركيز على التدريب المشترك لجميع الأفراد والتركيز على التدريب المستمر على العمل في ظروف متعددة وطارئة واستخدام الإمكانات المتاحة ، وذلك لحل المشاكل التي قد تواجه المؤسسات .

ونجد في نصوص الإسلام أن التدريب والتطوير يعد من الضرورات الحيوية لإعداد القوة التي أمر بها الإسلام ، كما تحتوي توجيهات الإسلام في التدريب الإتقان في التدريب لبلوغ أعلى قدر من الكفاءة ، ومن مقتضيات هذا المبدأ ألا يكتفي المسلم بالمستوى التدريبي الذي بلغه، بل عليه أن يجود فيه ويرفع مستواه بالمزيد من التمرين والمعرفة ، فقد أمر الله تعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلم) أن يقول: { رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }(طه: ١١٤) وهذه المسئولية تقع على عاتق الفرد قبل أن تقع على قيادته.

ومن أهم مبادئ التدريب الحديثة الاستمرارية ؛ لأن الاستمرار يحقق فائدتين كبيرتين هما: المحافظة على مستوى كفاءة الفرد ، ودعم هذه الكفاءة والارتفاع بها إلى مستوى أفضل. وهذا ما يفهم من قول رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو يحذر المسلمين من الانقطاع عن التدريب: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (.. وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَمَا عَلِمَهُ فَقَدْ كَفَرَ الَّذِي عُلِّمَهُ)

[رواه أبو داود].

ومن المعروف أيضًا أن المنافسة من أفضل الحوافز على الإجادة والإتقان لأنها من وجهة نظر علم النفس تحرك في الإنسان دافعًا ذاتيًّا لكي يتفوق على غيره ؛ ولهذا كان التنافس من مبادئ التدريب التي تستهدف رفع مستوى الكفاءة لدى الأفراد ، وقد كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) معنيًّا غاية العناية بهذا المبدأ ، فكان يشجع على المسابقات في كل مجالات التدريب البدنية والرياضية والفروسية والرمي بالسلاح ، بل كان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يشترك بنفسه فيها تحفيزًا للهمم وإذكاءً لروح التنافس البريء والمشجع .

وحيث أكّدَ الإسلام على المبادئ الأساسية للتدريب ، في الماضي والحاضر ، فإن الإسلام الحنيف قد سبق غيره من الأنظمة الحضارية في تأصيل وتجديد وإقرار هذه المبادئ التدريبية الإيجابية والتي يؤدي تطبيقها إلى رفع مستوى الكفاءة النوعية .

من هنا نؤكد على اعتبار المسئولية تكليف لا تشريف ، فالقائد للأمة خادمها وراعيها، وينبغي إمداد الدولة بالطاقات البشرية ، ومراعاة الدقة في الاختيار ، والاعتماد على أصحاب الكفاءات والثقات ، الكفيلة بمواجهة الشدائد ، والقادرة على النهوض بالأمة.



بناء الأوطان وفضل الشهادة في سبيلها

أولا : العناصر:

١- دور رجال الأعمال في بناء وطنهم وخدمة أمتهم.

٢- الاستثمار ودوره في تحقيق العدالة الإنسانية.

٣- الاستثمار ودوره في تحقيق السلام العالمي.

٤- الاستثمار ودوره في الحد من الهجرة غير القانونية.

٥- فضلُ الشهادةِ في سبيل الوطن.

٦- مكانة الشهيد ومنزلته عند الله تعالى.

ثانيًا : الأدلــة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة : ٢) .

٢- وقال تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك : ١٥).

٣- وقال تعالى :{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات : ١٣).

٤- وقال تعالى:{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} (قريش : ١– ٤).

٥- وقال تعالى:{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} (الحديد : ٧).

٦- وقال تعالى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} (البقرة : ١٥٤).

٧- وقال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ }

(آل عمران :١٦٩-١٧١).

الأدلـة من السـنة :

١- عن أنس بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإِنْ استَطاعَ أنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا) [رواه البخاري في الأدب المفرد].

٢- وعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَزْرَعُ زَرْعًا، أَوْ يَغْرِسُ غَرْسًا ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) [رواه الإمام أحمد].

٣- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ بِهَا أَجْرٌ ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ فَلَهُ بِهَا أَجْرٌ) [صحيح ابن حبان].

٤- وعن سعيد بن زيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، ومن قُتل دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، ومن قُتل دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)

[رواه الإمام أحمد].

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: (فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : (قَاتِلْهُ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: (فَأَنْتَ شَهِيدٌ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ : (هُوَ فِي النَّارِ) [رواه مسلم].

٦- وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لِي: (يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا) ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: (أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ)؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا) – مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول – فَقَالَ: (يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ) قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً . قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ) قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا}(آل عمران: ١٦٩) [رواه الترمذي].

ثالثًا : المـــوضــــوع :

نظرًا لما تمر به أمتنا العربية من ظروف حرجة ، وما تتعرض له مصرنا الغالية – حفظها الله – من هجمة شرسة من قِبَلِ القوى الإرهابية الغاشمة ، فإنها في حاجة ماسة إلى تكاتف أبنائها ، و إلى مَدِّ يد العون من كل أفرادها ، حتى تتجاوز الأزمات والشدائد والمحن التي تكاد تعصف باستقرارها ، وحتى نعيد لها مكانتها اللائقة بين الأمم جميعًا.

وبما أن رجال الأعمال جزء لا يتجزأ من المجتمع فإن عليهم حقوقًا وواجبات للوطن الذي ينتمون إليه ويعيشون فيه، ومن هذه الحقوق : الإسهام في بناء وطنهم ، والمسارعة إلى الوقوف بجانب أبنائه ، وذلك من خلال استثمار أموالهم لتنشيط الاقتصاد الوطني.

ولقد حث الله تعالى الناس على الكسب والسعي في الأرض ، فقال تعالى : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك: ١٥).

ولا يتوقف السعي والعمل على وقت معين بل لا بد وأن يسعى الإنسان حتى آخر نفس في حياته ، وإلى ذلك أشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإِنْ استَطاعَ أنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا) ، ولا يُحرَم الإنسان من الأجر إذا انتفع بعمله أو غرسه إنسان ، أو طير أو غيرهما ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَزْرَعُ زَرْعًا، أَوْ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) [رواه الإمام أحمد].

ولا يمكن أن يقوم بذلك إلا رجال مخلصون قادرون ، يشاركون في تشجيع الاستثمار، وتنمية المجتمع ، وفي الوقوف بجانب الفقراء ومحدودي الدخل ، إنهم لا يقومون بهذا الدور الاجتماعي الفعال برًّا وإحسانًا ، بل هو واجب وطني يتحتم عليهم أن يقوموا به ، وخاصة في

مثل هذه الظروف التي تمر بها البلاد ، وذلك من باب أداء فريضة دينية استنادًا لقوله تعالى :{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة:٢)، وقول نبيه (صلى الله عليه وسلم): (... وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ..) [رواه مسلم].

كما يحتم الواجب الوطني على رجال الأعمال وغيرهم العمل على تخفيف أعباء الحياة على غير القادرين من خلال استثمار الأموال بعمل مشروعات اقتصادية تسهم في محاصرة ظاهرة البطالة من جميع جوانبها ، و إعمار الأرض ، يوضح هذا قول الله تعالى : {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}(هود :٦١) ، حيث إن الإعمار تكليف شرعي لتحقيق استمرارية الحياة البشرية، ويتجلى ذلك التكليف بالنشاط الاقتصادي ، والمتمثل في تحقيق المنافع التي تحقق هدف إعمار الأرض واستثمار مواردها ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ بِهَا أَجْرٌ ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ فَلَهُ بِهَا أَجْرٌ) (صحيح ابن حبان). و (الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ): هِيَ الَّتِي لَمْ تُعَمَّرْ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ تَشْبِيهًا لَهَا بِالْمَيْتَةِ لِعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِهَا بِزَرْعٍ أَوْ غَرْسٍ أَوْ بِنَاءٍ أَوْ نَحْوِهَا. و(الْعَافِيَة): الطُّيُورُ وَالسِّبَاعُ الطَّالِبَةُ لِأَرْزَاقِهَا ، الرَّاجِعَةُ إِلَى أَوْكَارِهَا

جدير بالذكر أنّ هناك دورًا هامًّا على المؤسسات المعنيّة تجاه هذه الظاهرة (ظاهرة البطالة)، حيث إنها تحتاج إلى كثير من الرعاية والعناية ، وقد تعجز عنها الحكومات وحدها ، ومن هنا فلا يقتصر الأمر على عمل

الحكومة فقط ، بل الواجب على كل أفراد المجتمع وبخاصةٍ رجال الأعمال ومؤسسات المجتمع المدني التعاون من أجل إيجاد الحل الناجح والسريع لتلك الظاهرة ، ومن المعلوم أن الاستثمار وسيلة للحصول على الربح، إذ إنَّ الإنسان مفطور على الرفعة والعلو والتسامي ، ومقتضى ذلك الاستزادة من نعم الله تبارك وتعالى ، ولا يتأتي له ذلك إلا بزيادة الإنتاج ، ولا يزيد الإنتاج إلا بالاستثمار النافع المفيد ، وهذا ما حثَّ عليه الإسلام ، فقد حثَّ على ضرورة تحريك المال واستثماره ، والنهي عن تكديسه وكنزه ، وذلك عن طريق مزاولة التجارة للنفع والانتفاع ، وتحريك اقتصاد الدولة.

فإن عدم تحريك المال واستثماره يعد تعطيلاً له ، وتضييعًا للمصالح ، فإعمال الأموال يؤدي إلى مصالح عامة ، وتعطيلها يفوت هذه المصالح ، فإن الاستثمار أداة من أدوات الإعمار ، والبناء والتقدم ، وتحقيق التنمية للمجتمعات ، لأجل تحقيق الرفاهية الشاملة والسعادة الدائمة .

وعلى هذا فإن دور رجال الأعمال المصريين ، وغيرهم من المستثمرين في مساعدة مصر لا يتحقق إلا عن طريق ضَخِّ الأموال ، والاستثمارات لزيادة الدخل القومي للأمة العربية والإسلامية ، عن طريق فتح مشاريع وشركات ومصانع ، وخلق فرص عمل لأفراد المجتمع ، وكذلك المساهمة في دعم الاقتصاد الوطني.

فإذا ما تم هذا الاستثمار النافع والمفيد – بهذه الطرق المشروعة – ، وقام رجال الأعمال المخلصون بمسئولياتهم نحو وطنهم ، وخدمة أبنائه فإن ذلك يساعد على تحقيق العدالة الإنسانية بين أبناء الوطن جميعًا .

إن الاستثمار الجاد والآمن الذي يهدف إلى النهوض بالفرد والمجتمع ، ولا يهدف لغنى طائفة على حساب أخرى ، والذي يهدف إلى الارتقاء بالشركات والمؤسسات ، وتوفير فرص عمل للشباب ، وتوفير دخل مناسب لغير القادرين على العمل ، ويعمل على زيادة الرخاء ، هو الوسيلة لتحقيق أمن المجتمع ، فقد كفل الإسلام للناس جميعا حق المساواة في عيشة كريمة ، وعدالة إنسانية ، فقال تعالى :{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات: ١٣).

إضافة إلى أن للاستثمار دورًا هامًا وعظيمًا في تحقيق السلام العالمي ، فهو أحد الأركان الأساسية التي ينعم بها العالم أجمع ، وهو الأمن والأمان والسلم والسلام ، فهما – الاستثمار والسلام – وجهان لعملة واحدة ، حيث إنه لا استثمار بدون أمن وأمان ، ولا أمن بدون استثمار ونشاط اقتصادي ينعم به المجتمع ، لذلك كان الأمن نعمة عظيمة أنعم الله – تعالى – بها على قريش ، فقال سبحانه : {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ *} (قريش:١– ٤).

ومن هنا فإن التعاون بين جميع الدول أصبح ضرورياً في تحقيق الأمن والسلام ، من خلال الإسهام في تنمية واسعة النطاق تتصف بالشمول ، والاستمرارية حتى تفي بحقوق الشعوب ، وحتى تكون سبيلاً لتحقيق حياة مستقرة للعالم أجمع .

كما أن توزيع خريطة الاستثمار توزيعًا علميًّا ، ومدروسًا حكيمًا ، وعادلاً يسهم في الحد من الهجرة غير القانونية بين الدول ، كما يَحِد من الهجرة من القرى إلى المدن داخل القطر الواحد ، ويَحِد كذلك من الهجرة من بعض المحافظات الفقيرة والنائية إلى العواصم ، لما بها من فرص عمل ، فلو أننا أحسنا توزيع الاستثمار لأسهم في حل كثير من المشكلات .

ولا يتوقف حق الوطن عند الاستثمار الشامل ، والتنمية الاقتصادية فحسب ، بل يجب على كل فرد يعيش فوق أرضه وتحت سمائه ، أن يذود عنه ويستشهد في سبيله ، دفاعا عن ماله وعرضه وأرضه ، ورغبة في عزة البلاد وكرامة العباد ، وهذا ما أشار إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديثه ، عن سعيد بن زيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، ومن قُتل دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، ومن قُتل دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) [مسند أحمد].

وفي هذه الأيام المباركة تحتفل مصرنا الغالية بذكرى من أعظم الذكريات الخالدة في تاريخها ، وهي ذكرى يوم الشهيد الذي ارتفع بروحه إلى الله -عز وجل- ، دفاعا عن دينه ووطنه وعرضه.

ونحن إذ نحيي يوم الشهيد نتذكر هؤلاء الشهداء الذين بذلوا أنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الله ، أولئك الذين ارتوت الأرض بدمائهم، فارتفعت أرواحهم إلى الله -عز وجل- وفازوا برضوانه ، والنعيم الذي وعدهم الله تعالى به ، فالشهداء أحياء عند الله تعالى، وليسوا أمواتًا ، يقول سبحانه: { وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ } (البقرة: ١٥٤).

إن الشهادة اصطفاء من الله واجتباء ، وهي منحة يمنحها الله لأحب خلقه إليه بعد الأنبياء والصديقين ، يقول تعالى :{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (النساء: ٦٩). وكيف لا ؟ وقد استعلى الشهيد على شهواته ، وانتصر على رغباته ، واسترخص الحياة في نيل شرف الشهادة .!

ومن هنا فإن الشهداء أرفع الناس درجة بعد الأنبياء والصديقين ؛ وأنهم ليسوا أمواتا بل أحياءٌ ، وصدق الله العظيم حيث قال:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (آل عمران: ١٦٩، ١٧٠) .

وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لِي: (يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا)؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: (أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ)؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا) – مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول – فَقَالَ: (يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ) . قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ) قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} (آل عمران: ١٦٩). [رواه الترمذي].

فأيُّ نعيمٍ بعدَ هذا النَّعِيم؟! أحياء وليسوا أمواتًا يُرزَقون ورزقُهم من الله ، ومن ثَمَّ فهم فرِحُون بما أَعطاهم الله ، ويستَبشِرون بإخوانهم القادِمين عليهم.

لقد أكرم الله الشهيد بمنح عظيمة وشفاعة مخصوصة له في أهل بيته ، وبشره النبي (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) ببشارات عظيمة ، فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكرِب (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ: (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ)

[رواه الترمذي].

لأجل هذه الكرامة الربانية للشهداء ، ولعظم ما أعد الله لهم من الجزاء ، رأينا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال شرف وكرامة الشهادة في سبيل الله عدة مرات، يقول : (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شيء غَيْرُ الشَّهِيدِ ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ) [رواه مسلم].

إن واجبنا في هذه المرحلة التي يمر بها وطننا العزيز أن نسعى جاهدين متعاونين متكاتفين جميعًا – مسلمين وغير مسلمين – على حماية أمن الوطن والدفاع عنه ، وحمايته من أي عدو يناوئه ، أو أي خطر يتهدده ، وأن نكون عيونا ساهرة لحماية أمنه ، وأن نتكاتف جميعًا وبلا استثناء على ردع كل من تسول له نفسه أن يجترئ على وطننا .

* * *

خطورة الدعوات الهدامة وضرورة التصدي لها لتحقيق الأمن والاستقرار

أولا: العناصر:

١. نعمة الأمن والاستقرار.

٢. استقرار الأوطان ضرورة شرعية ووطنية.

٣. من عوامل استقرار الأوطان.

أ- حب الإنسان لوطنه.

ب- إشاعة التآلف والتعاون بين الناس.

ج – السمع والطاعة لولي الأمر في طاعة الله وخدمة الوطن.

٤. التحذير من الفتن.

٥. خطورة الدعوات الهدامة على الفرد والمجتمع.

٦. وجوب التصدي لهذه الدعوات.

ثانيا: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ} (البقرة: ١٢٦) .

٢- وقال تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} (إبراهيم: ٣٥).

٣- وقال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأنعام: ٨٢).

٤- وقال تعالى:{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}

(قريش:١ــ ٤).

٥- وقال تعالى: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (القصص: ٥٧) .

٦- وقال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} (العنكبوت: ٦٧).

٧- وقال تعالى :{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ} (سبأ: ١٨) .

٨- وقال تعالى:{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}

(آل عمران:١٧٣).

٩- وقال تعالى:{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ} (الأنفال: ٢٥).

١٠- وقال تعالى:{إِنَّ الذين يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

(النور:١٩).

١١- وقال تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء:٥٩).

١٢- وقال تعالى:{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} (النساء: ٨٣).

الأدلة من السنة :

١- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ ، مُعَافًى في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)

[رواه الترمذي].

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [رواه الترمذي].

٣- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ فَقَالَ: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)

[مسند أحمد والترمذي]. و [الحَزْوَرَةُ] موضع بمكة.

٤- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِمَكَّةَ : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) [رواه الترمذي].

٥- وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ) [رواه البخاري].

٦- وعَـنْ أَبِـى هُرَيْـرَةَ (رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ) قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي ، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ)

[رواه البخاري].

٧- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِىِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِي لِذِى عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ) [رواه مسلم]. و (عمِّية) : يقال: بكسر العين وبضمها ، وكسر الميم وتشديدها وتشديد الياء : هِيَ الْأَمر الَّذِي لَا يستبين وَجهه ، وقيل : قَوْله (تَحت راية عمية) كِنَايَة عَن جماعَة مُجْتَمعين على أَمر مَجْهُول لَا يعرف أَنه حق أَو بَاطِل.

٨- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الماشي ، والماشي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الساعي ، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ) [متفق عليه]. وقوله: (من تشرف لها تستشرفه) يريد من تطلع لها دعته إلى الوقوع فيها. والتشرف: التطلع. واستعير هاهنا للإصابة بشرها ، أو أريد بها أنها تدعوه إلى زيادة النظر إليها.

ثالثا: الموضوع:

إن من أجل نعم الله (عز وجل) على الإنسان نعمة الأمن والاستقرار ، فبدونها لا يهدأ للإنسان بال ، ولا تطمئن له نفسٌ ، ولا يهنأ إنسان بالحياة حتى لو أوتي الدنيا بحذافيرها ، فسعادة الدنيا ونعيمها في تحقيق الأمن والاستقرار ، ففي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) [رواه الترمذي].

فنعمة الأمن والاستقرار مطلب كل مخلوق على وجه الأرض ، طلبها إبراهيمُ (عليه السلام) لأهلِهِ وقومِهِ ، حيث قالَ: {رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} (البقرة: ١٢٦)، فإبراهيم (عليه السلام) سأل الله (عز وجل) أن يمُنَّ على مكة بالأمن والرزق ، وقدّم الأمن على الرزق ، لأن الرزق لا تكون له لذة إذا فُقد الأمن ، فبالأمن يهنأ الإنسان ويشعر بقيمة الحياة ، فاستجاب الله لدعاء نبيه وخليله ، وجعل من مكة مستقرًّا وبلدًا آمنًا بإرادته ومشيئته ، وجعلها وطنًا للإسلام ، وذلك ببركة دعاء إبراهيم (عليه السلام) ، بل إن إبراهيم (عليه السلام) قدم نعمة الأمن على العبادة والتوحيد ، فقال: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} (إبراهيم: ٣٥).

كمَا امتَنَّ اللهُ (تعالى) بهذه النعمة العظيمة علَى أهْلِ قُريشٍ ، فحبَاهُمْ برَغَدِ العيشِ فِي الحياةِ ، والأمْنِ فِي الأوطانِ ، قالَ تعالَى: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} (قريش: ٣، ٤) .

كمَا منَّ عليهم بأن جعل لهم حرمًا آمنًا ، فقال سبحانه: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}(العنكبوت: ٦٧). فبالأمن والاستقرار ترتقي الأوطان ، ويستقر الناس في حياتهم ومعاشهم ، وتتقدم الأمم والمجتمعات ، وينمو ويتطور الاقتصاد ، وهذا ما بينه القرآن الكريم حين امتن الله (تعالى) على أهل سبأ بنعمة الأمن والاستقرار ، فقال تعالى : {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}(سبأ: ١٨) ، فما تقدمت أمة من الأمم ، وما ارتقى مجتمع من المجتمعات إلا إذا ساد الأمن، وعم الاستقرار بين أفراده .

إن اختلال الأمن والاستقرار يؤثر على البلاد والعباد ، حتى في العبادات – وهي الهدف الأول من خلق الإنسان – ، ولهذا كانت صلاة الخوف مختلفة عن صلاة الأمن في صفتها وهيئتها، والحج كذلك يشترط في وجوبه على الإنسان أمن الطريق ؛ فإذا كان الطريق غير آمن فلا يجب عليه الحج ، ومن هنا فإن العبادات لا يتأتى الإتيان بها على أكمل صورة إلا بنعمة الأمن والاستقرار.

فإذا شاع الأمن في أمة ، واطمأن كل فرد فيها على نفسه وماله وعرضه نَعِمَ المجتمع بحياة هادئة مستقرة لا رعب فيها ، ولا اضطراب ، ولا قلق ، ونَعِمَ المجتمع كذلك بالتقدم والازدهار ، ومن ثمَّ فإن استقرار الأوطان ضرورة شرعية ومطلب وطني ، ومقصد عظيم من أهم مقاصد الدين العظيم .

ومن عوامل الاستقرار : أن يحب الإنسان وطنه الذي يعيش فيه بكل حرياته المشروعة ، وأن يشعر بقيمة الوطن الذي ترعرع على ثراه ، وهذا ما جسده النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عمليًّا ، حين هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، فقد علمنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حب الأوطان وشرف الانتماء إليها ، وكان حبه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لوطنه مكة المكرمة وشعوره بقيمته هو الأساس ، رغم قسوة أهلها ، فقال متأثراً لفراقها : (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) [مسند أحمد والترمذي]، وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِمَكَّةَ : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) [رواه الترمذي].

ولما هاجر إلى المدينة المنورة وشرع في بناء الدولة الحديثة أراد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يعلم أصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) والدنيا كلها أن الأوطان لا يسعى لبنائها إلا من أحبها ، فكان من دعائه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ما جاء عن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ) [رواه البخاري]. فما سأل النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) محبةَ الوطن إلا لتحقيق الاستقرار والطمأنينة لكل أفراده.

ومن ثمَّ وجب على الإنسان أن يحافظ على وطنه بحبه وصيانته ، والدفاع عنه ، وأن ينهض بواجباته ومسؤوليّاته نحوه ، فَلِلْوَطَنِ فِي الإِسْلامِ شَأْنٌ عَظِيمٌ ، والتَّفْرِيطُ فِي حَقِّهِ خَطَرٌ جَسِيمٌ ؛ لذلك أعلى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من قيمة الرجل الذي يحافظ على استقرار وطنه ، ويضحي من أجله بأن الله (عز وجل) لا يعذبه ولا تمس النار عينه ، فالجزاء من جنس العمل ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [رواه الترمذي] ، فحبَّ الوطن من عواملِ الاستقرارِ الأساسية لأيِّ مجتمعٍ ، فالإنسانُ إذَا أحبَّ وطنَهُ استشعَرَ مسئوليةَ المحافظةِ علَى أمنِه واستقرارِهِ ، ولاَ يستجيبُ لِمَنْ يَسْعَى لِخرابِ الأوطانِ مِنَ الأدعياءِ ، لأنَّ الإنسانَ إذَا اطمأَنَّ فِي موطنِهِ استقرّتْ نفسُهُ وأبدَعَ فِي عملِهِ وعَظُمَ إنتاجُهُ وعطاؤُهُ.

ومِنْ عواملِ الاستقرارِ – أيضًا– : إشاعة التآلف والتعاون بينَ الناسِ ، قالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ) [متفق عليه] ، والبعد عن الخلافِ والنِّزاعِ ، فإِنَّهُ شرٌّ يَجُرُّ إِلَى الْفُرْقَةِ والضياعِ ، قالَ تعالَى:{وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}(الأنفال: ٤٦). فالحذرَ الحذرَ مِنَ الخلافِ والنِّزاعِ ، فإِنَّهُ شرٌّ يَجُرُّ إِلَى الْفُرْقَةِ والضياعِ ، والحذرَ الحذرَ مِنَ الانتماءاتِ أَوِ التحزُّباتِ ، فإِنَّهَا شَرٌّ يُؤَدِّي بالمجتمعاتِ إِلَى التفكُّكِ

والشتاتِ ، فيجب أن يتآلف الجميع ويتعاون لتحقيق استقرار الأوطان ، وهذا ما أمر الله (عز وجل) به فقال:{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة:٢).

ومن أعظم الأمور التي تساعد في تحقيق استقرار الأوطان: السمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله(عز وجل) ، قال تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}(النساء: ٥٩) ، فولي الأمر هو ظل الله في الأرض، كما قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللهُ ، وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللهُ) [رواه الطبراني والبيهقي] ، وقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا أَهَانَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [رواه أحمد] .

إن طاعة ولي الأمر في طاعة الله ومصلحة الوطن عقيدة يدين بها المسلم لربه ، فإن أمر بأمر أو نهى عن أمر وجبت طاعته مالم تكن معصية لله عز وجل ، فعن أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي ، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ

وَعَـدَلَ ، فَـإِنَّ لَـهُ بِـذَلِكَ أَجْـرًا ، وَإِنْ قَـالَ بِغَيْـرِهِ فَـإِنَّ عَلَيْـهِ مِنْـهُ) [رواه البخاري]، فطاعة ولي الأمر في غير معصية الله فيها صلاح الدين والدنيا ، وعصيانه فيه فسادهما ، ومعنى (جُنَّة) أي: ستر وحجاب عن الفتن والشرور .

ومن ثمَّ فعلى المرء السمع والطاعة لولاة الأمر ، ولا يخرج على جماعة المسلمين فيفرق كلمتهم ، فعن أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِي لِذِى عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ) [رواه مسلم].

ولعل السبب في ضرورة السمع والطاعة لأولي الأمر أن ما يترتب على معصيتهم وعدم طاعتهم من المفاسد أضعاف ما قد يحصل بالخروج عليهم ، على أن للنصح والإصلاح طرقًا ووسائل سلمية وديمقراطية متعددة ، وذلك حتى تجتمع كلمة الأمة ، ومنع الفرقة والشقاق ، وما يترتب عليهما من قتل وسفك للدماء ، وانتهاك للأعراض ، واعتداء على الحرمات ، وتدمير البلاد ، وضياع الأموال ، وتشتيت الشمل ، وهذا مشاهد وواضح للجميع نتيجة الفوضى التي سببها عدم السمع والطاعة لبعض ولاة الأمور.

ومن أعظم الأمور التي تهدد استقرار الوطن : إشعال الفتن التي تؤدي إلى زوال النعم ، وحلول النقم ، وقطع التواصل بين الشعوب والأمم ، وتؤدي إلى انتشار الرذيلة ، وطرد الفضيلة ، وبث روح العداوة والبغضاء ، والقضاء على روح المودة والإخاء ، فالفتن نار تأكل اليابس والأخضر ، تفرق بين المرء وأخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، وتؤدي إلى البعد عن طاعة رب العباد ، موقظها ملعون ، وناشرها مفتون ، تفسد الأحوال وتؤدي إلى سوء المآل ، القاتل والمقتول فيها مصيره النار وبئس القرار.

لذا كان الإسلام حريصًا أشد الحرص على وقاية المجتمع من الفتن والخوض فيها ، ووجهنا النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بتوجيهات وقائية حال وقوع الفتن ، وعلَّم المسلم كيف يتعامل معها ويواجهها ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ - أَوْ يُوشِكُ أَنْ يأتي زَمَانٌ- يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، فَقَالُوا : وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: (تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ) [رواه أبو داود] ، وقوله (كيف بنا) يعني بم تأمرنا عند ذلك ؟ قال: (تأتون ما تعرفون) يعني: أَيْ مَا تَعْرِفُونَ كَوْنه حَقًّا، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ : أَيْ مَا تُنْكِرُونَ أَنَّهُ حَقّ . (عون المعبود) ، و (حُثَالة) بِضَم الْحَاء وَتَخْفِيف الثَّاء هِي: رَدِيء كل شَيْء وَمَا لَا خير فِيهِ.

فالله الله في الوحدة والمحافظة على الوطن ، والحذر الحذر من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، فلقد حذرنا منها ربنا (سبحانه وتعالى) في كتابه الكريم في أكثر من موضع ، من هذه المواضع ما أخبر الله (عز وجل) به أن الفتن لو نزلت لن تفرق بين مؤيد لها أو معارض، قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(الأنفال: ٢٥) ، وكذا حذرنا منها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كثيرًا ، فعن حُذَيْفَة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا – أي: قبلهَا وَسكن إِلَيْهَا – نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا – الْحجر الأملس– فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا – المرباد والمربد: الَّذِي فِي لَونه ربدة: وَهِي لون بَين السوَاد والغبرة كلون النعامة – كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا – المجخي: المائل ، وَيُقَال مِنْهُ: جخى اللَّيْل: إِذا مَال ليذْهب. وَالْمعْنَى: مائلا عَن الاسْتقَامَة منكوسًا– لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ) [رواه مسلم] ، وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ) [متفق عليه].

إن الواجب على المسلم العاقل أن يتجنب الفتن وما يثيرها ، وأن يتعامل معها بحذر، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِلْأَنْصَارِ: (إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي وَمَوْعِدُكُمُ الحَوْضُ) [رواه البخاري] ، و(أَثَرَةً) من الاستئثار ، أي: يُستأثَر عليكم بأمور الدنيا ، ويُفضَّل غيركم عليكم ، ولا يُجعَل لكم في الأمر نصيب .

إن تحاشي طريق الفتن والتحرز من الوقوع فيها شيمة المسلم الذي يحب النجاة لنفسه في الدنيا والآخرة ؛ ولذلك يمتدح النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من يحتاط لنفسه ويجنبها الانغماس فيما يقع فيه الناس من الفتن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الماشي ، والماشي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الساعي ، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ)

[متفق عليه].

والسلامة من الفتن تكون باتباع أمر الله تعالى ، وأمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، ولزوم الجماعة ، وطاعة ولاة الأمر في المعروف ، وفي مصلحة الوطن ، لذا حذر الله تعالى من يخالف ذلك من أن يغمس في الفتن في الدنيا مع ما ينتظره في الآخرة من عذاب أليم، يقول الله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النور: ٦٣) .

فيجب أن يتعاون الجميع من أجل النهوض بهذا الوطن المبارك ، والسعي إلى رقيه بِالجِدِّ وَالاجتِهَادِ ، والحفاظ على ممتلكاته ، والتقيد بأخلاقه وقيمه ، وأنظمته وقوانينه ، حتى نرقى بأنفسنا ونحافظ على أمننا واستقرارنا ، فالمواطن الصالح هو من يبني وطنه ويعمل على استقراره ويحافظ عليه ، ولا يسير خلف أصحاب الهوى والمصالح الشخصية ، والدعوات الهدامة الفاسدة والذين يسعون من خلفها لخراب الوطن ونشر الفوضى ، قال تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران : ١٠٣).

ومن أعظم الفتن التي تهدد أمن واستقرار المجتمع : الدعوات الهدامة التي تصدر من مرضى القلوب وضعفاء الإيمان ، الذين لا يؤمنون بوطنهم ، أصحاب الفكر المتطرف الذين يعملون على تفكيك المجتمع وزعزعة أمنه ، وهدم بنيانه وتمزيق أوصاله ، وزلزلة أركانه وتفريق كلمته ، لا يكفون عن أساليبهم ومؤامراتهم الخبيثة التي ليس لها هدف سوى إسقاط الدولة والنيل من استقرارها.

إن أخطر ما يهدد البلاد ويؤدي إلى الفرقة والتشاحن إساءة استخدام الدين ، والمزايدة به ، سواء بالشعارات الجوفاء أم بالخطب الرنانة ، أم بالمجادلات العقيمة التي لا تحقق نتيجة ، ولا تصل إلى غاية ، وقد ظهرت في أيامنا الأخيرة بعض الأصوات الشاذة والدعوات الهدامة التي

تدعو بلا حياء ولا خجل إلى الإفساد في الأرض ، وسفك الدماء ، وترويع الآمنين ، وإشاعة الفاحشة ، ورب العزة (عز وجل) يقول في كتابه العزيز :{إِنَّ الذين يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}(النور:١٩).

هذه الدعوات الهدامة التي يسعى أصحابها لخراب المجتمع ، ونشر الفوضى ، وضياع هيبة القانون تشكل خطرًا بالغًا على الأمن القومي للأوطان ، وتعد أكبر وأهم وقود للتطرف والإرهاب ، وتعطي ذريعة لوصف المجتمع بما ليس فيه ، تلك الدعوات التي يرفعونها قد تؤدي إلى فتن عظيمة تعصف بالبلاد والعباد من قتل وتدمير وتخريب ، وزعزعة لأمن الفرد والمجتمع ، ولنا فيما حولنا من الدول التي سقطت في الفوضى عبرة ومتعظ ، وديننا الإسلامي يدعو إلى كل أمن وأمان واستقرار ، وينبذ كل عدوان وإرهاب .

*   *   *

الوساطة والمحسوبية والرشوة
عوامل هدم وإحباط يجب القضاء عليها

أولا: العناصر:

١- الوساطة والمحسوبية والرشوة سلوكيات مرفوضة.

٢- موقف الإسلام من الوساطة.

٣- الإسلام يحارب المحسوبية.

٤- أضرار الرشوة بالمجتمع.

ثانيًا : الأدلـة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥].

٢- وقال تعالى: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} [النساء: ٨٥].

٣- وقال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

٤- وقال تعالى:{ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ} [البقرة: ١٨٨].

٥- وقال تعالى: { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [المائدة : ٤٢].

الأدلـة من الســنة :

١- عَـنْ أَبـي بَكْـرٍ الصِّـدِّيق (رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ) قـال: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ)

(رواه الحاكم).

٢- وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)

(متفق عليه).

٣- وعن أَبِي بُرْدَةَ بْن أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ : (اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَا شَاءَ) (رواه البخاري).

٤- وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ) (مسند أحمد).

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ ، قَالَ أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) (صحيح البخاري).

٦- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ)

(مستدرك الحاكم).

٧- وعن ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ) يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا

(مسند أحمد).

٨- وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ : فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ – اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا. (رواه البخاري).

ثالثًا : الموضــــوع:

فإن المتتبع لشريعة الإسلام يرى أنها صمام الأمان لكافة أمور الحياة ، تقوم على أسس العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، فما أجمل الحياة في ظل شريعة الله ، وإتقان العمل لله ، ومحاربة السلوكيات المرفوضة ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

ومن السلوكيات التي انتشرت في بعض المجتمعات العربية ، والتي تفتك بالأفراد والجماعات (الوساطة، والمحسوبية ، والرشوة) ، فهي داء عظيم استحكم في مجتمعاتنا وسكن قلوب الناس وعقولهم حتى أصبح من الصعب تركه والتخلي عنه.

جدير بالذكر أن هذه السلوكيات تؤثر في المجتمع تأثيرًا سلبيًّا ، و تنخر في جسد المجتمع حتى تهدم بنيانه ، ذلك لأنها سلوكيات تهدم قيمة ناصعة من قيم الإسلام، وهي تلك القيمة التي ما خلقت السموات والأرض ولا قامت إلا بها ، وهي قيمة الحق قال تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَق}[الحجر: ٨٥]. وذلك لأن هذه السلوكيات تحق الباطل وتبطل الحق.

لأجل هذا حرم الإسلام التعامل بها ؛ لما فيها من ظلم الناس وعدم إقامة العدل بينهم ، ولما فيها من تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، وكذلك عدم الوفاء بالأمانة وهي إسناد الأمر إلى غير أهله، فعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ)

(رواه الحاكم).

أولى هذه السلوكيات التي انتشرت هذه الأيام في كثير من الأمور (الوساطة) ، فلا يكاد الإنسان يصل إلى حق من الحقوق أو أمر يريده إلا بواسطة ، وهي ظاهرة اجتماعية موجودة منذ القدم ، فقد جاء في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).

لقد ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك مثالا رائعا لكلِ من يأتي بعده من حكام وقضاة وولاة ، فما أحرانا بالاقتداء به (صلى الله عليه وسلم) في هذا الأمر وفي غيره.

والوساطة في الاصطلاح الشرعي بمعنى الشفاعة، والشفاعة نوعان : محمودة ، ومذمومة. فالمحمودة هي: مساعدة كل محتاج للوصول إلى هدف مشروع من حقه أن يحصل عليه لكنه لا يملك الوسائل التي توصله إليه شريطة أن لا يلحق الضرر بالآخرين.

وهذه هي الشفاعة الحسنة التي قال الله تعالى فيها : {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا}[النساء: ٨٥]، وفي صحيح البخاري قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ).

أما المذمومة فهي : مساعدة الإنسان لحصوله على حق لا يستحقه أو إعفائه من حق يجب عليه دفعه مما يلحق الضرر بالآخرين ، وهذه هي الشفاعة السيئة التي قال الله تعالى عنها: {وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} [النساء: ٨٥].

فالوساطة إن كانت لأجل إحقاق حق أو كشف ظلم وباطل فهي شفاعة حسنة ، وهي التي جاء بفضلها الآيات والأحاديث ، أما عكس ذلك بمعنى أن يقوم الإنسان بالشفاعة لأجل رد حق وإبطاله ، أو تثبيت باطل، أو منع إنسان حقه الشرعي ؛ لأجل مصلحة إنسان آخر فهي لا شك وساطة سيئة، وهي من الظلم والعدوان ، وبسببها يُحرم كثير من الناس من حقوقهم الشرعية ، ويُوضع أناس في غير ما يستحقون من الأماكن والمناصب مع أنهم لا يمتلكون المؤهلات التي تؤهلهم لذلك ، وهناك من هو أفضل منهم ، والله عز وجل يقول:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[الأحزاب:٥٨]، وقال سبحانه: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}

[الشعراء: ٢٢٧].

وإذا كان ديننا الإسلامي الحنيف وقيمنا الأصيلة تؤكد أن الناس سواسية ، فإن ظاهرة الوساطة المذمومة أحد مظاهر الفساد التي تنسف مبدأ المساواة والعدالة ، وتهدر إمكانات الموهوبين أو المتميزين ، وتعتبر معول هدم ينخر في بنيان المجتمع ، وهي أخطر ما يهدد استقراره وتقدمه .

ومن ثم فإن الوساطة المذمومة سلوك خاطئ غير سوي، وهو أمر محرم من الناحية الشرعية ، ومن الناحية الاجتماعية ، ويؤدي إلى تدمير عملية التفاعل الاجتماعي وفقدان الثقة والشعور بخيبة الأمل، وبالتالي زيادة مشاعر الغيرة والحقد والعداء.

ثاني هذه السلوكيات المرفوضة (المحسوبية) ، التي انتشرت في الوقت الحاضر انتشاراً واسعاً ، حتى أصبح الإنسان لا يستطيع الحصول على حقه إلا بها .

إن المحسوبية تُعد من الأمراض المعنوية الخطيرة التي تفسد الحياة ، وهي نوع من أنواع الظلم.. سواء ظلم الإنسان لنفسه أو للآخرين، مع أن الإسلام لا يعرف المحسوبية ولا يعرف المحاباة ، فالناس جميعا في تشريعات الإسلام سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أحمر أو أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ، فالبشرية كلها سواء في عرف الإسلام ، خلقوا جميعا من أصل واحد أبوهم آدم عليه السلام وأمّهم حواء.. فلا تفاضل بين بني البشر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، قال تعالى: {يَا أَيُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات:١٣]. وفي الحديث أن رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ) (مسند أحمد).

ومن هذا المنطلق نرى الإسلام لا يفرق بين سيد ومسود ولا بين حاكم ومحكوم ، الكل أمام تشريعات الله سواء ، فلابد من تحقيق العدل بينهم ، فلا محاباة ولا محسوبية في الإسلام ولا عند حكام الإسلام.

ولقد وقف سيدنا على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) أمام القاضي مع خصمه اليهودي وهو أمير المؤمنين يومها. وإذ بالقاضي ينادى على أمير المؤمنين بكنية أبى الحسن وبلقبه أمير المؤمنين فيقول: يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين ، وينادى اليهودي باسمه. فيقول أمير المؤمنين، على (رضي الله عنه): والله ما عدلت أيها القاضي ، لقد ناديت على خصمي باسمه ، وناديتني بكنيتي ولقبي فقلت: يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين ، وإنه يجب عليك أن تسوى بيننا في الكنى والألقاب.

نعم إن الإسلام لا يعرف المحاباة ولا يقر المحسوبية، لقد تعلم الصحابة هذا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ففي حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مواقف حطم فيها كل مظاهر المحسوبية والمحاباة حتى مع أقرب الناس إليه ، كما حدث في شأن المرأة المخزومية. فالإسلام لا يحابى ولا يجامل أحدًا على حساب أحد في الحق والحقيقة. فكم من حقوق سلبت ، وكم من أموال ضيعت ، وكم من نفوس أزهقت وضاع دمها هدراً بسبب تفشى المحسوبية والمحاباة حتى بين الدول بعضها مع بعض ، علاوة على محاباة الأفراد والأشخاص.

فلخطورتها حذر منها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ففي صحيح البخاري ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ ، قَالَ أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ).

فقد وضح الحديث أن من فضل أحدا على أحد محاباة وهناك في المسلمين منْ هو خيرٌ منه، فقد ضيع الأمانة وخان الله وخان رسوله وخان المؤمنين ، يؤكد ذلك ما جاء في حديث آخر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ) (مستدرك الحاكم).

وهذا ما نراه للأسف الشديد في أيامنا هذه من افتقاد للعدالة وانتشار للمحسوبية ، حيث نجد الكثير من الناس لم يحصلوا على حقوقهم نظراً لعدم وجود المحسوبية لديهم، مما أدى إلى الفرقة والبغضاء والأحقاد وإيغار الصدور بين أفراد المجتمع.

كذلك من السلوكيات المرفوضة التي انتشرت في مجتمعاتنا (جريمة الرشوة) : فهي مرض اجتماعي خطير، وجريمة خطيرة، تؤصل وتؤسس مبدأ الظلم الفاحش ،فتحرم ذوى الكفاءة والنباهة الذين لا ظهر لهم ولا ظهير من نيل حقوقهم المشروعة وإعطائها لغيرهم ممن لا يستحقون ، وكل ذلك لأن لهم سندا ومعينا يخول لهم ما لا يستحقون.

فهي من أشدّ الأمراض الاجتماعية فتكًا بالأمم ، فهي تفتك بالمجتمع فتكًا ذريعًا، وتهدر أخلاق الأمة وكيانها ، وتعود عليها بالوبال والدمار في الأسر والمجتمعات والأفراد والمال في الدنيا ، ويوم العرض على الكبير المتعال ، فإذا فشت الرشوة في أمة من الأمم واسْتَمْرَأَ الناس تعاطيَها فاعلم أن الضمائر قد ماتت ، وأن نظام الأمة قد قُوِّض ، فقد شدّد الشرع على آخذها ودافعها والساعي بينهما بأن جعلهم مطرودين من رحمة الله ، متعرضين لسخطه وغضبه، فَعنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ) يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا ، فما دخلت الرشوة عملًا إلا عاقته، ولا مجتمعًا إلا أفسدته ، ولم يتوقف الأمر على مجرد النهي عنها وذمها ، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد اللعن الصريح الذي يعني الطرد من رحمة الله تعالى ، وما هذا إلا لأن الرشوة قتل لكفاءات المجتمع، ودعوة صريحة لهدم أساساته التي يقوم عليها ازدهاره وتقدمه .

والرشوة في الإسلام محرمة بأيةِ صورة كانت ، وبأي اسم سميت ، سواء أسميت هدية أم مكافأة ، فالأسماء لا تغير من الحقائق شيئًا ، والعبرة للحقائق والمعاني لا للألفاظ والمباني ، ولم يعبر القرآن الكريم عن الرشوة بلفظها صراحة ، لكنه ورد عن طريق النهى عن أكل أموال الناس بالباطل وهو الحرام عامة والرشوة خاصة ، قال تعالى:{ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ}[البقرة: ١٨٨] ، وقد جاءت في موضع آخر بلفظ السحت وهو الرشوة ، وذلك في معرض ذم أحبار اليهود ؛ لتناولهم إياها

وتعاملهم بها ، قال تعالى:{ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}[المائدة : ٤٢] ، وفى الحديث عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ : فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ – اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا. (رواه البخاري).

ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن يستغل نفوذه ويستبيح لنفسه أن يأخذ ما لا يحل له أخذه ، وإن ألبسه أثوابا مستعارة كالهدية والوساطة وغير ذلك ، فهذا خيانة في الأمانة ، وسحت لا يبارك الله له فيه ولا في نفسه ولا في أولاده ولا في عائلته، فطالما أن العامل يأخذ ما يستحق وينال ما يحتاج ويحصل على ما يقضى حاجته ويلبى مطالبه فما أخذه بعد ذلك فليس من حقه .

ومن أضرار الرشوة بالمجتمع : أنها تهدم ركيزة أساسية هي أساس الملك وبها قامت الدنيا وعليها تقوم الدول ، ألا وهى قيمة العدل ، فالرشوة حرمت لأنها من أهم العوامل التي تؤثر في مجرى العدل بين الناس وتغير موازينه وتمهد للظلم فى الأحكام وإعطاء الحقوق لغير مستحقيها .

وهى كذلك إعانة للظالم على ظلمه، وتفويت الحق على صاحبه، وإهدار للحقوق، وتعطيل للمصالح ، وبها يقدم السفيه الخامل، ويبعد المجد العامل، فكم ضَيعتْ من حق ، وأَهدرتْ من كرامة ، ورفعتْ من لئيم ، وأهانت من كريم، فهي قضية خطيرة ينبغي التصدي لها بقوة والأخذ على متعاطيها بيد من حديد.

وفي الختام نقول : إن ما تعانيه المجتمعات اليوم من مشاكل مزمنة يعود إلى انتشار الوساطة والمحسوبية والرشوة في الحياة العامة ، وانعدام تكافؤ الفرص بين الناس، والتمييز على أسس مختلفة، مما يؤدي إلى تأخر المجتمع، وغياب العدالة الاجتماعية ، وبالتالي زيادة مشاعر الغيرة والحقد والعداء . ويوم أن تدخل الوساطة ، أو المحسوبية ، أو الرشوة ، في حياة الناس فإن ذلك نذير شؤم، ومؤشر بلاء على المجتمع.



محاربة الفساد والإهمال مطلب شرعي وواجب وطني

أولاً: **العناصر**:

١. الإصلاح ضرورة شرعية وغاية إنسانية.

٢. الإصلاح والإيمان والتقوى قرناء.

٣. تحذير الإسلام من الفساد بكل أشكاله وأنواعه.

٤. من صور الإفساد في الأرض.

٥. ضرورة التصدي للمفسدين.

٦. الإهمال لون من أخطر ألوان الفساد.

ثانيًا : **الأدلة**:

الأدلة من القرآن الكريم:

١. قال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ *وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٤– ٢٠٦] .

٢. وقال تعالى:{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف: ٥٦] .

٣. وقال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١، ١٢].

٤. وقال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة:٣٣].

٥. وقال تعالى:{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢].

٦. وقال تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}. [هود: ١١٦-١١٧].

٧. وقال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص:٧٧].

٨. وقال تعالى:{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١] .

الأدلة من السنة الشريفة:

١. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) فَقَالَ : (يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ ، وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ ، إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ

، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ، إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ). (سنن ابن ماجه) .

٢. وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) أن النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا) .

(رواه البخاري في صحيحه) .

٣. وعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قال: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ) يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا)

(رواه الإمام أحمد في مسنده).

٤. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ)

(رواه ابن ماجه في سننه).

٥. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: (يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ) (مسند أحمد) .

ثالثا: الموضوع:

لقد جاءت الرسالات السماوية بتوجيهات وأحكام للناس تهدف إلى إصلاح الأرض وحفظ مقوماتها ، ولن يتمكن الإنسان من أداء المهمة

العظيمة التي خلق من أجلها وهي العبادة حتى يقوم بمهمة المحافظة على صلاح الأرض وإصلاحها .

والمتأمل لآيات الإصلاح في القرآن الكريم يجد أن كلمة الإصلاح وردت بمشتقاتها في القرآن الكريم حوالي مائتي مرة ، والإكثار من ذكر الشيء يدل على العناية به، ويدل كذلك على شرفه وعلو مكانته.

إن الإصلاح مطلب شرعي ، أمر الله (عز وجل) به الأنبياء (عليهم السلام) فأمروا به أقوامهم، فرسالة الأنبياء جميعا (عليهم السلام) هي إصلاح الفرد والأرض : فهذا نبي الله صالح (عليه السلام) ينادي في قومه: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) [الشعراء:١٥٠-١٥٢].

وهذا نبي الله شعيب (عليه السلام) يقول لقومه: (اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [العنكبوت:٣٦] ، ثم وضح لهم حقيقة دعوته وأنها دعوة للإصلاح فقال: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هود:٨٨].

والإصلاح وصية نبي الله موسى (عليه السلام) لأخيه هارون (عليه السلام) حيث يقول له: (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) [الأعراف:١٤٢].

ولم يبخل نبي الله موسى (عليه السلام) بالنصيحة لقارون الذي فُتن بماله واستغله في الإفساد في الأرض ، فقال له: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص:٧٧].

لقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان بالله (عز وجل) والإصلاح قال تعالى: (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [الأنعام:٤٨]، وبين التقوى والإصلاح كقوله تعالى: (فَمَن اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [الأعراف:٣٥]، وبين التوبة والإصلاح كقوله تعالى:{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا} [البقرة:١٦٠]، وقوله تعالى: {فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا} [النساء:١٦] ، وقوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور:٥] ، فالإصلاح إذا هو ثمرة الإيمان والتقوى والتوبة .

ومن فوائد الإصلاح التي أخبر عنها القرآن الكريم أنه يستجلب رحمة الله ومغفرته، قال تعالى: {وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا} [النساء:١٢٩] ، وأنه سبب لنجاة الأمم من الهلاك والضياع ، قال سبحانه: {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}.

[هود: ١١٦-١١٧].

إذاً فالإصلاح مطلب شرعي وضرورة إنسانية يقتضيها العقل، وهو مسئولية الجميع .

وإن من الإصلاح أن يعي الفرد ماله وما عليه ، فلا يعتدي على حقوق الآخرين ، وأن يدرك الفرد واجباته فيقوم بها خير قيام في حدود طاقته و وسعه، وهذه صفات الفرقة الناجية التي أخبر عنها النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) في قوله : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)

(رواه الإمام مسلم في صحيحه).

وكما أمر الإسلام بالإصلاح وجعله مطلبا شرعيا وضرورة إنسانية حذر كل التحذير من الإفساد في الأرض حسيًّا كان أو معنويًّا ، باليد كان أو باللسان ، والفساد هو كل قول أو فعل أو تصرف أو سلوك خالف تعاليم الإسلام السمحة التي تدعو إلى الإصلاح في الأرض.

وفي القرآن الكريم ورد التحذير الشديد من الفساد والمفسدين ، فلقد ورد لفظ (الفساد) في أحد عشر موضعا من ثمان سور، وورد لفظ (المفسد) في موضع واحد من سورة البقرة ، وورد لفظ (المفسدون) أو (المفسدين) في عشرين موضعًا من اثنتي عشرة سورة ، وورد لفظ (يفسدون) في خمسة مواضع من خمس سور ، من هذه المواضع قال تعالى: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}[الأعراف: ٥٦]، وأخبر المولى (جل جلاله) أنه لا يحب الفساد ولا المفسدين ، قال سبحانه: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٥]، وقال: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ}[المائدة: ٦٤]، وقال:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِين}

[القصص: ٧٧].

وأخبر القرآن الكريم أن الله (عز وجل) يبطل أعمال المفسدين ويخيّب آمالهم ، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٨١]. فكل مفسد ـ وإن ادّعى صلاحًا ـ عمل عملا بمكر ودهاء منه ، فإن عمله سيبطل ، وإن تحقق لعمله الفلاح بعض الوقت ، فهو فلاح مؤقت ، فإن مآله المحقق عدم الصلاح ، وهذا هو حال المنافق المفسد المدعي الإصلاح ، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}

[البقرة: ١١، ١٢].

وبفساد الإنسان تفسد البيئة ، قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الروم: ٤١]، وذلك بظهور الأسقام ونقص الثمار، ومحق البركة من كل شيء. وقال تعالى في كتابه العزيز: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}، وعبر بكلمة (تَعْثَوْا) وهي أشد أنواع الفساد ، أي :لا تفرطوا في الإفساد ولا تفسدوا دنياكم بالتمادي في المعاصي . فالفساد في الأرض هو خلق اللئام من البشر، لا يتخلق به إلا المنافقون واليهود المغضوب عليهم ،الذين قال الله فيهم:{وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤]، أي يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله، وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم .

وللفساد صور متعددة أخطرها ما كان في العقيدة والفكر والتصور والإدراك ، وكل ما كان باسم الدين ، فقد ابتليت الأمة بأناس يفسدون في الأرض ويتدثرون بثياب الدين والدين منهم براء ، فيقتلون

ويستبيحون الأعراض والأموال باسم الدين ، فهؤلاء ذمهم الله عز وجل في كتابه فقال عنهم : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ }

[البقرة: ٢٠٤: ٢٠٦] .

إن الفسادَ بكل صوره وأنواعه يُزعزِعُ القِيَم الأخلاقيَّة ، وينشُر السلبيَّة وعدمَ الشعور بالمسؤولية، والشعورَ بالظلم، مما يُؤدِّي إلى حالاتٍ من الاحتِقانِ والحِقدِ والتوتُّر والإحباط واليأسِ من الإصلاح، ويضعُفُ الولاء الصادق للحق وللأمة وللدولة، و يُهدِّدُ الترابُط الأخلاقيَّ، وقِيَم المُجتمع الحميدة المُستقرَّة. والفسادُ داءٌ مُمتدٌّ لا تحُدُّه حدودٌ، ولا تمنعُه فواصِلُ، يطَالُ المُجتمعات كلَّها بدرجاتٍ مُتفاوِتة ، ولابد من التصدي للفساد والمفسدين بكل صوره ، فالتصدي له فيه نجاة للمجتمع كله ، وإهماله وعدم التصدي له فيه الهلكة للمجتمع كله ، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (رواه البخاري في صحيحه) فلابد من التآزر والتعاون والتناصر والتضامن بين المسلمين وتحقيق الإيمان والأخوة الإسلامية.

إن الله تعالى قرن بين النفاق والإفساد في الأرض، فقال تعالى – في سياق حديثه عن المنافقين–: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١، ١٢]، فكيف بك أيها المفسد وأنت تسير في طريق المنافقين توشك أن تصل إليهم في الدرك الأسفل من النار؟!!

إن تطهير الأرض من المفسدين وتأمين الطرق والمنشآت وحمايتها من المفسدين من أعظم أعمال الخير وأجل أنواع البر ، فالله (عز وجل) يدفع بالمصلحين فساد المفسدين ، وقال تعالى: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) [هود: ١١٦]. وإن المفسد مِعول هدم للمجتمع، فلا نجاة للعباد إلا بمنعه من الفساد.

والتصدي للفساد مسئوليَّةُ الجميع أيضاً ، وأول صور التصدي للفساد عدم قبوله ورفضه وبيان خطورته على الفرد والمجتمع ، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ (رضي الله عنه)أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ :(لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) (رواه مسلم في صحيحه).

ومن صور التصدي للفساد تفعيل القوانين الرادعة لكل مفسد ، وكما قال سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه): (إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن).

إن من أعان المفسدين أو رضي بأفعالهم أو تستر عليهم وخاصة من يفسد باسم الدين فهو شريك لهم في الإثم ، وقد نهى الله (تعالى) عن ذلك بقوله : {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ}[المائدة:٢]. وفي الحديث: أن رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : (إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ، حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ)

(أخرجه أحمد في المسند).

على أننا نؤكد على ضرورة القضاء على الإهمال ، وبيان أنه لا يقل خطورة عن سائر ألوان الفساد ، فضياع المال إهمالا كضياعه فسادًا أو إفسادًا ، وقتل النفس نتيجة الإهمال كقتلها فسادًا أو إفسادًا ، لأن المحصلة واحدة هي ضياع المال أو قتل النفس ، مما يتطلب من كل واحد منا القيام بواجبه على أكمل وجه ، (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (رواه البخاري)، كما أنه مسئول عما استعمله الله (عز وجل) عليه ، وولاه إياه ، فعليه أن يؤدي الأمانة التي تحملها على الوجه الأكمل مرضاة لله ورسوله ووفاء بالمسئولية التي تولاها ، والأمانة التي تحملها ، والوطن الذي ائتمنه عليها.

* * *

النظافة وأهميتها للفرد والمجتمع

أولا: العناصر:

١. عناية الإسلام ببناء الإنسان صحيًّا وسلوكيًّا.

٢. النظافة سلوك حضاري.

٣. مجالات النظافة .

٤. النظافة من أهم سبل الوقاية من الأمراض.

٥. أنواع التلوث : (البيئي- السمعي- البصري).

٦. أضرار التلوث على الفرد والمجتمع .

ثانيا: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١. قال الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [الفرقان: ٤٨].

٢. وقال تعالى: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) [التوبة: ١٠٨] .

٣. وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ) [المائدة: ٦].

٤. وقال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [الأعراف: ٣١].

٥. وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [المدثر: ١:٤] .

٦. وقال تعالى:{ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...} [البقرة :١٩٥].

٧. وقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة: ٢٢٢] .

الأدلة من السنة:

١. عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا). (رواه الإمام مسلم).

٢. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ).

(رواه الإمام مسلم).

٣. وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَمِطِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ) (رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد) .

٤. وعن أم المؤمنين عَائِشَةُ (رضي الله عنها) أن النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ) . (رواه الإمام البخاري).

٥. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ

لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ) (صحيح مسلم).

٦. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ) (رواه الإمام مسلم).

٧. وعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) (أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ) (رواه الإمام مسلم).

ثالثا: الموضوع:

لقد عني الإسلام عنايةً بالغة ببناء الإنسان ورعايته صحيًا، ونفسيًا، وسلوكيًا، ، فحثَّهُ على النظافة وأمره بها، وجعلها ضرورة شرعية لحمايته من الأمراض والأضرار ، فهي من أسباب صحة الأبدان وسلامتها وطهارتها ، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}[الفرقان: ٤٨]. هذا الماء الطهور هو نظافةٌ للأبدان وسلامةٌ لها ، فرسالة الإسلام تتطلب أن ينعم أبناؤها بأجسامٍ قوية تجري في عروقها دماء العافية ، ويمتلئ أصحابها فتوة ونشاطًا ، فإن الأجسام الهزيلة لا تطيق عبئًا ، والأيدي الضعيفة لا تقدم خيرًا، ورسالة الإسلام أوسع في أهدافها وأصلب في كيانها من أن تحيا في أمة ضعيفة عاجزة ،{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } [القصص: ٢٦] ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ). (صحيح مسلم) . فالمسلم القوي نافع لنفسه، ودينه، ووطنه، من هنا كانت عناية الإسلام ببناء إنسان قوي البنيان، مستقيم النفس، حسن السلوك ، عالم بأمور دينه ودنياه .

كما أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن النظافة سبب لمحبته ، فقال:{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}، ولقد مدح الله عباده المؤمنين بحرصهم على تنظيف أجسادهم وتنظيف ظواهرهم، كما ينظفون بواطنهم، فقال تعالى: (لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)

[التوبة: ١٠٨] .

ولما كانت النظافة ضرورة شرعية في حياة الإنسان ، لازمة له ، جعلها الإسلام نصف الإيمان ، فعَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)

(رواه الإمام مسلم).

وجعلها جزءًا لا يتجزأ من شرائعه فشرع الاستنجاء ، والوضوء ، والسواك ، والغسل ، وخصال الفطرة، وجعل الطهارة شرطًا لصحة كثير من

العبادات كالصلاة ، والطواف ، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا... } [المائدة : ٦]، وقال (صلى الله عليه وسلم): (تَسَوَّكُوا، فَإِنَّ السِّوَاكَ مَطْيَبَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ، مَا جَاءَنِي جِبْرِيلُ إِلا أَمَرَنِي بِالسِّوَاكِ حَتَّى لَقَدْ حَسِبْتُ أَنْ يَفْرِضَهُ عَلَيَّ وَعَلَى أُمَّتِي ، وَلَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي فَرَضْتُهُ عَلَيْهِمْ، إِنِّي لأَسْتَاكُ حَتَّى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أُحْفِيَ مَقَادِمَ فَمِي)

(رواه الطبراني).

وحرصًا من الإسلام على صحة الإنسان حرَّم على المسلم أن يأتي زوجه أثناء حيضها، فسمى الله عز وجل الحيض أذى ، نظرا لما فيه من أضرار نفسية وجسدية تؤثر على كلا الزوجين، قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢].

واهتمام الإسلام بالنظافة لا يدانيه اهتمام في الشرائع الأخرى ، فلم ينظر إليها على أنها مجرد سلوك إنساني مرغوب فيه أو متعارف عليه اجتماعيًا فحسب ، بل جعلها سلوكًا حضاريًّا وخلقًا وأدبًا عظيمًا من آداب الإسلام ، فهي سلوك رفيع وقيمة عظيمة تحبها الفطر السليمة ، ولم يقتصر الشرع على الاهتمام بنظافة البدن فحسب ، بل اهتم بنظافة ما من شأنه أن يحافظ على صحة الإنسان ، فجعل للنظافة مجالات متعددة ، ومن

ذلك حثه على حفظ الأطعمة والأشربة من كل ما يلحق بها الضرر ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (غطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ).

إن نظافة المأكل والمشرب ، وكذلك نظافة البدن والأسنان وغسل اليدين قبل الأكل وبعده وقاية للمجتمعات من الأمراض والعلل، وتوفير لثمن العلاج والتكلفة المرهقة للمستشفيات والدولة ، والوقاية خير من العلاج ، قال تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...} [التحريم: ٦] .

وكذلك حث الإسلام على نظافة الملبس وألزم المسلم أن يهتم به وبطهارته ، فبعد أن أمر الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وسلم) بذكره وتكبيره وإنذار قومه أمره بتطهير الثوب ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (المدثر: ٤:١) ، فقرن سبحانه الأمر بطهارة الثوب بهذه الأوامر لأهمية الطهارة والنظافة ، ولأنها صفة يحبها الله عز وجل ، وفسر العلماء الطهارة هنا بطهارة ونظافة الداخل والخارج ، وبطهارة السر والعلانية ، فطهارة الخارج أن يكون العبد نظيفاً أنيقاً ، وطهارة الداخل: أن تكون النفس بعيدة عن أدران المعاصي ووسخ الذنوب ، وألا ينعقد القلب على الضرر أو الخداع أو نحو ذلك من الصفات الذميمة.

فلا ينبغي للمسلم أن يكون رثّ الثياب أشعث أغبر ، فالله عز وجل جميل يحب الجمال ، كما أخبر النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ) (رواه مسلم).

كذلك من مجالات النظافة في الإسلام : نظافة الطريق والأماكن العامة من كل دنس أو أذى ، فنظافة الطرق والأماكن العامة دليل على الرقي والتقدم ، وقد دعانا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) إلى إزالة كل ما يلقى على الطريق من القاذورات والأذى ، واعتبر ذلك من أبواب الخير ، فعنْ أَبِي بَرْزَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ ؟ قَالَ : (أَمِطِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ) (رواه أحمد في المسند) ، بل أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن تنظيف الطرق من الأذى سبب لدخول الجنة ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِى الْجَنَّةِ فِى شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِى النَّاسَ) (رواه مسلم) ، وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ؟ قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَمِطِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ) (رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد) .

وفي هذا دلالة واضحة على أن تلوث الطرق بإلقاء القمامة ونحوها من سائر الملوثات والقاذورات يعاقب عليه صاحبه ، وأن إزالة الأذى عن الطريق من أعمال البر التي تكفر السيئات وتوجب الغفران ، وعدها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شعبة من شعب الإيمان ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ) (رواه مسلم).

إن الإسلام قد حرص على نظافة البيئة المحيطة بالإنسان ، وأن تكون خالية من الأمراض، لأن الأمراض إذا انتشرت في مجتمع فإنها لا تخص شخصًا دون شخص، ولكنها تؤثر سلبًا على حياة الناس عمومًا، حيث وضع الإسلام قواعد لمنع انتشار الأمراض والأوبئة في المجتمع سبق بها الطب الحديث ، وجعل النظافة من أهم أسباب وقاية المجتمعات من كل الأدران والأضرار ، ومن هذه الوقاية التي شرعها الإسلام : قضاء الحاجة في أماكن معزولة حتى لا يتلوّث بها ماء ، ولا يتنجس بها طريق ولا مجلس ، فعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ (رواه الإمام مسلم)، وشدد في ذلك حتى في الأماكن التي يرتادها الناس لمجالسهم وتحت الشجر الذي له ظل، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ) (رواه الطبراني في الكبير).

وكما رغب الإسلام في النظافة وضرورة المحافظة عليها حذر من التلوث بجميع أنواعه (سمعي وبصري وبيئي) ، حيث قرر مبدأً عظيمًا وهو أنه (لا ضرر ولا ضرار) ، فحذرَنا من تلوث البيئة وإفسادها بما نقترفه في حقها من ممارسات غير سليمة من قطع للأشجار وإلقاء الفضلات والمخلفات ومياه الصرف في نهر النيل ، وغير ذلك مما يكون سببًا في ضرر الآخرين ، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١] .

ومن المعلوم أن أضرار التلوث ليست قاصرة على الإنسان وحده فحسب ، بل تتعداه إلى جميع المخلوقات ، لذا جاء النهي عن التلوث بجميع صوره حفاظًا على الفرد والمجتمع وسائر المخلوقات ، قال تعالى : {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦] ، وروى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) عَن النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنْ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ) ، ويماط: يعني يزال ، والأذى ما يؤذي المارة من شوك وأعواد وأحجار وزجاج وأرواث وغير ذلك مما يؤذي ، فإماطته من محاسن الأعمال.

ومن ثم فإن الإسلام حريص على تربية المسلم على الطهارة بكل معانيها، طهارة العقيدة من كل الخرافات ، طهارة الأخلاق من الرذائل والمنكرات ، طهارة اللسان من كل القبائح والآثام ، طهارة الجسد

والثياب من الأوساخ ، نظافة المسجد ، نظافة الطريق ، نظافة البيت وفِناء الدار ، بل إن الإسلام ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حينما جعل النظافة ركنًا أساسيًّا في حياة المسلم ؛ لأن أمور دينه لا تستقيم إلا على نظافة البدن والملبس والمكان ، كما أن الصحة مرتبطة بالنظافة ارتباطًا وثيقًا لا تنفك عنه بأي حال من الأحوال .

لذا لابد وأن يكون الإنسان على وعي تام بالنظافة وقضايا البيئة وأهمية الحفاظ عليها وخطورة تلوثها التي تعود بالضرر عليه وعلى الآخرين، ولابد أن نُعَلِّمَ ذلك أولادنا في المدارس والنوادي وجميع صروح التعليم منذ نعومة أظفارهم نظافة أماكنهم وتجميلها حتى يتعودوا على ذلك ، فالحفاظ على البيئة أمر مكتسب نتعلمه ونتربى عليه ، ولابد أن يكون الكبار قدوة حسنة للصغار ، فماذا ننتظر من طفل يرى والديه أو أحدهما يرمي بالقمامة من شرفة المنزل في طريق الناس أو على سطح جاره ، وماذا نتوقع من طفل يرى الكبار يبصقون في الطريق ، أو يكتبون على الجدران أو غير ذلك من جرائم التلوث السمعي والبصري واللفظي التي نراها يوميًا ! لاشك أنه سينشأ على هذا السلوك ، فالولد صنعة أبيه كما يقولون ، وكما قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا *** على ما كان عوّده أبوهُ

ومن هذا المنطلق يجب أن نحرص جميعًا على النظافة (نظافة قلوبنا ، وجوارحنا ، وأجسادنا ، ومجتمعنا ، و مدننا ، وقرانا) لأنها مظهر من مظاهر التقدم والرقي ، ولا بد أن نأخذ بالأساليب العلمية الحديثة في نظافة مجتمعنا بوازع دينيٍّ ، ووازع حضاريٍّ ، ووازع إنسانيٍّ.

الاحتكار والاستغلال والغش أدواء قاتلة حرمها الإسلام

أولا: العناصر:

١- الحث على الكسب الحلال .

٢- حرمة الاحتكار والتلاعب بأقوات الناس.

٣- حرمة الاستغلال.

٤- حرمة الغش.

أ- الغش في النوع والجودة.

ب- الغش في المقدار وتطفيف الكيل والميزان.

٥- خطورة هذه الأدواء على الفرد والمجتمع.

٦- ضرورة التكاتف للقضاء على هذه الأدواء.

٧- ضرورة التكافل والتراحم وبخاصة في أوقات الأزمات والشدائد.

ثانيا: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١. قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢].

٢. وقال تعالى:{يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نارًا وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} [النساء:٢٩ـ ٣٠].

٣. وقال تعالى:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ٨٥].

٤. وقال تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا} [الإسراء: ٣٥].

٥. وقال تعالى:{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين:١ـ ٣].

٦. وقال تعالى:{وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ١٦١].

الأدلة من السنة النبوية:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ) (صحيح مسلم).

٢. وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) (البيهقي في شعب الإيمان).

٣. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ : { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} ،

وَقَالَ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ) (صحيح مسلم).

٤. وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ، ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ) (رواه ابن ماجة).

٥. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى) (رواه أحمد).

٦. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فقد بَرِئَت منه ذمة الله ورسوله)

(مسند أحمد ، والهندي في كنز العمال واللفظ له).

٧. وعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ (رضي الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغَلِّيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (رواه أحمد). وعند البيهقي في السنن الكبرى:

(كَـانَ حَقًّـا عَلَـى اللهِ أَنْ يَقْذِفَـهُ فِـي مُعْظَـمٍ مِـنَ النَّـارِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ).
والعُظم (بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الظَّاءِ ، أَيْ : بِمَكَانٍ عَظِيمٍ مِنْ النَّارِ .

٨. و عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ (رضـي الله عنـه) أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ (صـلى الله عليـه وسـلم) مَـرَّ عَلَـى صُـبْرَةٍ مِـنْ طَعَـامٍ، فَأَدْخَـلَ يَـدَهُ فِيهَـا، فَنَالَـتْ أَصَـابِعُهُ بَلَـلاً، فَقَـالَ: (يَـا صَـاحِبَ الطَّعَـامِ، مَـا هَـذَا؟)، قَـالَ: أَصَـابَتْهُ السَّـمَاءُ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ، قَـالَ: (أَفَـلاَ جَعَلْتَـهُ فَـوْقَ الطَّعَـامِ حَتَّـى يَـرَاهُ النَّاسُ)، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) (سنن الترمذي).

٩. وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ (رضـي الله عنـه) أَنَّ رَسُـولَ اللهِ (صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (... مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (رواه مسلم).

١٠. وعَــنْ أَبِــي مُوسَــى (رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْــهُ) قَــالَ: قَــالَ النَّبِــيُّ (صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ): (إِنَّ الأَشْـعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُـوا فِـي الغَـزْوِ ، أَوْ قَـلَّ طَعَـامُ عِيَـالِهِمْ بِالْمَدِينَـةِ جَمَعُـوا مَـا كَـانَ عِنْـدَهُمْ فِـي ثَـوْبٍ وَاحِـدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)

(رواه البخاري).

١١. وعَـنْ عَبْـد اللَّـهِ بْـنِ عُمَـرَ (رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا) أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ (صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ) قَـالَ: (المُسْـلِمُ أَخُـو المُسْـلِمِ ، لاَ يَظْلِمُـهُ وَلاَ يُسْـلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ) (رواه البخاري).

١٢. وعَـنْ جَـابِرِ بْـنِ عَبْـدِ اللَّـهِ (رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا): أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ (صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ)، قَـالَ: (رَحِـمَ اللَّـهُ رَجُلًـا سَـمْحًا إِذَا بَـاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى) (رواه البخاري).

ثالثا: الموضوع:

من عظمة الدين الإسلامي أنه دين شامل لكل مناحي الحياة ، فما من أمر من أمور الدنيا يحتاجه الناس إلا أوجد له العلاج الأمثل الناجح في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فدين الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحقق السعادة للفرد والمجتمع بتعاليمه السمحة التي تتناسب مع الفطرة البشرية.

ولما كانت النفس الإنسانية مجبولة على حب المال الذي به قوام حياتها وانتظام أمرها ومعاشها جاءت الشريعة الإسلامية السمحة بالحث على السعي في تحصيل المال واكتسابه من طرق مشروعة ومباحة ، فأباحت كل صور الكسب الحلال التي ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير، قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[البقرة:١٧٢]. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} ، وَقَالَ :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ) (صحيح مسلم).

ومن ثم حثت الشريعة الإسلامية على السهولة واليسر ، والسماحة وحسن المعاملة في البيع والشراء ، وطلب الربح اليسير دون عنت أو مشقة على الناس ، وحضت المسلم على ضرورة الشفَقَة والتلطف بإخوانه المسلمين ، حتى تتحقق لهم البركة في الرزق ، والسعة في الأموال ، بل جعلت هذا بابًا عظيمًا من أبواب الرحمة والإحسان ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) [رواه البخاري] ، وفي رواية للحكيم الترمذي (رحمه الله) من حديث جابر- أيضاً – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ ، كَانَ سَهْلاً إِذَا بَاعَ ، سَهْلاً إِذَا اشْتَرَى ، سَهْلاً إِذَا اقْتَضَى) .فقضية البيع والشراء في الإسلام قائمة على أساس العدل ، والصدق ، والوضوح التام ، بعيدًا عن الظلم والغرر واستغلال حاجات الناس ، وهذا هو الطريق لحصول البركة في البيع والشراء ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَارِثِ ، قَالَ: سَمِعْتُ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) (رواه البخاري).

ونظراً لما يترتب على الكسب الخبيث من آفاتٍ وشرورٍ جاءت شريعة الإسلام ضابطةً لتصرفات البيع والشراء والتعاملات المالية بما يحقق التوازن بين سعْي التجار في تحصيل الأرباح ، وسعْي العامة في تلبية

احتياجـاتهم، فحرمـت كـل مـا يـؤدي إلى التلاعـب بـأقوات النـاس وحاجاتهم الأساسية ، لما يترتب عليه من إفساد العلاقة بين المسلمين ، ومن ذلك : احتكار السلع الأساسية التي يحتاجها الناس ، والاستغلال ، والغش بجميع صوره ، والتلاعب بأقواتهم وحاجاتهم الأساسية ، وغير ذلك من الأمور التي تشكل خطرًا داهمًا على الاقتصاد الوطني ، وتؤثر على الحياة الاجتماعية والمجتمعية.

والاحتكـار : يعـني حـبس السـلعة والامتنـاع عـن بيعهـا ، أو محاولـة الاستحواذ عليها في السوق بقصد رفع أسعارها وزيادة تحقيق الأرباح على حساب الناس والمجتمع ، وربما حتى على حساب الأمن القومي للبلاد ، وهو دليل على دناءة نفس صاحبه وسوء خلقه ، لذا نهى النبي الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن كل ألوان الاحتكار وكنز السلع لرفع ثمنها على الناس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَن احْتَكَرَ يُرِيدُ أَنْ يُغَالِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ، وَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ) (رواه أحمد).

وفي ذلك ما يؤكد حرمة استغلال حوائج الناس، أو التلاعب بأقواتهم وحاجاتهم الأساسية التي يحتاجون إليها ، سواء في طعامهم أم في غيره، لأن ذلك يُعدّ كسبًا خبيثًا محرَّما ، وهذا ما حذَّرنا منه ديننا الحنيف ، فقال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء: ٢٩] ،

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ) (متفق عليه).

إن المحتكر لا خلق ولا وطنية له ، غلبته أنانيته ونقيصته فجعلهما فوق كل اعتبار ، فهو يتاجر بأقوات الناس ومقومات حياتهم ، ويبني ثراءه على حساب عنتهم ومشقتهم ، وهذا بطبعه فيه إضرار بهم ، والدين الإسلامي يأمرنا بالتراحم وعدم استغلال حاجات الناس ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ، ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ) (رواه ابن ماجة) ، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى) (رواه أحمد) ، وذلك لأنه يستجلب سخط الله (عز وجل) وسخط الناس ودعاءهم عليه ، ونقمتهم وبغضهم له

ومما لا شك فيه أن الاحتكار وغلاء الأسعار له أضرار سيئة على الفرد والمجتمع ، فهو يحمل في طياته بذور الهلاك والدمار ؛ لما يسببه من ظلم وغلاءٍ في الأسعار ، وإهدار لتجارة المسلمين وصناعتهم ، وتضييق لأبواب العمل والرزق ، وانتشار الحقد والكراهية والعداوة والبغضاء بين أفراد الأمة ، مما يكون سببا في تفكك المجتمع وانهيار العلاقات بين أفراده ، إضافة إلى ذلك ما يترتب عليه من الأمراض الاقتصادية والاجتماعية، مثل البطالة والتضخم والكساد والرشوة والمحسوبية

والنفاق والسرقة والغش ، لذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَحْتَكِرُ إلاَّ خَاطِئٌ) رواه مسلم،(والخاطئ هو الآثم).

وليعلم المحتكر والمستغل أن الربح الزائد الذي يجنيه ويتحصل عليه من احتكاره واستغلاله حرام شرعا ، قال تعالى:{وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[آل عمران:١٦١] بالإضافة إلى أنه جلب لنفسه اللعنة والطرد من رحمة الله (عز وجل) ، وبرئت منه ذمة الله ورسوله ، وتوعده الله بالعقاب الأليم ، فعَنْ عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ) (رواه البيهقي في السنن الكبرى). وكذلك من الصور المحرمة التي نهى عنها الإسلام: الغش بجميع صوره في التعامل بين المسلمين ، فهو داء عضال وآفة خطيرة، لا يقتصر خطرها على الفرد فحسب ، بل يمتد أثرها إلى المجتمع كله ، لأن الغش مظهر من مظاهر الكذب ، والكذب أمارة من أمارات النفاق ، إضافة إلى أن الغشاش قَالَ في حقه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في حقه: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (رواه مسلم).

والغش يكون في النوع والجودة ، وذلك بدسِّ الرديء في ثنايا الجيد ، وبيعه جميعاً بقيمة الجيد دون بيان الواقع والحقيقة ، فيخفي البائع العيب الموجود في سلعته الرديئة ويظهرها كأنها سليمة ليس بها عيب من العيوب ، وهذا ما بينه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ :)مَا هَذَا يَا

صَاحِبَ الطَّعَامِ؟) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقَالَ: أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَام حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ؟ ثُمَّ قَالَ (:مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)

(رواه مسلِم).

وكما يكون الغش في النوع والجودة يكون أيضا في المقدار وتطفيف الكيل والميزان ، مع أن الله (عز وجل) أمر بإقامة الوزن بالقسط في كتابه الكريم ، قال تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاس الْمُسْتَقِيم ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا }[الإسراء: ٣٥] ، وقد حذر نبي الله شعيب (عليه السلام) قومه من بخس الناس أشياءهم والتطفيف في المكيال والميزان ، كما حكي الله – عز وجل– ذلك عنه في القرآن ، فقال:{ وَيَا قَوْم أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْض مُفْسِدِينَ}[هود: ٨٥]. هذا النوع من الغش يهوي بصاحبه في النار ، وتوعد القرآن الكريم من يتلاعب بالوزن والكيل بالويل والخسران ، قال سبحانه: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاس يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } [المطففين: ١– ٣] . وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْن عُبَيْدِ بْن رفَاعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ رفَاعَةَ ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُول اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَإِذَا النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ بُكْرَةً ، فَنَادَاهُمْ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّار فَلَمَّا رَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ وَمَدُّوا أَعْنَاقَهُمْ ، قَالَ: (إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا ، إِلَّا مَن اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ) (رواه ابن ماجه).

أَيَا بَائِعاً بالغشِّ أَنتَ مُعَرَّضٌ *** لدَعوَةِ مَظْلُومٍ إلى سَامِعِ الشَّكْوَى
فَكُلْ مِنْ حلالٍ وارْتدِعْ عن مُحرَّمٍ *** فَلسْت على نارِ الجحِيمِ غداً تَقْوَى

فالتاجر الذي يحتكر السلعة ليزيد في سعرها من غير مبرر ، أو يغش الناس ويكتم ما في السلعة من عيوب ، أو يبخس في الكيل والوزن ، أو يتلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الضرورية يعد آكلاً للحرام ، لأنّ الواجبَ على البائع أن يصدق في بيعه ، وأن لا يخدَع ولا يغشَّ ولا يخون ، بل يكون إخبارُه صحيحًا صِدقًا ، فمن صدق في بيعه وشرائه نال الأجر العظيم والثواب الجزيل، ويكفيه شرفًا وفخرًا أن ينال الجنة بفضل الله – تعالى – ورحمته؛ فقد روى الترمذي منْ حديث أَبِي سَعِيدٍ ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ).

إن الإسلام بشريعته الخالدة جاء داعيًا إلى كل خير ، ومحاربًا لكل ما هو فاسد وضار بالفرد والمجتمع ، فحرم كل صور البيع والشراء وسائر المعاملات التي تؤدي إلى التلاعب بأقوات الناس واستغلال حاجاتهم الضرورية ، نظرا لخطورتها على الفرد والمجتمع ، لأنها تؤدي إلى انتشار العداوة والبغضاء ، وتقطيع أواصر المحبة والمودة والرحمة بين جميع أفراد الأمة ، وتحدث حالة من الفوضى قد تؤدي في بعض الأحيان - والعياذ بالله - إلى إراقة الدماء والاعتداء على الأموال .

ومن ثم فينبغي أن تتكاتف كل الجهود المخلصة للعمل على وضع الآليات التي تكسر الاحتكار في كل مقومات الاقتصاد ، والقضاء على

هذه الأدواء الخبيثة التي تهدد استقرار المجتمع، والعمل الجاد على رفع المعاناة عن الناس وبخاصة الطبقات الأكثر فقرًا والأشد احتياجًا .

ولابد من التكافل والتراحم والتعاون لمواجهة هذه الأخطار ، وبخاصة في وقت الشدائد والأزمات ، حتى يتحقق مبدأ الأخوة بين المؤمنين الذي نادى به القرآن الكريم ، قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }[الحجرات: ١٠] وقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٧١] وعَنْ عَبْد اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ) (رواه البخاري).

ولقد تجلى هذا الأمر عمليًّا في حياة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في مواقف متعددة ، منها : ما حدث مع الأشعريين الذين ضربوا أروع الأمثلة في أن معادن الرجال لا تظهر إلا عند الشدائد ، فعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)[رواه البخاري] ، فهذا مثال عملي واقعي ، تنتفي فيه كل مظاهر الفردية والأنانية ، ويستحضر الجميع روح الجماعة والأخوة الممزوجة بفضيلة المحبة والإيثار (جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِد) إحساسًا

بكـونهم جسـدًا واحـدًا لا يحيـا إلا علـى التعـاطف والتراحـم والتكافـل والتعاون والتـوادد (ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ) فكـان التعقيب المحمدي على هذا الفعل الجميل بأن منحهم أعلـى الأوسمـة في الدولة الإسلامية على مرِّ عصورها: (فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ).



عناية الإسلام بصحة الإنسان ودعوته للمحافظة عليها

أولا : العناصر:

١- الصحة نعمة من أجل النعم.

٢- عناية الإسلام بالإنسان صحيًا.

٣- مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الإنسان.

٤- دعوة الإسلام إلى التَّداوي والأخذ بالأسباب.

٥- عناية الإسلام بفقه الصحة الإنجابية.

ثانيا : **الأدلة** :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}[القصص: ٢٦].

٢- وقال تعالى: {قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٤٧].

٣- وقال تعالى: {وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

٤- وقال تعالى: { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة : ١٩٥].

٥- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

[المائدة:٦].

٦- وقال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

٧- وقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

٨- وقال تعالى: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: ٢٣٣].

الأدلة من السنة :

١. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) (رواه مسلم).

٢. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ). ثُمَّ أَتَاهُ في الْيَوْمِ الثاني فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ فِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ فقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ : (فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِى الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ) (رواه الترمذي).

٣. وعَنْ سَلْمَانَ (رضي الله عنه) قَالَ : عَادَنِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا عَلِيلٌ ، فَقَالَ : يَا سَلْمَانُ شَفَى اللَّهُ سَقَمَكَ ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَعَافَاكَ فِي بَدَنِكَ وَجِسْمِكَ إِلَى مُدَّةِ أَجَلِكَ.

(رواه الحاكم في المستدرك).

٤. وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ (رضي الله عنه) أنه سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ). (رواه البخاري).

٥. وعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِب (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) (رواه الترمذي).

٦. وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ....) (رواه مسلم) .

٧. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ) (رواه مسلم) .

٨. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً) (رواه البخاري).

٩. وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الطَّاعُونُ آيَةُ الرِّجْزِ، ابْتَلَى الله -عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ) (متفق عليه).

ثالثًا : **الموضوع**:

من أجلِّ وأكرم وأعظم النعم الربانية التي أنعم الله – عز وجل- بها على الإنسان نعمة الصحة وسلامة الأعضاء من الآفات والأمراض ، فبالصحة يتمكن المرء من أداء حق ربه جل جلاله ، وحق نفسه ، وحق غيره ، وهي أهم ما يملك العبد في حياته ، وفي الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم) : (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) (رواه البخاري). فكثير من الناس لا يقدِّرون هذه النعمة العظيمة ، ولا يعرفون قيمتها ، ولا يستثمرونها في موضعها الصحيح ، ولا يقدِّرون أهميتها ، فمن اِسْتثمر فراغه وصحَّته فِي طاعة الله فهوَ المغبوطُ ، ومَن اسْتثمرهما فِي معصية الله فهوَ المغبونُ .

وإذا أراد المرء أن يعرف قيمة نعمة الصحة فليذهب إلى المستشفيات ، وينظر إلى أهل الابتلاء الذين أصيبوا بأنواع من الأمراض الجسدية ، وهم يتمنون أن يكونوا في كامل صحتهم وعافيتهم.

لذا نجد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يفضِّل نعمة الصحة على الكثير من متاع الحياة الدنيا ، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : كُنَّا فِي مَجْلِس ، فَجَاءَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا : نَرَاكَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْس ، فَقَالَ : (أَجَلْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ) ثُمَّ أَفَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى ، فَقَالَ : (لاَ بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَن اتَّقَى ، وَالصِّحَّةُ لِمَن اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى ، وَطِيبُ النَّفْس مِنَ النَّعِيم) (رواه ابن ماجه) ، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) بالصحة والعافية ، ما جاء عَنْ سَلْمَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : عَادَنِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا عَلِيلٌ ، فَقَالَ : (يَا سَلْمَانُ شَفَى اللَّهُ سَقَمَكَ ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَعَافَاكَ فِي بَدْنِكَ وَجِسْمِكَ إِلَى مُدَّةِ أَجَلِكَ) (رواه الحاكم في المستدرك).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يأمر أصحابه (رضوان الله عليهم) بالدعاء بالصحة والعافية ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ : أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي اليَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ

فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ. (رواه الترمذي).

لذا حثنا النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على استثمار تلك النعمة في طاعة الله (عز وجل)، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا ، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ ؛ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْ السَّاعَةَ ؛ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) (رواه الترمذي).

ومن عظمة التَّشريع الإسلامي ، ومن أهم مقاصده أن جاء بجملة من المبادئ والأصول تضمن استقامة الحياة في نظام محكم دقيق ، يقول الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]، وتهتم ببناء الإنسان ورعايته صحيًا ، ونفسيًا ، وسلوكيًا ، وعلميًا، فالمسلم القوي نافع لنفسه، ودينه، ووطنه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)، فالمهمات العظام لا يقوم بها إلا الرجال الأصحاء الذين يجمعون بين الأمانة والقوة البدنية ، فهذه ابنة الرجل الصالح تطلب من أبيها أن يتولى سيدنا موسى (عليه السلام) العمل عنده لما يتوفر فيه من القوة والأمانة: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

وهذا سيدنا يوسف – عليه السلام – لما وجد في نفسه القدرة على تولي وإدارة شئون خزائن مصر قال: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥].

وهذا أبو ذر (رضي الله عنه) حين يطلب من النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يوليه ولايةً ضرب على منكبيه ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)(صحيح مسلم)، من هنا كانت عناية الإسلام ببناء إنسان قوي البنيان، مستقيم النفس، حسن السلوك، عالم بأمور دينه ودنياه.

وتتجلى عناية الإسلام بصحة الإنسان أن أحاطها بالرعاية ، وذلك في عدة مظاهر ، منها: أن حرم الاعتداء علي النفس البشرية بأي لون من ألوان الاعتداء، بل جعل الحفاظ عليها أحد الكليات الخمس التي جاء بها الإسلام، فشرع من التكاليف ما يحفظ للإنسان صحته.

ومن هذه المظاهر : العناية بالطهارة ؛ فجعل الطهور شطر الإيمان، فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ) وجعلها شرطًا لصحة كثير من العبادات كالصلاة، والطواف، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا... } [المائدة : ٦].

ومن مظاهر عناية الإسلام بصحة الإنسان أن حثه على ترك كل ما قد يُلْحِقُ به الضرر ، فقال تعالى:{ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...} [البقرة :١٩٥]،

والبعد عن الإسراف في الطعام والشراب قال تعالى :{ .. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِب (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ ؛ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ). قال ابن رجب: هذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأصول الطب كُلِّها.

(جامع العلوم والحكم).

فالإسلام قد سبق العلم الحديث في التنبيه على خطورة الإسراف في تناول الطعام والشراب ؛ وأنهما أصل كل داء ، وصدق الله العظيم إذ يقول في صفات رسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم): { وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ..} [الأعراف : ١٥٧].

ومن هذه المظاهر: أن حث الإسلام على حفظ الأطعمة من كل ما يلحق بها الضرر ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (غَطُّوا الْإِنَاءَ ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ).

ومن مظاهر عناية الإسلام بصحة الإنسان إيجاد أسرة قوية : حيث إن الأسرة هي نواة المجتمع واللبنة الأولى في بنائه ، فسلامة الأسرة سبيل سلامة المجتمع ، ومن ثَمَّ اهتم بالعلاقة بين الزوجين ، وحرم كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بأحدهما، فحرم المعاشرة الزوجية أثناء

الحيض قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة : ٢٢٢] . وحرم الزنا لأنه علاقة غير صحية علاوة على كونها محرمة قال تعالى: { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}[الإسراء : ٣٢] ، وحرم كل ما يلحق الأذى بصحة المرأة فأوجب على الحائض والنفساء الإفطار في رمضان، ورخص في عدم أداء بعض الفرائض حتى لا يتعرض الإنسان للتعب والمرض قال تعالى: {... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...} [البقرة : ١٨٥] .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الفرد: أن أمره بتجنب فعل أي أمر يسبب للجسد تعبا أو إرهاقا ، حتى ولو كان من العبادات ، فعن عَبْد اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (يَا عَبْدَ اللهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ) فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : (فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ) فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ : (فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ) قُلْتُ : وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)؟

قَالَ : (نِصْفَ الدَّهْرِ) فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ : بَعْدَ مَا كَبِرَ يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) (رواه البخاري وبوب له : باب حق الجسم في الصوم).

إن الإنسان لم يخلق للعبادة فحسب ، بل خلقه الله – عز وجل – لمهمتي العبادة وعمارة الكون، فكيف لبدن هزيل ضعيف مملوء بالأمراض والأسقام والتعب والإرهاق أن يقوم ببناء حضارة ، أو تحقيق عمارة؟

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الإنسان: أن شرع جملة من الآداب الاجتماعية تحفظ على الناس صحتهم، وتمنعهم من التعرض للأمراض، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ أَوْ غَضَّ بِهَا صَوْتَهُ)(أخرجه أبو داود). ونهى عن التنفس في الإناء ؛ لعدم إلحاق الأذى به ونقله للآخرين، فعن أَبِي قَتَادَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ...).



الشكر ... حقيقته وأثره في حفظ النعم

أولا: العناصر:

١. حقيقة الشكر وفضله.
٢. أنواع الشكر.
٣. الشكر من صفات الأنبياء والصالحين.
٤. ثمرات الشكر وأثره في حفظ النعم.
٥. شكر أهل المعروف من شكر الله.

ثانيا : الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١. يقول تعالى:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].

٢. ويقول تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢].

٣. ويقول تعالى: { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} [البقرة:١٥٢].

٤. ويقول تعالى: {...اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ:١٣].

٥. ويقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ * وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ*وَلَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَمَشارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ} [يس:٧١ ـ ٧٣].

٦. ويقول تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان:١٢].

٧. ويقول تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَهُمْ ظالِمُونَ * فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل:١١٢ـ ١١٤].

٨. ويقول تعالى:{ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمر: ٧].

٩. ويقول تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤].

الأدلة من السنة النبوية:

١. عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ : (يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) (رواه مسلم).

٢. وعنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ: (يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ) فَقَالَ : (أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) (رواه أبو داوود).

٣. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ).

(رواه الترمذي).

٤. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ : فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ) (رواه البخاري).

٥. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَه) (رواه البخاري).

٦. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلاَ صَابِرًا، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ ؛ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ؛ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلاَ صَابِرًا). (رواه الترمذي).

٧. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ). (رواه أبو داود).

٨. وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلم): (مَنِ استعاذَ بالله فأعيذُوه ، ومَنْ سألَ بالله فأعطُوه، ومَن دعاكم فأجيبُوه ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ)

(سنن أبي داود).

ثالثا: الموضوع:

لقد أنعم الله – عز وجل – على الإنسان بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى ، قال تعالى: { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[لقمان:٢٠]. هذه النعم قد يرى الإنسان بعضها رأي العين ، ويخفى عليه الكثير منها، وكلُّ نعمة من هذه النعم تقتضي أن يفكر فيها الإنسانُ ، حتى يدرك أسرارها وقيمتها وأهميتها ، ويتدبر عظيم نعم الله عز وجل عليه.

ولو أحسن الناس النظر والتفكر فيما حولهم من أرض وسماء ، وليل ونهار ، وبحار وأنهار ، وثمار وأشجار ، وأنعام ودواب ، لوجدوا أنفسهم محاطين بنعم كثيرة لا يستطيعون عدَّها ولا القيام بشكرها ، ولأدركوا أن الفضل في ذلك يرجع إلى الخلاق العظيم الذي يقول للشيء (كن فيكون)، قال تعالى:{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا

تُحْصُـوهَا إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَظَلُـومٌ كَفَّـارٌ} [إبـراهيم:٣٢- ٣٤] ، وقـال جـل جلالـه:{وَإِن تَعُـدُّواْ نِعْمَـةَ اللَّـهِ لاَ تُحْصُـوهَا إِنَّ اللَّـهَ لَغَفُـورٌ رَّحِـيمٌ } [النحـل: ١٨]. ويقـول سبحانه:{وَمِـنْ رَحْمَتِـهِ جَعَـلَ لَكُـمُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [القصص: ٧٣] .

ولو نظر الإنسان إلى خلقه وتكوينه وما وهبه الله عز وجل من حـواس ، وما أنعم به عليه من مال وذرية وصحة ومتاع وغير ذلك لعرف عظيم نعم الله (عز وجل) عليه ، وسارع في شكر الله تعالى على هذه النعم التي سخرها له ، ومن ثم فهذه النعم تقتضي من الإنسان أن يشكر الله تعالى عليها شكرًا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه ، شكرًا خالصًا لا يخالطه رياء ولا كبرياء، قال تعالى:{...كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

[الحج: ٣٦].

وحقيقـة الشـكر: مقابلـة النعمـة بـالقول والفعـل والنيـة ، فيـثني علـى المنعم بلسانه ويبذل الجهد في طاعته ، ويجتنب معاصيه في السر والعلـن ، فالمؤمن الحق هو الذي يقرُّ بأن ما بـه مـن نعم وفضل مرده إلى الله وحده ، قال تعالى:{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...} [النحـل: ٥٣]، فهـو في كل طرفة عين ، ونبضة قلب ، يشكر الله تعالى على نعمه المتجـددة بتجدد الليل والنهار ، قال تعالى:{وَهُـوَ الَّـذِي جَعَـلَ اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ خِلْفَـةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: ٦٢].

والشكر: دليلٌ على صفاء النفس ، وطهارة القلب ، وسلامة الصدر ، وكمال العقل ، وهو – في حد ذاته– نعمة من الله تستحق الشكر عليها ؛ فنشكر الله ـ تعالى ـ أن ألهمنا شكره ، ومن هنا يتوالى الشكر ولا ينقطع.

إذا كان شكري نعمة الله نعمة — عليّ له في مثلها يجب الشّكر
فكيف وقوع الشّكر إلّا بفضله — وإن طالت الأيّام واتّصل العمر

ومن تمام شكر الله تعالى : أن يستعمل الإنسان نعم الله – عز وجل– فيما خلقت له ، وأن يضعها في المواضع التي ترضيه ، **فالعين نعمة** : وشكرها أن يستعملها في النظر إلى ما أحله الله، لا إلى ما حرمه الله ، **واليد نعمة** : وشكرها أن يستعملها في الطاعة لا في المعصية ، وفي الخير لا في الشر ، **والأذن نعمة** : وشكرها أن يستعملها في الاستماع إلى ما يعود علينا بالثواب من الله (عز وجل) ، **والعقل نعمة** : وشكرها أن يستعملها في التفكير السليم الذي يعود علينا وعلى المجتمع كله بالخير والرخاء ، **وكذلك المال نعمة**: وشكرها أن يُوجَّه للخير ، وأن نساعد به المحتاجين ، ونمسح به دموع المنكوبين ، وننفقه في مصالح العباد والبلاد ، **وغير ذلك من نعمة الصحة والشباب والجاه والسلطان** ، فكلها نعم سامية يجب أن يشكر الإنسان عليها ربه عز وجل بتسخيرها للخير ونفع العباد ، وبالوقوف عند حدود الله تعالى. وكذلك كل نعمة أنعم الله بها على الإنسان يجب أن يستعملها في طاعة الله سبحانه ، يقول عز وجل:{ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨] .

فحقيقة الشكر : أن تكون حركات العبد وسكناته وخواطره ومشاعره وما يتمتع به من نعم موجهة للخير وفي سبيل الله ومن أجل مرضاة الله.

وفضيلة الشكر من أسمى الفضائل وأعظمها قدرًا ؛ لأنها تقرب العبد من مولاه ، وتجعله موضع حبه ورضاه ، حيث أخبر الحق سبحانه في كتابه أن رضاه في شكره وأن سخطه في كفران نعمته ، فقال: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمر:٧] .

وشكر الله ـ تعالى ـ لا يكون باللسان فحسب ، بل شكره باللسان ، والقلب ، والجوارح ، والعمل؛ **فشكر اللسان:** يكون بذكر نعم الله ـ تعالى ـ وفضائله ، وكثرة حمده عليها ، قال تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[الضحى:١١] ، والوفاء بحقها ، يقول الحق سبحانه: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ:١٣].

وشكر القلب : يكون باعتقاد العبد أنه مُنعَمٌ عليه من الله (عز وجل) ، فعَنْ أَبِي الْجلْدِ، قال : قَالَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ: (إِلَهِي كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَأَصْغَرُ نِعْمَةٍ وَضَعْتُهَا عِنْدِي مِنْ نِعَمِكَ لَا يُجَازِي بِهَا عَمَلِي كُلُّهُ) ، قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ(يَا مُوسَى الْآنَ شَكَرْتَنِي)

(الزهد لأحمد بن حنبل ص ٦٧).

وشكر الجوارح: يكون بترك المعاصي والذنوب ، قال مَخْلَد بْن حُسَيْن: كَانَ يُقَالُ: (الشُّكْرُ تَرْكُ الْمَعَاصِي).

علامة شكر المرء إعلان حمده فمن كتم المعروف منهم فما شكر

إذا ما صديقي نال خيرا فخانني فما الذّنب عندي للّذي خان أو فجر

ويكفي في بيان فضل الشكر وعظيم منزلته أن اللّه تعالى وصف به نفسه فقال: {...إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشورى: ٢٣] ، وقال :{وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٧] ، وقال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا } [النساء: ١٤٧] . وليس معنى أن الله شاكر أن هناك من أسدى لله معروفا هو سبحانه محتاج إليه ، فالله لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين ، لكن الشكر من الله معناه : المغفرة والإنعام على عباده ، وإثابتهم على ما قاموا به من العبادة والطاعة ، وما قدموه للعباد من معروف ، بل إن ربنا سبحانه يشكر كل من أسدى معروفا للحياة سواء أداه لإنسان أو حيوان ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ).[رواه البخاري]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَه). (رواه البخاري). فشكر الله للعبد بمغفرته سبحانه للذنوب ومجازاته العبد بالأجر والثواب.

وكذلك وصف الله تعالى به أنبياءه ورسله ، فكان الشكر خلقًا لازمًا لأنبياء الله (عليهم السلام) ، وفي هذا حث للأمة أن تقتدي بهم ، فأولُ أنبياء الله نوحٌ (عليه السلام) ، وصفَه ربُّه بقوله:{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}[الإسراء :٣] ، وخليلُ الله إبراهيم (عليه السلام) قال فيه ربُّه:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[النحل:١٢٠-١٢١].

وها هو نبي الله داود (عليه السلام) يناجي ربه كيف يؤدي شكره ، فقال : يا رب كيف أشكرك وأنت الذي تنعم عليَّ ثم ترزقني على النعمة والشكر ، فالنعم منك والشكر منك، فكيف أطيق شكرك ؟ فقال: (يا داود الآن عرفتني حق معرفتي) [المواعظ لأبي عبيد ص ١٤٢] .

وينظرُ سليمان (عليه السلام) فيما خصّه به ربُّه من نعم ، وما سخّر له من مخلوقاتِه فلم يقابلها بالكبر والجحود ، وإنما قابلها بالدعاء لمولاه أن يوفقه ويعينه على شكره ، فقال تعالى على لسان سليمان:{...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيّ وَعَلَى وَالِدَيّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩]، وقال تعالى – على لسان سيدنا سليمان– أيضًا: (...هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [النمل: ٤٠].

أما نبيُّنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي غفرَ الله له ما تقدّم من ذنبِه وما تأخّر، فيقومُ لربِّه من الليل حتى تتفطَّر قدماه ، وعندما سئل

: لم كل ذلك يا رسول الله وقد غفرَ الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ، كان جوابه: (أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟). قَالَ ابن عُمَيْرٍ لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال: فَسَكَتَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ : يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، قَالَتْ : فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) (رواه ابن حبان).

ولقد عُني القرآن الكريم بالحديث عن الشكر عناية واضحة ؛ فذكره في مواطن كثيرة من آياته ، وطلب من عباده أن يتحلوا به ويحرصوا عليه ، لما له من أهمية كبرى ومنزلة عظمى ، فهو قيد للنعم الحاضرة ، ومجلبة للنعم المفقودة ، قال تعالى:{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}[البقرة:١٥٢] ، قرنه بالذكر وأمر بهما معًا . وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }[البقرة ١٧٢] ، {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٤]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[لقمان : ١٢] . وقال تعالى : { بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن

مِّنْ الشَّاكِرِينَ} [الزمر : ٦٦] ، ولا يأمر الله عباده إلا بما يحقق لهم الخير والسعادة في الدارين ، فالسعيد من امتثل أمر ربه فأطاعه فكان من الشاكرين.

وشكره سبحانه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى واجب على العبد ـ ليس تفضلا منه ـ، يقول تعالى معددًا بعض نعمه وآلائه : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ * وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَمَشارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ)

[يس:٧١ ـ ٧٣].

وأما عن ثمرات الشكر فكثيرة ، منها : أن الشكر يعود بالخير على الشاكر نفسه ، فلا يقع نفع الشكر ، ولا ضرر الكفران على الله تعالى ، وإنما النفع يقع على الشاكر نفسه ، وضرر الكفران يقع على الجاحد نفسه ، قال سبحانه: { وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: ١٢].

ومن ثمرات الشكر : حفظ النعم من الزوال ، فعَنِ الْحَسَنِ (رضي الله عنه) قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيُمَتِّعُ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ ، فَإِذَا لَمْ يُشْكَرْ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا)، وكان عُمَر بْن عَبْدِ الْعَزِيزِ (رضي الله عنه) يَقُولُ: (قَيِّدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ).

ولقد ضرب لنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ مثلاً بقرية زالت نعمها ؛ لعدم الشكر عليها ، فقال سبحانه: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَهُمْ ظالِمُونَ * فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٢ــ ١١٤]. فالشكر سبب بقاء النعمة والحفاظ عليها.

وثمرة الشكر لا تتوقف على حفظ النعم فحسب، بل زيادتها ومضاعفتها، يقول تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[إبراهيم: ٧]، وقال سيدنا علي (رضي الله عنه) لِرَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ: إِنَّ النِّعْمَةَ مُوَصَّلَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُعَلَّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ.

وقد علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كيف نؤدي شكر الله تعالى على نعمه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَنَّامٍ الْبَيَاضِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ. فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ)(رواه أبو داود).

فمن داوم على شكر الله (عز وجل) كان له مثل أجر الصائم الصابر، كما أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعلوم أن أجرهما لا يعلمه إلا الله، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ) (رواه البيهقي في السنن)، وصدق الله العظيم حيث قال: {...وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤].

والشكر ليس مقصورًا على شكر العبد لربه ، فإذا كان أول من يُشكَر هو الله سبحانه لأنه صاحب الفضل والمنة والنعمة ، ولا منعم في الحقيقة سواه ، فإن شكر الوالدين يأتي بعد شكر الله عز وجل ؛ لما قدماه لأبنائهم من كل خير في الحياة ، لذا قرن الله ـ تعالى شكرهما بشكره وطاعتهما بطاعته في أكثر من موطن في كتابه الكريم ، يقول تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان:١٤].

وشكر الوالدين يكون بالطاعة والإحسان إليهما وتوقيرهما وعدم إيذائهما ولو بأقل الألفاظ ، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}

[الإسراء: ٢٣].

ومن كمال شكر الله تعالى الشكر لكل من أسدى إلينا معروفا ، فهو من باب شكر الله تعالى ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): (لا يشكر الله من لا يشكر النّاس) (رواه أبو داود) ، والحق سبحانه وتعالى يقول : {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠] ، ولقد وصانا نبينا (صلى الله عليه وسلم) بذلك حيث قال : (مَنِ استعاذَ بالله فأعيذُوه، ومَنْ سألَ بالله فأعطُوه، ومَن دعاكم فأجيبُوه ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) (رواه داود).

فإذا رأيت ربَّك يوالي عليك نعمَه وأنتَ تعصيه فاحذر ، فإن النعمة مع المعصية تصبح نقمة ، وكلُّ نعمة لا تقرِّب من الله فهي نقمة ، قال تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [الإنسان: ٣].

ومن يسد معروفا إليك فكن له شكورا يكن معروفه غير ضائع

ولا تبخلن بالشّكر والقرض فاجزه تكن خير مصنوع إليه وصانع.

فينبغي للعبد أن يكون شاكرا لله عز وجل على نعمه ، ويتحدث بها ، ويستعملها في مرضاته سبحانه ، وخدمة وطنه وأمته.

نسأل الله جلّ وعلا أن يوزعنا أن نشكر نعمه، ويعيذنا من كفرانها.



الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

أولا ـ العناصر:

١- أهمية الكلمة في الإسلام.

٢- الكلمة الطيبة : فضلها وآثارها.

٣- الكلمة الخبيثة : خطورتها وآثارها.

٤- حفظ اللسان من علامات الإيمان.

ثانيا - الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم :

١- يقول تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ}

[إبراهيم:٢٤ـ٢٦] .

٢- ويقول تعالى: {...وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...} [البقرة : ٨٣] .

٣- ويقول تعالى : {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣] .

٤- ويقول تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت : ٣٤] .

٥- ويقول تعالى :{ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }

[الرحمن :١ـ ٤].

٦- ويقول تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }

[آل عمران: ٦٤] .

٧- ويقول تعالى :{ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } [البقرة : ٢٦٣]

٨- ويقول تعالى :{ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه:٤٣، ٤٤] .

٩- ويقول تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب :٧٠، ٧١] .

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) (متفق عليه) .

٢- و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) (متفق عليه).

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (متفق عليه).

٤- وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ، عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ، إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَتَضَايَقَ بِهِمِ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ، اللهُمَّ الْعَنْهَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ) (أخرجه مسلم).

٥- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَلَعَنَهَا – فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَلْعَنْهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ) (أخرجه أبو داود) .

٦- وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ قَرِيبًا مِنْهُ ... وفيه .... ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟) ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: (اكْفُفْ عَلَيْكَ هَذَا) ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ إِنَّا لَمَأْخُوذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ – أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)

(رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح) .

ثالثًا: الموضـوع:

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة وعظيمة لا تعد ولا تحصى ، حيث قال:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل: ١٨]. ومن أعظم هذه النعم نعمة البيان ، قال تعالى:{الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}

[الرحمن :١ـ ٤].

فبكلمة يدخل الإنسان الإسلام ، وبكلمة يخرج منه ،وبها يدخل الجنة ، وبها يحرم منها ، وتُستحل فُروج بكلمة ، وتُحرّم بكلمة ، وتُبنى أُسر ومجتمعات بكلمة ، وتُهدم بكلمة .

فالكلمة عنوان الإنسان ، ووسيلة اتصاله بالآخر ، وبها تكاد تكونُ كلَّ شيء في حياة الإنسان ، فهي إما أن تبلغ بالإنسان أرقى الدرجات، أو تهوي به في أسفل الدركات ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) .

والكلمة منها الطيب ومنها الخبيث ، ولقد ضرب الله عز وجل مثلًا لكل منهما وما تحدثه من آثار فقال تعالى :{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ }

[إبراهيم : ٢٤ـ ٢٦] .

فالكلمة الطيبة كشجرة طيبة ، وراقة يانعة مثمرة ، ضربت في باطن الأرض جذورها، وتمددت في الآفاق فروعها وأغصانها، فهي تثمر الخير ، وهي دليل على طيب المنبت، وسلامة النفس ، وكمال العقل ، ونضوج الفكر ، وهي التي تسُر السامع ، وتؤلف القلب، وتحدث أثرًا طيبًا في نفوس الآخرين ، وهي التي تفتح أبواب الخير ، وتغلق أبواب الشر ، وهي سمة لخطاب المسلم مع المسلم وغيره.

وقد أمرنا الله تعالى بأن نقول الكلمة الطيبة لجميع الناس دون تفرقة قال تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}[البقرة : ٨٣] ، وقال: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...}[الإسراء : ٥٣] . والكلمة الطيبة تحفظ المودة ، وتديم الصحبة ، وتحول العدو إلى صديق ، وتقلب الضغائن إلى محبة ، وتمنعُ كيدَ الشيطان قال تعالى : { ...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت : ٣٤] ، وقال تعالى : {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ}

[المؤمنون: ٩٦].

والكلمة الطيبة تؤلف القلوب، وتصلح النفوس، وتذهب الأحزان ، وتزيل الغضب ، وتشعر بالرضا والسعادة لا سيما إذا رافقتها ابتسامة صادقة فعن أبي ذر (رضي الله عنه) قَالَ : قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)، والنبي (صلى الله عليه وسلم) جعل الكلمة الطيبة دليلًا على إيمان صاحبها فقال: (...وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

والكلمة الطيبة تفتح أبواب الخير، وتغلق أبواب الشر، وتكون سببًا لاستدامة العشرة بين الزوجين، فبها تزول كثير من الإحن، ولا يخفى على أحد وقع الكلمة الحانية على نفوس الزوجات، ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأسوة الحسنة في حسن عشرته لأمهات المؤمنين فقد ضرب أروع الأمثلة وأرقى أنواع المعاملة مع أزواجه فكانت الكلمة الطيبة نبراسا تهتدي به البشرية حتى تنتظم العلاقات الإنسانية، فيسود الوئام والتآلف بين أبناء المجتمع الإنساني فيغلب على بني البشر قيم الخير والحب والجمال ، وقد كان هذا دأب النبي (صلى الله عليه وسلم) مع أهله، فعن أم المؤمنين عَائِشَةَ(رضي الله عنها) قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي).

وبالكلمة الطيبة تدوم الألفة بين الآباء والأبناء ، فبها يمتلك الآباء قلوب الأبناء ويستميلونهم ، والقرآن الكريم أعطانا نماذج كثيرة لأثر الكلمة الطيبة على نفوس الأبناء فها هو إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام ، وكذلك يعقوب عليه السلام مع أولاده ، وكذلك لقمان الحكيم مع ابنه . وبها تكون مودة الأبناء بالآباء قال تعالى:{ ....فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } [الإسراء: ٢٣].

ولا يخفى ما للكلمة من أثر طيب في العلاقة بين الجيران، فالإحسان إلى الجيران بالكلمة يكون سببًا في دخول الجنة، والإساءة إليهم قد تكون سببًا في دخول النار، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ

النَّهَـارَ، وَتَفْعَـلُ، وَتَصَّـدَّقُ، وَتُـؤْذِي جِيرَانَهَـا بِلِسَـانِهَا؟ فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) ، قَالُوا: وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) (الأدب المفرد للبخاري).

وللكلمة أيضًا أثرها الطيب في حسن العلاقة بين المسلم وغيره، قال تعالى :{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [ال عمران : ٦٤] . وحتى مع الأعداء أمرنا الله بها يقول تعالى : { اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه :٤٣ ، ٤٤] .

وبها تكون دعوة المخالفين والتحدث معهم بالحسنى، قال تعالى : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت : ٤٦] .

والكلمة الطيبة للفقراء تكون إحسانًا أفضل من عطاء يتبعه مَنٌّ وأذى، قال تعالى:{ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } [البقرة : ٢٦٣] .

أما الكلمة الخبيثة فهي تسبب الفرقة والتنافر بين أبناء المجتمع الواحد مما يهدد وحدة النسيج الاجتماعي، فيؤدى إلى تشرذم المجتمع وتشتته ، وهذا هو السبب في ظهور كثير من الآفات التي

بسببها تقطعت الأرحام، وساء الجوار، ففسدت العلاقات الاجتماعية بين الجميع ، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر ،الغِيبة، والنميمة، وشهادة الزور، والجدال بالباطل، والكذب، والقذف، والسباب واللعان بأساليب عديدة فيها خروج عن أقل قواعد الأدب، مع أن المسلم ليس باللعَّان ولا الطعَّان ولا الفاحش ولا البذيء، كما في الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ) (أخرجه الترمذي وأحمد).

كما يبدو خطر الكلمة الخبيثة في الشائعات التي تطلق في أوساطنا والتي تستهدف وحدة الأمة وتماسكها، فيترتب عليها كثير من المنكرات، خاصة في أوقات المحن والفتن، بل ربما وصلوا بهذه الخبائث إلى حد الاقتتال، والمروجون لهذه الشائعات توعدهم الله تعالى بعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النور : ٢٣ ،٢٤]، والشائعات لها خطورة بالغة على المجتمع ، بسبب سرعة انتشارها وتأثيرها على الناس ، لأن من آثارها، تضليل الرأي العام، وإثارة الفتنة، ورمي الناس بالباطل، ولقد عظَّمَ الإسلام من خطورتها، ووجَّهنا عند سماع الشائعات إلى أن نحسن الظن ببعض، يقول تعالى :{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ

اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور:١٥-١٧] .

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يكره الكلمة الخبيثة حتى مع الحيوان، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ، عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ، إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَتَضَايَقَ بِهِمِ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ، اللهُمَّ الْعَنْهَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ)، ولقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن اللعن حتى وإن كان ذلك للريح، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَلَعَنَهَا – فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَلْعَنْهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ).

ولما كان للكلمة خطورة كبيرة حث الإسلام على حفظ اللسان، وعدم إطلاق العنان له، فكل ما يصدر عنه من أقوال محسوب له أو عليه ، قال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق: ١٨]. فاللسان أميرٌ على الجوارح، فإن استقام استقامت وإن اعوجّ اعوجّت، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ قَالَ سَائِرُ الْجَسَدِ لِلِّسَانِ : اتَّقِ اللَّهَ فِينَا ، إِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ، إِذَا اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا) (رواه الترمذي)، وبيَّن (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) أن اللسان هو

المعوَّل عليه في إدخال الناس الجنة أو النار، يقول (رضي الله عنه): كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ قَرِيبًا مِنْهُ ... وفيه ... ثُمَّ قَالَ:(أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟) ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: (اكْفُفْ عَلَيْكَ هَذَا) ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ إِنَّا لَمَآخُوذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ – أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ).

فحريٌّ بالمسلم أن يضبط لسانه، ويحفظه من الزلل وأن يستعمله فيما فيه مصلحة، فإن كان خيرًا تكلم وإلا سكت فالسكوت في هذه الحالة عبادة، ولقد ذكر الحق سبحانه وتعالى من صفات المؤمنين الإعراض عن اللغو وهو الكلام الذي لا نفع فيه فقال : {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: ٣]، ومن هنا ندرك أن الواجب الشرعي هنا لا يتمثل فقط في قول الخير والصمت عن الشر بل في اجتناب اللغو الذي لا فائدة فيه.

فما أحوج مجتمعنا الآن إلى أن تشيع بين أفراده الكلمة الطيبة الحانية لما لها من أثر طيب، حيث الألفة والمحبة، وإذابة الفرقة والشحناء، فالكلمة الطيبة لها أثرها الطيب في صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب، قال تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب :٧٠، ٧١].

نعمة الماء وضرورة الحفاظ عليها

أولا : **العناصر** :

١. نعمة الماء ومكانتها في القرآن والسنة.
٢. منهج الإسلام في الحفاظ على المياه.
٣. حرمة الإسراف في الماء وخطورته.
٤. تلويث الماء عصيان لله وعقوق للوطن.
٥. المسئولية الفردية والجماعية تجاه الحفاظ على الموارد المائية.

ثانيا : **الأدلـــة** :

الأدلة من القرآن:

١.قال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}

[الأنبياء: ٣٠].

٢.وقال تعالى:{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النور: ٤٥].

٣.وقال تعالى:{... وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢٢] ، وقال تعالى: { .... وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الجاثية:٥].

٤.وقال تعالى:{وَاللهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} [النحل:٦٥].

٥.وقال تعالى:{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون:١٨].

٦.وقال تعالى:{...وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} [االنمل:٦٠].

٧.وقال تعالى:{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} [الواقعة : ٦٨ـ٧٠].

الأدلة من السنة والآثار:

١.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ: (كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ) قَالَ: قُلْتُ: أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: (أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)

(مسند الإمام أحمد والمستدرك للحاكم وصححه الذهبي).

٢.وعن عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَسَأَلَهُ عَنْ الْوُضُوءِ، فَأَرَاهُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: (هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا، فَقَدْ أَسَاءَ، أَوْ تَعَدَّى، أَوْ ظَلَمَ)

(سنن ابن ماجه).

٣.وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ) (متفق عليه).

٤.وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ هُوَ وَأَبُوهُ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَسَأَلُوهُ ، عَنِ الْغُسْلِ فَقَالَ يَكْفِيكَ صَاعٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا يَكْفِينِي ، فَقَالَ جَابِرٌ : كَانَ يَكْفِي مَنْ هُوَ أَوْفَى مِنْكَ شَعَرًا وَخَيْرٌ مِنْكَ ثُمَّ أَمَّنَا فِي ثَوْبٍ) (صحيح البخاري).

٥.وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَرَّ بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: (مَا هَذَا السَّرَفُ ؟) فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: (نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ)

(صحيح البخاري).

٦.و عَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (أَنَّهُ نَهَى عَنْ أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ) (صحيح مسلم).

٧.وعَنْ أَبِي نَعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ (رضي الله عنه) سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ، إِذَا دَخَلْتُهَا. فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، سَلْ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَعُذْ بِهِ مِنْ النَّارِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ)

(سنن أبي داود).

٨.وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) (سنن ابن ماجة).

٩.وعَنْ هِلاَلِ بْنِ يَسَافٍ ـ وهو تابعي جليل رحمه الله ـ أنه قَالَ : كَانَ يُقَالُ فِى كُلِّ شَىْءٍ إِسْرَافٌ حَتَّى فِى الطَّهُورِ وَإِنْ كَانَ عَلَى شَاطِئِ النَّهَرِ (السنن الكبرى للبيهقي).

ثالثا : الموضوع:

الماء نعمة كبرى ومنة عظمى ، عليه تقوم الحياة ، وهو أساس الحضارة والرقي وعماد الاقتصاد ، ومن أهم مصادر الرخاء وأصل النماء وسبب البقاء ، فالماء أغلى ما تمتلك الإنسانية ، إنه الرزق النازل من السماء ، قال تعالى: { ..... وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢٢] ويقول تعالى: {....... وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الجاثية:٥]. فتارة يسمي النازل من السماء ماء وتارة يسميه رزقا ليعلم العباد أن هذا الماء النازل من السماء يحمل الخير والبركة والنماء والبهجة ، فالأرض ميتة والماء حياتها ، يقول الله تعالى: {وَاللهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}[النحل:٦٥] ، والأرض هامدة يابسة مقحلة حتى إذا نزل عليها الماء تحركت بالنبات وصارت مبهجة ، يقول الله تعالى: { وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[الحج: ٥] ، فالماء إذا بهجة الحياة {...وأَنزلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} [النَّمْلِ: ٦٠] ، والماء اخضرار الأرض وجمالها {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً...} [الْحَجِّ: ٦٣].

ورؤية الماء ترطب النفوس ، وهو بإذن الله حياة الروح والبدن {......وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } [الْأَنْبِيَاءِ: ٣٠] ، ويقول تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النُّورِ: ٤٥] . وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي، وَقَرَّتْ عَيْنِي، أَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: (كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ) (صحيح ابن حبان) ، فالماء هو العنصر الأهم في حياة الأحياء ، فالخلايا الإنسانية والحيوانية والنباتية تحتوي على كميات كبيرة من الماء ، وإن نقصان هذه الكمية إلى حدود حرجة يعني الجفاف والموت ،فالماء يشكل ٩٠٪ من وزن بعض الكائنات الحية ، أما الإنسان فيشكل الماء حوالي ٧١٪من وزنه ، وهي تقريبا نفس نسبة الماء في الكرة الأرضية ، فسبحان من هذا خلقه ، إنه الماء جعله الله وسيلة لحسن الثواب في الدنيا ، فقال: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}[الجن:١٦] ، كما جعله وسيلة عقاب على المكذبين والمذنبين فقال: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ }[الْقَمَرِ:١١ -١٢] . بل جعله المولى جل وعلا من أعظم نعيم أهل الجنة فقال: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى...} [محمد: ١٥] ، ومما يدل على

العناية الإلهية بالماء أن ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بلغت ثلاثة وستين موضعا ، فهل بعد هذا دليل على أهميته ووجوب الحفاظ عليه.

ولما كان للماء هذه المكانة التي تساوي الحياة حث الإسلام على الحفاظ عليه وترشيد استهلاكه ، ولذا حرص سلفنا الصالح على الماء حرصًا شديدًا ، كما حرصوا على بقائه طاهرًا حتى يتمكنوا من شربه والتطهر به في صلاتهم وسائر عباداتهم التي تحتاج إلى طهارة ، كما حرصوا على توفيره للجميع فلا يحرم منه أحد ، بل إن الاسلام اعتبر الماء ثروة يمكن التصدق بها كالمال ، وقد حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على ذلك كما فعل في بئر رومة الذي كان تحت يد يهودي وكان يمنع المسلمين من مائه ، فعن عثمان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). قال النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلاَءِ الْمُسْلِمِينَ)فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ ، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).(صحيح البخاري) .

ومن الحفاظ على الماء الاعتدال في استعماله وعدم الإسراف فيه ، فالإسراف فيه حرام حرمه الله تعالى في كتابه حيث يقول: {......وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[الأعراف:٣١] فالمسرفون يكرههم الله تعالى فهم مبعدون ومن نوره وهدايته محرومون.

إن أخوة تجمع بين المبذر وبين الشيطان لهي أشدُ دليل على قبح الإسراف والتبذير ، يقول تعالى: {...وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا *إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}[الإسراء: ٢٦ ، ٢٧] فإذا كان

الإسراف حرامًا على العموم فكيف به في نعمة عظيمة كنعمة الماء بها تكون حياة كل حي ، ولكننا نتساءل : هل نتعامل مع الماء فعلاً على أنه نعمة؟ هل نقدر لهذه النعمة العظيمة قدرها؟ الماء الذي نهدره في الحقول وفي البيوت وفي المدارس وفي الشوارع ولا ندري أن الله تعالى سيحاسبنا على كل نقطة منه نهدرها.

إن النبي (صلى الله عليه وسلم) شدد في النهي عن الإسراف في الماء واعتبره تعديا وظلمًا ، فهذا الصحابي الذي جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ليتعلم منه الوضوء فأراه ثلاثًا ثلاثًا ثم قال: (هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا، فَقَدْ أَسَاءَ، أَوْ تَعَدَّى، أَوْ ظَلَمَ): (سنن ابن ماجه) فجعل الزيادة على قدر الحاجة تعديًا وظلمًا وإساءة في استعمال النعم التي أنعم الله تعالى بها علينا ، ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ) .

إننا نخالف سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك مخالفة كبيرة ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتوضأ بمُد ويغتسل بصاع ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يغسلُ - أو كان يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمُد) (والصاع أربعة أمداد والمُد ملء كفي الرجل المتوسط) وكان عند جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قوم فسألوه عن الغسل فقال: يكفيك صاع ، فقال رجل: ما يكفيني ، فقال جابر: كان يكفي من هو أوفى منك شعرا وخيرا

منك . وإنما كان هذا القدر القليل يكفي النبي (صلى الله عليه وسلم) لوضوئه أو اغتساله من شدة حرصه على الماء ، أما نحن فإن ذلك لا يكفي أحدنا لغسل يديه فقط ، يا لنا من مسرفين !!!

فيجب علينا أن نقتدي برسولنا (صلى الله عليه وسلم) في الحرص على هذه النعمة العظيمة فلا نضيع منها ما يصلح لاستخدام – أي استخدام – ، فما لا يصلح للشرب قد يصلح للغسل ، ومالا يصلح للغسل قد يصلح لإزالة القاذورات ، ولا يفعل ذلك إلا مؤمن يخشى الله تعالى ويدرك أن الماء نعمة كبرى وأنه أغنى من المال، بل أغلى من الدم الذي يجري في العروق ، فهلا حافظنا عليه قبل فوات الأوان؟! ، قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الْمُلْكِ:٣٠] ، هذا الماء الذي أنزله الله بقدرته لئن لم نتقِ الله فيه فماذا عسى ربنا أن يفعل بنا ؟! {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنزلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ} [الْوَاقِعَةِ: ٦٨–٧٠] .

إن الإسراف في الماء– كما هو الإسراف في غيره– حرام وإن كان الماء كثيرًا ، إذ إنه معصية في حد ذاته ، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينهى عن الإسراف في الماء ولو كان في عبادة الوضوء ! ولو كنت على نهر جار!! ، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مرَّ بسعد – وهو ابن أبي وقاص (رضي الله عنه) – وهو يتوضأ، فقال: (ما هذا السَّرَفُ يا سعد؟)، قال: أفي الوضوء سرفٌ؟،

قال: نعم، وإن كنتَ على نَهْرٍ جارٍ) وكذا ورد عن هلال بن يساف – وهو تابعي جليل رحمه الله – أنه قال: كان يقال في كل شيء إسراف حتى في الطهور وإن كان على شاطئ النهر.

لقد امتن الله تعالى علينا في كتابه الكريم بأن رزقنا ماء فراتًا – أي صافيًا نقيًا – فقال: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا}[المرسلات: ٢٥-٢٧]. فما بال كثير من الناس يغيرون خلق الله تعالى ويبدلون نعمته ويلوثون ماء أنزله سبحانه صافيًا؟! .

إن إلقاء القاذورات والمخلفات في النيل وفي الترع ومجاري المياه دليل على انعدام التقوى ومراقبة الله تعالى ، وكذا إلقاء المواد السامة وكل ما يسبب ضررًا ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ) فلا يجوز لمسلم أن يفعل ما يضر غيره ، ومثل ذلك – أو أشد – ما يفعله بعضهم من إطلاق الصرف الصحي في مجاري المياه الصالحة للاستخدام ، كيف يفعلون ذلك وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن البول في الماء الراكد ، وما النهي عن ذلك إلا محافظة على صحة الناس ؛ إذ إن التبول في الماء من الوسائل التي تنقل العدوى وتؤدي الى انتشار الامراض.

إن الذي يلوث الماء بأي شيء ضار يأثم بكل كبد فسد بسبب هذا الضرر ، ويأثم بكل كُلْيَةٍ فشلت وبكل داء أصيب به إنسان من قِبل هذا الماء الملوث، فكيف نلوث ماء أنزله الله تعالى طهورًا؟! يقول تعالى

{وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [الفرقان: ٤٨] .

ومن عناية النبي (صلى الله عليه وسلم) بالحفاظ على الماء أن وجه المسلمين إلى تغطية أواني الماء لحمايته من الملوثات التي قد تنتقل إليه من الهواء أو الحشرات الناقلة للجراثيم والطفيليات كالصراصير والفئران والنمل والبعوض ، فعن جابر (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (غَطُّوا الإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ وَأَغْلِقُوا الْبَابَ وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سِقَاءً وَلاَ يَفْتَحُ بَابًا وَلاَ يَكْشِفُ إِنَاءً فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ). وَلَمْ يَذْكُرْ قُتَيْبَةُ فِى حَدِيثِهِ (وَأَغْلِقُوا الْبَابَ).(صحيح مسلم). وأوكوا السقاء أي: اربطوا فوهات أواني الماء لحمايتها من التلوث والأوبئة .

بل إن حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على طهارة الماء وسلامته بلغت حدًا أكبر من ذلك ، إذ نهى عن النفخ في الشراب ؛ ليحميه من نفس شاربه ورائحة فمه كي لا يتلوث ؛ لأن الشارب الأول قد لا يشرب الماء كله ، وقد يحتاج بقيته شخص آخر ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يُتنفسَ في الإناء أو يُنفخَ فيه (سنن أبي داود) ، وبالمثل نهى (صلى الله عليه وسلم) عن الشرب من فم السقاء مباشرة ، وقد ذكروا لذلك سببين : الأول : عدم تلوث ماء السقاء برائحة فم الشارب ، والثاني: حماية الشارب مما قد

يكون في السقاء من شيء مختلط بالماء ، فإذا وضع الماء في كأس علم ما به.

إننا في ظل ما ينتابنا من خوف على مياه النيل – وهي المصدر المائي الرئيسي لنا في مصر – لا خلاص لنا إلا بأن نتقي الله تعالى فيما بين أيدينا من نعمة الماء ، إذ إن التقوى هي سبيل النجاة والخلاص من الأزمات، يقول الله تعالى:{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطَّلَاق:٢، ٣] . فلنحافظ على الماء بألا نلوثه ولا نسرف في استعماله حتى يؤمننا الله تعالى ؛ فإن الأمر بيد الله تعالى وحده ، عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤونة من أشهر العجم (القبطية) فقالوا:(أيها الأمير إن لنيلنا سُنة لا يجري إلا بها ، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان لثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل ، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبل ، فأقاموا بؤونة والنيل لا يجري لا قليلًا ولا كثيرًا ، وفي رواية: فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى وهو لا يجري حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بذلك فكتب إليه عمر : إنك قد أصبت بالذي فعلت وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل ، فلما قدم

كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد(فإن كنت تجري من قِبلك فلا تجرِ ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك ، فألقى عمر البطاقة في النيل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة) (البداية والنهاية لابن كثير).

لقد وعد الله تعالى من يؤدي حق النعمة ويشكر ربه عليها بالزيادة ، فقال: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إِبْرَاهِيمَ: ٧] . فأعظم وسيلة لضمان الإمدادات الإلهية من الماء هو شكر النعمة والحفاظ عليها.

إن الماء أنزله الله في الأرض بقدر وبنظام محكم دقيق ، يقول الله تعالى: {وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون: ١٨] يقول ابن كثير – رحمه الله – : فِي إِنْزَالِهِ القَطْر مِنَ السَّمَاءِ {بِقَدَرٍ} أَيْ: بِحَسْبِ الْحَاجَةِ، لَا كَثِيرًا فَيُفْسِدُ الْأَرْضَ وَالْعُمْرَانَ، وَلَا قَلِيلًا فَلَا يَكْفِي الزُّرُوعَ وَالثِّمَارَ، بَلْ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ مِنَ السَّقْيِ وَالشُّرْبِ وَالِانتِفَاعِ بِهِ. وَقَوْلُهُ: {فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأرْضِ} أَيْ: جَعَلْنَا الْمَاءَ إِذَا نَزَلَ مِنَ السَّحَابِ يَخْلُدُ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ قابليَّة لَهُ، تَشْرَبُهُ وَيَتَغَذَّى بِهِ مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ وَالنَّوَى.[تفسير ابن كثير]. إذًا ففي جوف الأرض خزانات للمياه بقدرة الخلاق العليم سبحانه ، وعندما نزل أحد العلماء إلى منجم للفحم يبلغ عمقه تحت سطح الأرض أكثر من

ألف متر اكتشف وجود مياه تعود إلى ملايين السنين! فسبحان القائل: {وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ......} (عن كتاب: دورة المياه بين العلم والإيمان لعبد الدايم كحيل).

فالماء أنزله الله بقَدَر فهو محدد كالرزق ، لكن الله تعالى أراد أن ينزل في بلاد وينتفع به أهل بلاد أخرى تمامًا كالمال في أيدي الأغنياء ، يقول سيدنا عليٌّ (رضي الله عنه): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ ، وَلَنْ تُجْهَدَ الْفُقَرَاءُ إِذَا جَاعُوا وَعَرُوا إِلَّا بِمَا يُضَيِّعُ أَغْنِيَاؤُهُمْ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحَاسِبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابًا شَدِيدًا ، ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (المعجم الصغير للطبراني).

إن الواجب علينا أن نتقي الله وأن نراعي هذه النعمة التي هي سبب الحياة وليتحمل كل منا مسئوليته أمام الله عز وجل في الحفاظ على ما أولانا من نهر عظيم وماء عذب ، فغيرنا في أمس الحاجة إلى قطرة ماء تروي ظمأه وتنبت كلأه.

ألا فلتكن هبةً مجتمعية تستهدف الحفاظ على الحياة عن طريق الحفاظ على هذه النعمة التي تستمد منها حياة الانسان والحيوان ، وكل كائن حي بإذن الله تعالى: {...وَأَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لأولِي النُّهَى } [طه: ٥٣، ٥٤].

الأسرة ودورها في الحفاظ على استقرار المجتمع

أولًا : العناصر :

١. الأسرة عماد المجتمع.

٢. عناية الإسلام بالأسرة.

٣. عوامل النجاح في بناء الأسرة.

٤. حقوق الآباء على الأبناء.

٥. دور الأسرة في تعزيز أمن واستقرار المجتمع.

ثانيًا : الأدلـة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١. قال تعالى :{ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الذاريات: ٤٩].

٢. وقال تعالى :{ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦].

٣. وقال تعالى :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا } [النساء: ١].

٤. وقال تعالى :{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم:٢١].

٥. وقال تعالى :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحريم: ٦].

٦. وقال تعالى :{ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} [لقمان :١٤].

٧. وقال تعالى :{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان: ٧٤]

٨. وقال تعالي :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[الإسراء ٢٣،٢٤].

٩. وقال تعالى :{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }

[الأحقاف : ١٥].

الأدلـة من السـنة :

١- عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (متفق عليه)

٢- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) (رواه البخاري)

٣- وعن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (متفق عليه).

٤- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) (رواه البخاري).

٥- وعن أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) (متفق عليه).

٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) (رواه أبو داود).

٧- وعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ) (السنن الكبرى للنسائي).

٨- وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : (سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) أي العمل أحب إلى الله قال : (الصلاة على وقتها ، قال: ثم أي ، قال : ثم بر الوالدين ، قال : ثم أي ، قال : الجهاد في سبيل الله) (متفق عليه) .

ثالثاً: الموضوع:

إن الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون فيها صرح المجتمع فهي التي تتولى حماية النشء ورعايته وتنمية أجساده وعقوله وأرواحه، وفي ظلها تتلاقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل؛ فهي التي تصنع الرجال الأبطال الذين تقوم عليهم المسؤوليات ، وعلى أكتافهم تصان الحرمات ، فمن الأسرة يخرج القائد المقدام ، والعالم الإمام ، والطبيب الماهر ، والمهندس الباهر ، والرجل الفاضل ، وبمقدار ما تكون عليه الأسرة من قوة أو تقوم عليه من قيم؛ فصلاحها يعني صلاح المجتمع، وفسادها يعني فساد المجتمع.

ومن هنا اهتم الإسلام بالأسرة اهتمامًا بالغًا يناسب أهميتها في كيان المجتمع وأثرها الفعال في حياة الأمة ومستقبلها، ويتجلى ذلك الاهتمام في بيان كل ما يتصل بتكوين الأسرة من الأحكام والواجبات وما تقوم عليه من التقاليد والآداب وما يكفل سلامتها من الفتن والخلافات ويوفر

لها الحماية من عوامل التحلل والفساد ؛ كي تؤدي رسالتها في أمن واستقرار و إعداد النشء وتربيته على القيم الفاضلة والمُثُلِ العليا.

وقد وصلتْ عنايةُ الإسلام بهذا المكون الرئيس للمجتمع (الأسرة) إلى درجة كبيرة؛ حتى إن هذه العناية امتدتْ إلى ما قبل تأسيسها في مُحَاوَلة إلى انتقاء عناصر بنائها بما يحقِّق التلاؤُم والانسجام، ويُقَلِّل من دوافع الفشل لبنيانها، بل إنَّ الإسلامَ حَثَّ أتباعه على الإسهام في تكوين هذه الأسرة عبر وسيلته المشروعة وهي الزواج، الذي اعتبره الإسلامُ إحدى سُنَن الله في الخلق لما يحققه من مقاصد في الحياة الإنسانية؛ إذ يقول الله – تبارك وتعالى : {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[الذاريات: ٤٩]، ويقول سبحانه:{ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) [يس: ٣٦].

فالزواج إذًا سُنَّة كونَّية ، ولا ينبغي للإنسان أن يشذَّ عنها ؛ إذ إن الله – ومنذ أن خلق الإنسان الأول آدم وأسكنه الجنة – لم يدعه وحده في الجنة ، بل جعل له حواء ليسكن إليها ، فلا يستطيع أن يحيا وحده بلا أنيس ولا جليس ؛ لذلك خلق الله لآدم من نفس جنسه زوجًا ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}[النساء :١] ، بل إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) دفع الشباب دفعًا إلى تحقيق هذه السنة، موضحًا فوائد ذلك ومنافعه فقال : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (متفق عليه) .

وقد حدد الإسلام المعايير والأسس، التي يجب عليها اختيار الزوج لزوجته والزوجة لزوجها وفي مقدمتها الدين والخلق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) (صحيح البخاري)، وعَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) (سنن البيهقي).

فالزواج علاقة تقوم على الودِّ والحبِّ والحنان لا تقوم على الصراع ومحاولات كلِّ طرف لإثبات ذاته، ففي أحضان الأسرة المتماسكة الملتزمة بأحكام الله تنمو الخلال الطيبة، وتنشأ الخصال الكريمة، ويعيش الصبية الصالحون حيث تسود المودة، وتنتشر الرحمة في جنبات هذا البيت الكريم، متمثلاً فيه قول الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم:٢١].

إن المودة والألفة هي قوام الأسرة، وإن أجلى مظاهرها وأوضح أسبابها حسن العشرة، ولزوم الطاعة، والتواصي بين الزوجين بالخير، وجميل الخلق، فأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخير المؤمنين خيرهم لنسائهم، والمرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت.

إن الإسلام يحرص كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية – التي هي النواة الأولى للأسرة– على المحبة، والتفاهم والانسجام، وهذه هي

أهم خطوة في إصلاح المجتمع يليها تربية النشء وتحصينه، وهذه التربية هي مسئولية الأسرة، رجالاً ونساءً، فكل فرد راع ومسئول عن رعيته.

ولقد فطر الله -عز وجل- الناس على حب أولادهم ، قال تعالى : { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا } [الكهف: ٤٦]

ويبذل الأبوان الغالي والنفيس من أجل تربية أبنائهم وتنشئتهم وتعليمهم، ومسئولية الوالدين في ذلك كبيرة ، فالأبناء أمانة في عنق والديهم ، فعليهم أن يحسنوا أداء هذه الأمانة ، وأن يتقوا الله فيهم ، وأن يعودوهم الخير ، فإن تعودوا الخير وتعلموه نشأوا عليه ، وسعدوا في الدنيا والآخرة ، وشاركهم في ثوابهم أبواهم ، وكل معلم لهم ومؤدب ، وإن عُوّدوا الشر وأهملوا شقوا وهلكوا ، وكان الوزر في رقبة والديهم ، فقد قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ }[التحريم :٦] ، وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) : قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)

(متفق عليه)

إن نجاح الأسرة المسلمة يتحقق في المحافظة على فطرة الطفل السوية من الانحراف أو التشويه في أية مرحلة من مراحل نموه- مرحلة الولادة والرضاعة، مرورًا بمرحلة الحضانة والطفولة ، وهكذا ، ويؤكد هذا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)حيث يشير إلى هذه المرحلة بقوله: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) (رواه البخاري).

ومن ثمَّ فإن للأسرة دورًا كبيرًا في رعاية الأولاد - منذ ولادتهم - وفي تشكيل أخلاقهم وسلوكهم، وما أجمل مقولة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله- (الصلاح من الله والأدب من الآباء) إن الأبناء يتمثلون بالآباء ويحملون عاداتهم السلوكية، وقديمًا قيل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا *** على ما كان عوده أبوه

فعلى الآباء غرس القيم والفضائل الكريمة والآداب والأخلاقيات والعادات الاجتماعية التي تدعم حياة الفرد وتحثه على أداء دوره في الحياة وإشعاره بمسئوليته تجاه مجتمعه ووطنه وتجعله مواطنًا صالحاً في المجتمع مثل: الصدق والمحبة والتعاون والإخلاص وإتقان العمل.

كما يجب على الآباء غرس مفاهيم حب الوطن والانتماء وترسيخ معاني الوطنية في أفئدة الأبناء. فالوطن امتداد لحياة الآباء والأجداد ، وبدونه لا يكون الإنسان شيئًا فهو تلك البقعة من الأرض التي ولدنا بها ونموت فيها ، ونستمتع بخيراتها ونعيش في دفء أمنها ورعايتها ، ويجب

أن يعـي الأب والأم أولاً معنـى الوطنيـة والانتمـاء قبـل أن ينقلوهـا إلى أبناءهم.

ولقد وجه الإسلام الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم وخاصة في سن التمييز، كما وجههم إلى أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ليكتسبوا منهم كل خلق كريم وأدب رفيع وعادة فاضلة، كما وجههم أن يحذروهم من خلطاء الشر ورفقاء السوء حتى لا يقعوا في حبائل غيرهم وشباك ضلالهم ، فالمرء على دين خليله ، فلينظر الإنسان إلى من يصاحب ، قال تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٦٧]

وعن أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :(إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكِيْرِ) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ) وَقَالَ مُؤَمَّلٌ: (مَنْ يُخَالِلُ)(مسند أحمد) وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ) (سنن الترمذي)

فعلى المربين أن يأخذوا بهذه التوجيهات النبوية في تربية أولادهم حتى تسعد الأسرة وبذلك يسعد المجتمع، فإن الله عز وجل سائل كل راع عما استرعاه ، ففي الحديث عَنْ أَنَسٍ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ)

(السنن الكبرى للنسائي).

وإذا كان هذا دور الآباء نحو الأبناء فعلى الأبناء واجب نحو آبائهم أوكله الله إليهم، فقد أمرهم الله – عز وجل– ببرهم والإحسان إليهم في عدة مواضع من كتابه الكريم، جزاء تربيتهم ، والمعاناة من أجلهم فقال تعالى:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } [لقمان :١٤]

ولن يستطيع الأبناء أن يحصوا ما لاقاه الأبوان من تعب ونصب وأذى ومشقة ، وسهر وقيام ، وقلة راحة وعدم اطمئنان من أجل راحتهم في سبيل رعايتهم ، والعناية بهم ، فسهر بالليل، ونصب بالنهار ، ورعاية واهتمام ، وتعهد وتحسس لما يؤلمهم ، فهما يقومان بعنايتهم ، ويراقبان تحركاتهم وسكناتهم ، وصحتهم ، ومرضهم ، يفرحان لفرحهم ، ويحزنان لحزنهم ، ويمرضان لمرضهم .

وإذا تتبعنا رحلة الأم مع ولدها وجدناها رحلة تعب ونصب لكن مع سرور وفرح ، فالأم تعاني في حملها ما تعاني من آلام ومرض ووهن وثقل، فإذا آن وقت المخاض والولادة شاهدت الموت ، وقاست من الآلام ما الله به عليم ، فتارة تموت ، وتارة تنجو ، وياليت الألم والتعب ينتهي عند هذا الحد ، بل يكثر التعب والنصب ويشتد بعده ، فحملته كرهًا ووضعنه كرهًا .

ففرح الأم وحزنها يتوقف على فرح ولدها وحزنه وكذلك في جميع حالاتها ، فتذبل الأم وتضعف لمرض وليدها وفلذة كبدها ، وتغيب بسمتها إن غابت ضحكته ، وتذرف دموعها إذا اشتد به المرض ، وتحرم

نفسها الطعام والشراب إن صام طفلها عن لبنها ، وتموت راضية إذا اشتد عوده وصَلُب ، ولو كان ذلك على حساب صحتها وقوتها وسعادتها ، فترى الحياة نورًا عندما ترى طفلها ووليدها وفلذة كبدها مع الصبيان يلعب ، أو إلى المدرسة يذهب هذه هي الأم التي أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاث مرات بها عندما سأله رجل في مَنْ يُبّر ، فلها ثلاث أضعاف حق الوالد ، ولذلك جعل الله الجنة تحت قدميها ، قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً } [الأحقاف : ١٥]

ومن هنا كان المسلم الملتزم أبر الناس بوالديه من أي إنسان آخر في الوجود .

وقد ارتفع الإسلام في تصوير مكانة الوالدين ، وعرض الأسلوب الراقي الذي ينبغي أن يمارسه في معاملة والديه ، وبخاصة إن طال بهما أو بأحدهما العمر ، وبلغا الشيخوخة ونال منهما العجز أو الضعف ما نال ؛ لأن هذه الأحوال مظنة وقوع ما يضجر منه الولد ، أو يستقذره من والديه ، قال الله تعالي :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[الإسراء : ٢٤،٢٣] ، ولعل الجمع في هاتين الآيتين بين النهي عن التأفف من الوالدين وبين الأمر بخفض الجناح والدعاء لهما إشارة للأولاد ليتدبروا ويعلموا أن رحمتهم

بوالديهم في الكبر وتذللهم لهما لا يكفي رد حقوقهم وإنما عليهم أن يدعوا الله تعالى أن يكافئهم عنهم ، بعطاء منه ورحمة حيث إن فضله عظيم ورحمته وسعت كل شئ ، ذلك لأن رحمة الوالدين بالولد في صغره ولا سيما الأم التي تتولى رعاية الصغير ونظافته إنما تكون مع اللذة والرغبة والسعادة والسرور ، ولن تبلغ رحمة الولد هذا الحد إطلاقًا.

وإن من يتتبع الأحاديث النبوية يجدها تتوالى لتؤكد فضل بر الوالدين وتحذر من عقوقهم أو الإساءة إليهما مهما تكن الأسباب والمبررات ، روى الشيخان عن أبن مسعود (رضي الله عنه) قال: سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : (الصلاة على وقتها قال: ثم أي قال: ثم بر الوالدين قال: ثم أي قال: الجهاد في سبيل الله) (متفق عليه)

وهكذا يتضح مدى ما أولاه الإسلام للوالدين من رعاية وحقوق تجمع معاني الاحترام ومظاهر التقدير وغض الصوت وخفض الجناح وإدخال السرور على قلبيهما ، مع امتداد هذا البر عليهما وعلى أصحابهما بعد وفاتهما ، وعلى هذه النشأة الكريمة ينبغي على الأسرة تربية أبنائها وتعريفهم بحقوق الوالدين .

جدير بالذكر أن الأمن والأسرة يوجد بينهما ترابط وثيق ،و يكمل أحدهما الآخر ، فلا حياة للأسرة إلا باستتباب الأمن ، ولا يمكن للأمن أن يتحقق إلا في بيئة أسرية مترابطة، وجو اجتماعي نظيف ، يسوده التعاطف والتآلف ، والعمل على حب الخير بين أفراده ، كل ذلك ضمن

عقيدة إيمانية راسخة ، واتباع منهج نبوي سديد ، هذا الإيمان هو الكفيل بتحقيق الأمن الشامل والدائم ، الذي يحمي المجتمع من المخاوف ، ويبعده عن الانحراف ، وارتكاب الجرائم.

إن هذا الدور لا يتحقق إلا في ظل أسرة واعية تحقق في أبنائها الأمن النفسي ، والجسدي ، والغذائي ، والعقدي ، والاقتصادي ، والصحي بما يشبع حاجاتهم النفسية والتي ستنعكس بالرغبة الأكيدة في بث الطمأنينة في كيان المجتمع كله ، وهذا ما سيعود على الجميع بالخير الوفير .

ويتحقق الأمن في الأسرة بأن يقوم كل واحد من أركانها بدوره المنوط به، والذي من أجل تحقيقه تكونت الأسرة، فالذكر والأنثى أوجد الله في كل منهما خصائص قبل الوظائف، فيحقق كل منهما وظيفته من خلال خصائصه، ويتحمل مسئولياته مع تعاون الجميع في أداء الواجبات .

لقد اعتبر الإسلام أن بناء الأسرة وسيلة فعّالة لتحقيق الأمن ، ولحماية الأفراد من الفساد، ووقاية المجتمع من الفوضى، لأن التربية الأمنية تبدأ في نطاق الأسرة أولا، ثم المدرسة، ثم المجتمع، فالأسرة هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل الحق والباطل، والخير والشر، ويكتسب تحمل المسئولية، وحرية الرأي، واتخاذ القرار، كل هذه القيم وغيرها يتلقاها الطفل في سنيه الأولى، دون مناقشة، حيث تتحدد عناصر شخصيته، وتتميز ملامح هويته ، وإذا لم تتهيأ الفرصة بشكل كاف داخل

الأسرة لتعلم هذه القيم، فإنه يتعذر عليه بعد ذلك اكتسابها لكي تكون جزءا من سلوكه .

ومما لاشك فيه أن مسئولية أمن الوطن تقع على عاتق كل من يعيش على أرض الدولة من مواطنين ومقيمين ؛حيث إنهم هم الذين ينعمون بالراحة والطمأنينة فيه ، وبالطبع فإن المسئولية الأولى تقع على الأسرة ؛باعتبارها البوتقة التي يخرج منها المواطن الصالح ؛ لذا يجب على الأسرة أن تعي دورها تمامًا تجاه أمن المجتمع ، وأن تقوم بدورها من خلال تنشئة أولادها على حب الوطن وحفظ أمنه واستقراره.



عناية الإسلام بالضعفاء والأيتام وذوى الاحتياجات الخاصة

أولاً : العناصر:

١. الإسلام دين الرفق والرحمة.

٢. مكانة الضعفاء عند الله تعالى.

٣. مراعاة الإسلام لذوى الاحتياجات الخاصة وحقوقهم.

٤. مراعاة الإسلام لحقوق اليتامى والمساكين.

ثانيًا : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: {...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ }

[الأعراف: ١٥٦].

٢- وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}

[التوبة:٩١-٩٣]

٣- وقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٠]

٤- وقال تعالى:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء : ٩ ،١٠]

٥- وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩]

٦- وقال تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} [النساء: ١٢٧]

الأدلة من السنة:

١. عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ) (صحيح البخاري)

٢. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) (صحيح البخاري) .

٣. وعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ فِي غزَاةٍ، فقَالَ: (إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا ، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ)

(صحيح البخاري)

٤. وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ ، الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ)

(رواه الحاكم في المستدرك).

٥. وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَغُلَامٌ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ يَحْدُو ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ) (رواه مسلم)

٦. وعن يَحْيَى بْنِ عُقَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى (رضي الله عنه) يَقُولُ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ

الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ) (سنن النسائي)

٧. وعَنْ أَبِي هُــرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ) ، وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى

(صحيح مسلم)

ثالثاً ـ الموضوع:

إن الإسلام دين الرفق والرحمة والمحبة والمودة ، يضمن لجميع الفئات والطوائف في المجتمع حقها في العيش الكريم والحياة السعيدة ، ويُراعَى فيه الضعيف قبل القوى ، والصغير قبل الكبير ، والمريض قبل الصحيح ، بل إن شئت فقل يراعِي حق الحيوان ، وذلك لأنّ رحمة الله عزَّ وجلَّ لم تقتصر على الإنسان فحسب ، بل وسعت كلّ شيء ، قال تعالى:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ١٥٦]

وهذا ما يتضح من توجيهات النبي (صلى الله عليه وسلم) وتعاليمه ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْض(صحيح البخاري) فهذا أعظم ميثاق جعله الإسلام ضمانًا للعيش الكريم ، حتى في حق الحيوان ، فما أعظمها من رحمة !

وتتجلى رحمة الإسلام في تشريعاته التي من أهمها مراعاة الفئات الضعيفة التي لا تقوى على قضاء حوائجها، أو السعي في مصالحها ، وهي فئات مهمة في المجتمع لا يمكن أن يغفلها، لأنّ الإسلام لا يعرف ما يسمى بالفئات المهمشة ، فالجميع فيه سواء الرّجل والمرأة ، والصغير والكبير ، والغنى والفقير ، إنه دين يُحدث التكامل ويقيم التوازن بين أفراد المجتمع، فينعكس أثر ذلك على المجتمع بأسره حبًا وحنانًا ومودة وسعادة.

وحين يعطي الإسلام الضعفاء مزيدًا من الرعاية والعناية، فإن ذلك ينصب في مصلحة الأقوياء والأصحاء والأغنياء ، إذ يزول الحقد والحسد والمرض النفسي، وتعمُّ روح الوئام والسلام، ويظهر المجتمع بصورة ترضى الله (عز وجل) وتستوجب رحمته، فالخير والبركة لا تحلُّ إلا بسبب مراعاة هؤلاء الضعفاء والقيام على قضاء حوائجهم، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدُ بن أبى وقاص (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ).

وهذه حقيقة يؤكدها النبي (صلى الله عليه وسلم) مبينًا فضل هؤلاء الضعفاء أطفالًا كانوا أو شيوخًا ، مرضى أو فقراء ، أو حتى نساءً ، فلقد جعلهم الله تعالى محل نظره وسبب رحمته، فمن أرضاهم رضي الله عنه، ومن أغضبهم أو انتقصهم حقوقهم وقدرهم غضب الله عليه.

وقد وصف الله – عز وجل– حال هؤلاء الضعفاء وبين قدرهم ومنزلتهم ومكانتهم عنده سبحانه، فهم مع ضعفهم يتمنّى أحدهم لو يجد

ما يُسهم به في خدمة دينه ووطنه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قول الله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [التوبة:٩١ -٩٢]

وإذا ما تأملنا سنة النبي (صلّى الله عليه وسلم) نجد أنه قد اهتم بالضعفاء اهتمامًا بالغًا، وأولاهم رعاية خاصة ، حتى إنه حين انشغل عن أحدهم وأعرض عنه ولم يعطه اهتمامًا عاتبه الله عز وجل فيه ، فقد جاء عبد الله بن أم مكتوم – وكان كفيف البصر– إلى رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ذات يوم وعنده صناديد قريش : عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة ، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه ، فنزلت الآيات من قول الله تعالى :{عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى}[عبس: ١: ١٠]. فكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ، يكرمه ويقول له إذا رآه: (مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي) ويقول: (هل لك من حاجة).

(تفسير ابن كثير– تفسير روح المعاني)

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه يسعى في قضاء حوائج هؤلاء الضعفاء، ويزور مريضهم ويخفف من آلامهم، ويطعم جائعهم ، ويقضى عن غارمهم ، ويبش لهم ويرحمهم، فمن أحسن إلى الضعفاء ازداد قربًا من رحمة الله (عز وجل)، قال تعالى : {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[الأعراف: ٥٦]، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل هذا معهم والسعادة تَغْمُر قلبه والرحمة تملأ حنايا صدْره ، فعن يَحْيَى بْنِ عُقَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى يَقُولُ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُكْثِرُ الذِّكْرَ ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ ، وَلَا يَأْنَفُ (يستكبر) أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ)

(سنن النسائي).

ثم يبين النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثواب من سعى في خدمة هؤلاء الضعفاء وذوى الاحتياجات الخاصة ، حيث يقول : (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) فيا له من ثواب جزيل وفضل عظيم لمن فَعَل فِعْل المصطفى (صلى الله عليه وسلم) واقتفى أثره.

ولننظر كيف يحافظ الإسلام على حقوق هؤلاء الضعفاء الذين كرمهم الله (عز وجل) ورفع قدرهم؟ إن الإسلام ينظر إلى هذا العجز أو المرض على اختلاف أنواعه ومقداره على أنه ابتلاء من الله (عز وجل) لابد أن نتلقاه ونتقبله بالرضا والصبر والدعاء فهو منحة من الله يرفع بها المؤمن ويكفِّر بها من خطاياه ، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا

فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}[الحديد: ٢٢، ٢٣] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) (صحيح البخاري) ، ومن ثمَّ فمن ابتلي في ولده أو أهله أو نفسه بشيء من ذلك فليوقن تمام اليقين أن هذا من الله رحمةً به ، ومنحةً إليه، وليصبر وليتعلم كيف يتعامل مع الابتلاء وكيف يحافظ على حقوق الضعفاء.

والحذر كل الحذر من السخرية والاستهزاء بمن كان هذا حاله فقد قال الله (عز وجل): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الحجرات: ١١] ، فَيحرم التعرض لهم بنظرة تحمل ازدراءً، أو بقول ينال من حالتهم، أو بعمل ينتقص من حقهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :(لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا) وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

(بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) (صحيح مسلم)

إنّ المسلم صاحب أدبٍ وخلقٍ جمّ يحسن في معاملة الناس جميعًا ، ويتأدب في تعامله مع أحبابه من ذوى الاحتياجات الخاصة أو الضعفاء، ولقد علمنا الإسلام ماذا نقول إذا رأينا من ابتلى ببلاء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلَاءُ) (سنن الترمذي) وإنّ هذا من شكر الله تعالى على نعمه ولنعلم أن الصحيح قد يمرض ، وأن الغنى قد يفتقر ، وأن الحي سيموت ، وكل شيء عند الله بقدر.

ومن حقوق الضعفاء التي كفلها لهم الإسلام : توفير الحياة الكريمة في المأكل والمشرب والمسكن، وتوفير دور الرعاية الصحية والاجتماعية لهم، وتنمية الطاقات الكامنة فيهم وتوظيفها في محلها، فمنهم من يقدر على عمل إبداعي فكرى، ومنهم من يقدر على عمل رياضي بدني ، فهو إذا شارك الناس فيما يقدر عليه ووجد لمسة حانية ممن حوله، خفّ عنه الألم النفسي، وأحسّ بأنه جزء من مجتمع يحبه ويحافظ عليه.

ومن هؤلاء الضعفاء (اليتامى) ، فقد وجه الإسلام أتباعه إلى الحفاظ على أموالهم ، حيث أمر الله – عز وجل – الأوصياء ، وكل من له صلة قرابة بيتيم أن يحسن إليه ويقوم على شئونه والقيام باحتياجاته ورعاية أمواله ، كما قال تعالى:{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا

يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا}[النساء: ١٢٧] ، والقسط هو العدل، وهو يقتضي ممن قام على مصالح اليتيم أن يتقى الله فيها ويرعاها كما يرعى ماله ، فهذا توجيه من الله (عز وجل) لهؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى أو يهملونها أو يستغلّونها في مصالحهم الشخصية ، وخاصة في معاملة اليتيمات.

كذلك وجه الله تعالى الأولياء والأوصياء برعاية اليتيم وإصلاح ماله وحاله سواء كان هذا اليتيم قريبًا أو غريبًا، قال تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[البقرة: ٢٢٠] .

ولو تأملنا الآية ونظرنا على وجه التحديد في موقع كلمة (إصلاح) ثم فكرنا في بدائلها اللغوية وما يرادفها لوجدنا أن العربية في عمقها واتساعها عاجزة عن أن توافينا بكلمة تقوم مقامها في هذا الموضع، فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم ، فقد يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح برًا وعطاءً ماديًا ، وقد يحتاج إلى من يتاجر له في ماله أو من يقوم على زراعته ، أو صناعته ، فيكون الإصلاح هو القيام بذلك كما قال عمر بن الخطَّاب (رضي الله عنه): (ابتغوا بأموال اليتامى، لا تأكلها الصَّدقة) (السنن الكبرى للبيهقي) ، وقد لا يحتاج اليتيم إلى المال ، وإنما يحتاج إلى التقويم والتربية فيكون الإصلاح هنا رعايةً وتربيةً ، وقد

لا ينقصه هذا ولا ذاك ، وإنما تكون حاجته إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده.

ولأجل هذا كان ترغيب النبي (صلى الله عليه وسلم) في كفالة اليتيم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ) وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى (صحيح مسلم)

وكان التحذير الأكيد والوعيد الشديد لكل من اعتدى على أموال اليتامى بأكلها أو ضياعها واضحًا في قول الله تعالى:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ٩، ١٠]

وبهذا لا يترك الإسلام اليتامى نهبًا للأوصياء أو الطامعين أو مستغلي حالِ ضعفهم، وإنما يشدّد على حفظهم وتعهدهم بالرعاية والعناية ، لئلا تضيع حقوقهم وتُهْمَل تربيتهم، فنجد المجتمع يعانى من ظواهر سلبية كأطفال الشوارع والعاطلين والمتسوّلين.

وهكذا يراعي الإسلام الضعفاء على اختلاف أنواعهم وتباين أسباب ضعفهم، ما بين مريض أو فقير أو يتيم أو امرأة صغيرة أو مسنّة، أو أحد من ذوي الاحتياجات الخاصة، ويعلمنا الإسلام كيف نتعامل معهم ونراعي شعورهم، ولنعلم أنهم جميعًا يتمنون السعي في الخير وتقديم ما به حفظ الدين والأوطان، غير أن العذر حال دون فعل ما يقوم به الأصحاء، ولنوقن تمام اليقين أن مساعدتنا لهم ماديًا ومعنويًا يعود خيرها علينا وعلى المجتمع بأسره، حيث تعم المحبة والسلام.

أخلاق الصائمين وسلوكهم

أولا : العناصر

١- الصيام تقويم للأخلاق والسلوك.

٢- رمضان واجتناب المعاصي.

٣- من أخلاق الصائمين .

أ- التقوى.

ب- الصبر.

ج – الحلم.

د –إتقان العمل .

ثانيا: الأدلة:

الأدلة من القرآن

١- قال تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون} [البقرة: ١٨٣]

٢- وقال تعالى:{...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون} [البقرة: ١٨٧]

٣- وقال تعالى :{ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } [البقرة: ٨٣]

٤- وقال تعالى:{...وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧]

٥- وقال تعالى :{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}
[الزمر: ١٠]

الأدلة من السنة:

١- عن أبى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (الْأَجْوَفَانِ: الْفَرْجُ وَالْفَمُ، وَأَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قال : تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ) (الأدب المفرد بإسناد حسن)

٢- وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ومعاذ بن جبل (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)

(رواه الإمام أحمد والترمذي وقال حديث حسن).

٣- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :(إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ) (رواه الحاكم في المستدرك وقال على شرطهما ، وأحمد ، والبخاري في الأدب المفرد).

٤- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِىَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (متفق عليه)

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ) (رواه الترمذي)

٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) (رواه البخاري)

٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنِ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ) (سنن ابن ماجه)

ثالثا: الموضوع

شرعَ الله العبادات من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍّ وغيرها ، لمقاصِد عُظمى وغايات كُبرى ، ترجِع في أصلِها إلى تهذيب النفوس، وتزكية القلوب، وتطهير الجوارِح، والسير بها إلى أرفع القِيَم وأزكَى الشِّيَم.

ومن تلك العبادات: صيام شهر رمضان بما تضمَّنَه من عباداتٍ وقُرُباتٍ وأعمال صالحة ؛ فالصيام مدرسةٌ يجبُ أن تجعلَ المسلم في أعلى ما يكون من الأخلاق الفُضلَى والمُثُل العُليا، يقول ربُّنا – جل وعلا –:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]

وإن من حقيقة التقوى: التمثُّل بالأخلاق الكريمة والصفات النبيلة فعلاً وقولاً وسُلوكًا ومنهَجًا، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (اتَّقِ الله حيثُما كنت، وأتبِع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسن).

وعن أبى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قال : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (الْأَجْوَفَانِ: الْفَرْجُ وَالْفَمُ، وَأَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قال : تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)، ومعنى الأكثرية المذكورة في الحديث أي: أكثر أسباب السعادة الأبدية وأكثر أسباب الشقاوة السرمدية ، وقد جمع النبي (صلى الله عليه وسلم) بين تقوى الله وحسن الخلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين وربه ، وحسن الخلق يصلح ما بين العبد وبين الخلق ، كما أن تقوى الله توجب محبة الله ، وحسن الخلق يوجب محبة الخلق، وهذا يشمل سائر أبواب الدين في الأموال والفروج ومعاملة الخلق والولايات والابتداع والاتباع وغير ذلك .

ولما كان الاسلام دينًا يعتني بالأخلاق اعتناءً بالغًا كما يتجلى ذلك في قوله (صلى الله عليه وسلم): (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، جعل شهر رمضان فرصة لتربية النفس على الأخلاق الفاضلة وتجنيبها الأخلاق الفاسدة ، ويتجلى ذلك في حقيقة الصوم نفسه وهو أن يصوم المرء عن كل مالا يليق وأن تحكمه أخلاق التقوى وهو ما بينه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوله : (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) (البخاري) فالإسلام يُريد من المسلم أن يتحلَّى بالأخلاق الحسنة، وأن يتَّصِفَ بالمُعاملات الكريمة، قال (صلى الله عليه وسلم): (أكملُ المؤمنين إيمانًا

أحسنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم) (رواه الترمذي)، ويقول(صلى الله عليه وسلم) : (إن المؤمنَ ليُدرِكُ بحُسن خُلُقه درجةَ الصائم القائم)

(رواه أبو داود)

فعلى المسلمين أن يستلهِموا من العبادات والقربات والأعمال الصالحة وعلى رأسها الصيام كل جميلٍ رفيعٍ من الأخلاق والمُثُل والصفات، وأن يستمِدُّوا منها كل ذوقٍ سليمٍ، وكل فعلٍ جميلٍ، وقولٍ نبيلٍ، ليملأ حياتَهم حينئذٍ الحبُّ بشتَّى أشكالِه، وتسُودَها المودَّةُ بمُختلف صُورها، وتغمُرها التعامُلات الراقِية، والمبادِئُ الحياتية السامية. فذلك مما أوجبَه الإسلام، وافترضَه القرآن، يقول - جل وعلا -: {...وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ...} [البقرة: ٨٣]

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! إن فلانةَ يُذكَرُ من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غيرَ أنها تُؤذِي جيرانَها بلِسانها. فقال (صلى الله عليه وسلم) : (هي في النار). فقال: يا رسول الله إن فلانةَ يُذكَر من قلَّة صيامها وصدقتها وصلاتها وأنها تصدَّقُ بالأثوار من الأقِط ولا تُؤذِي جيرانَها بلِسانها. قال: (هي في الجنة)

(أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد)

ومن هذا المُنطلق حذَّر النبي (صلى الله عليه وسلم) الصائمين من العُدول عن هذه المقاصِد الكريمة للعبادات الجليلة، فقال: (إذا كان يومُ صوم أحدِكم فلا يرفُثْ ولا يصخَب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتلَه فليقُل: إني امرؤ صائِمٌ) وفي رواية (إني صائم إني صائم).

نعم إن الفُحش واللعان والسباب ليس من أخلاق أهل الفضل والعبادة والإحسان، وليس من سجِيَّة عباد الرحمن، قال (صلى الله عليه وسلم): (من لم يدَع قولَ الزُّور والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشرابَه).

ومن الغاية التي من أجلها شرع الصيام تقوى الله عز وجل فجعل الله سبحانه وتعالى الحكمة من الصوم تحقيق التقوى قال تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }   [البقرة : ١٨٣]

والمتأمل في آيات الصيام في سورة البقرة يجدها ابتدأت بالأمر بالتقوى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة : ١٨٣) ، وانتهت بالأمر بالتقوى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}   [البقرة: ١٨٧]

فالصائم حين يقضي نهار رمضان ممتنعاً عما أحله الله له من الطعام والشراب والجماع هان عليه وسهل أن يمتنع عما حرم الله تعالى ، فهو يشعر دائماً برقابة الله تعالى له، يحرص على أن يكون صومه كما أراده الله تعالى (إيماناً واحتساباً) فلا يريد أن ينقص إيمانه بمعصية فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ)   (متفق عليه)

والصوم لا يؤتي ثماره إلا حين يكون جنة لصاحبه – أي وقاية ودرع – من الوقوع في المعاصي ،كما جاء في الحديث القدسي عن رب العالمين : (وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ) ، فإذا حقق الصائم هذه الحكمة ، واستوفى هذه العلة ، وتحلى بهذه الحلية (التقوى) استحق ما أعده الله تعالى لأهلها من الفرح في الدنيا والآخرة ، فرح في الدنيا على تحقيقها ، وفرح في الآخرة على ثوابها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) ، وأما إذا لم يحقق الصائم هذه الحكمة فقد أتعب نفسه في الدنيا بالحرمان دون جزاء ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) .

وليست التقوى مع الصيام في شهر رمضان فحسب ، بل تقوى الله تعالى في الصيام وفي غير الصيام ، ولأن التقوى خير زاد ، كما قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} فلا يقبل الله عملاً إلا من المتقين ، قال تعالى : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) ، والله تعالى : (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) أهل أن يتقى ، وأهل أن يغفر لمن اتقاه ، والتقوى جماع كل خلق حسن وداعية إليه ، والصيام كما أمر الله على منهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تتحقق به التقوى .

ومن هنا نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصائم عن أخلاق مذمومة أثناء الصيام لأنها تتنافى مع حقيقة الصيام وهي : الرفث (أي الكلام الفاحش) والجهل والصخب (أي الصياح والشتم) بمعنى أن

الصائم يجب أن يكون ذا أخلاق عالية وهي أخلاق التقوى من كظم الغيظ وضبط اللسان والعفو عن الناس والإحسان إليهم كما ذكر سبحانه من صفات المتقين الذين أعد لهم الجنة : {... أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، فذكر من صفات المتقين صفات أخلاقية (كظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم) .

فإذا كان الصيام ينهى صاحبه عن مجرد الصياح فإنه يريد من الصائم أن يرى صافيا ساكنا تعلوه مهابة الطاعة وتحكمه أخلاق التقوى.

كذلك من الأخلاق التي يكتسبها المسلم من الصيام **خلق الصبر** لأنه شهر الصبر ومدرسته وتجتمع فيه أنواع الصبر الثلاثة : الصبر على أداء الطاعات من نوافل وقيام ليل وغيرها ، والصبر عن المحرمات من كف للجوارح عن اقتراف الذنوب ، والصبر على الحرمان من جوع وعطش وشهوة ، فمن صبر شهراً كاملاً على ما سبق فلابد من أن يكون قد تدرب تدريبًا مكثفًا على هذا الخلق العظيم ، ومن هنا وصف شهر رمضان بكونه شهر الصبر كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر) .

ولقد عظم الله خلق الصبر عندما عظم أجره ، وجعله بغير حساب قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[الزمر: ١٠].

وليعلم كل من أصابه ابتلاء ، أو عنت ، أو مشقة أن ذلك من قدر الله تعالى قبل أن يخلق الخلق ، لا راد ولا صارف له إلا هو ، قال تعالى : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }[الحديد: ٢٢، ٢٣].

واعلم أيها الصابر أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واعلم أن لك في كل بلاء أجرًا حتى في الشوكة تشاكها، فعَنْ السيدة عَائِشَةَ (رَضِي اللهُ عنها) قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : (مَا مِنْ شَىْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ) (مشكل الآثار للطحاوي).

ففي هذا الخلق شد للعزائم، وشحذ للهمم، ورفع للمعنويات ، وطرد لليأس والإحباط ودافع للعمل والإنتاج ، فهو من الأخلاقيات الإيجابية على عكس ما يظن الناس به .

والصبر ضرورة حياتية ، فحين نتأمل في حياتنا لا نجد مجالاً من مجالاتها إلا وهو محتاج إلى الصبر ، فالعلم لا يتأتى إلا بالصبر ، وكسب الرزق لا يتأتى إلا بالصبر ، وتربية الأولاد لا تتأتى إلا بالصبر ، حتى معاملة الناس اليومية لا تتأتى إلا بالصبر قال تعالى: {...وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } [الفرقان : ٢٠]

كذلك لا يتحقق النصر إلا بالصبر كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) موصيًا ومعلمًا ابن عباس (رضي الله عنهما) والأمة من بعده : (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ) (رواه أحمد) ، فلا تستقيم الحياة إلا بالصبر الجميل .

إن الصائم الحق يتأثر سلوكه بالصيام في تعامله مع من حوله فالصيام يمَرِّن على ضبط النفس ، والسيطرة عليها ، والقوة على الإمساك بزمامها حتى يتمكن من التحكم فيها ويقودها إلى ما فيه خيرها وسعادتها، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فإذا أطلق المرء لنفسه عنانها أوقعته في المهالك، وإذا ملك أمرها وسيطر عليها تمكن من قيادتها إلى أعلى المراتب وأسنى المطالب.

وهذا لا يتحقق إلا لمن صام صوماً شرعيا مستشعرًا عبادة ربه بذلك، منتظرًا الثواب منه سبحانه ، وقد صامت بطنه وفرجه ولسانه وجميع جوارحه، وإلا فهو معرض لوساوس الشيطان ونزغاته، فيرتكب أخطاء قد تفسد أو تضيع صومه فضلاً عن أنه لا يستفيد منه ولا تزكو أخلاقه بصومه، وهذا لمن اتخذ الصيام مجرد عادة يصوم إذا صام الناس ويفطر إذا أفطروا، ولم يدخل مدرسة الصيام دخولاً إيمانيًا ، أو هو يفسر الصوم بأنه مجرد إمساك عن المفطرات، فيطلق لسانه وبصره فيما حرم الله ومنع نفسه ما كان أصله مباحًا له من المطعم والمشرب والمنكح مدعياً أنه صائم، فهذا لا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه وقد عاش بعيداً عن الصيام الذي يتعلم منه أموراً كثيرة وعظيمة تنفعه في دينه ودنياه.

قال (عليه الصلاة والسلام): (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) ، فإذا كان من خلق المسلم أنه ليس بالسّبّاب ، ولا بالطعان ، ولا باللّعّان ، ولا بالفاحِشِ البذيء في عموم أحواله مع الآخرين كما في الحديث، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن المؤمن ليس باللعان ولا الطعان ولا الفاحش ولا البذيء) فما بالنا بالمسلم الصائم القائم ، لابد وأن يكون أملك لزمام نفسه ، ولسانه، وأعصابه حتى لو استثير لا يثار . فلا ينطق إلا بخير ، ولا يتصرف إلا بحكمة ، ولا يرد إلا بتؤدة وروية ، يقطع أسباب الخلاف ، لا يدع للغل ولا للحقد مجالاً ، يترك أهل الغل والحقد والغيظ بِغِلِّهِم وحقدهم وغيظهم ، لا يرد إساءتهم بالإساءة ، ولا انفعالهم بانفعال ، يعرض دائمًا عن الجاهلين .

فإن بدأه أحدهم بسباب أو شتم لم يكن رده إلا بالحلم والعفو والصفح (إني امرؤ صائم) يدفع دائمًا بالتي هي أحسن قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } [فصلت: ٣٤] ، وقال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ } [المؤمنون: ٩٦]، يتحلى بأخلاق عباد الرحمن {... الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } [الفرقان: ٦٣]

ولكن بعض الناس ممن لا يدركون حقيقة الصيام وأبعاده والذي حصروه في الجوع والعطش نرى أخلاقهم تفسد في رمضان أكثر من غيره بحجة أنهم صائمون فتراهم يصيحون بأعلى الأصوات ويسبون

ويشتمون ويتكلمون بالكلام الفاحش ويغضبون لأقل الأسباب بل ويثورون فتجدهم يستثقلون رمضان أو يشتكون من جوه وطبيعته وكأنهم يلقون باللوم عليه ، إن هؤلاء لم يفقهوا حقيقة رمضان ولم ولن ينتفعوا به أبدا ما داموا على هذه الحال .

إن الصوم يربي في الصائم قوة الإرادة النابعة من إيمانه بالله تعالى، وإرادة امتثال أمره بالصوم؛ ابتغاء مرضاة الله؛ وطمعًا في نيل ثوابه الأخروي.

والصائم الذي أرغم نفسه وحملها على أن تجتنب ما هو مباحٌ لها في الأصل، وسيطر على شهوات جسده، لقادرٌ بإذن الله على أن يجتنب ما حُرِّمَ عليه من باب أولى في جميع أوقات العمر وهذه هي ثمرة الصيام.

فرمضان فرصة لنتزود فيه من اكتساب الإرادة القوية ونتربى فيه على الإخلاص وعلى الصبر وعلى الطاعات وعلى الأخلاق الفاضلة وعلى التوبة النصوح وعلى اتقاء المعاصي ، وهذه مقاصد أساسية من مقاصد الصيام.

كما أنه شهر عبادة وعمل لا بطالة وكسل ، لأن الإسلام لا يقر أن نكون عالة على غيرنا ، ولا أن نركن إلى البطالة والكسل لا في رمضان ولا في غيره ، بل علينا أن نجتهد في العبادة وفي العمل والإنتاج ، فكلاهما تقرب إلى الله (عز وجل) فالعمل للدين عبادة والعمل للوطن عبادة ، والأعمال بالنيات فالصائم الذي يراقب ربه في صلاته وصيامه وقيامه وركوعه وسجوده يجب أن يراقبه تمام المراقبة في عمله وإنتاجه وسائر تصرفاته .

رمضان شهر الدعاء والإجابة والنصر

أولاً:العناصر:

١- منزلة الدعاء من العبادة.

٢- فضل الدعاء .

٣- آداب الدعاء .

٤- الدعاء في رمضان .

٥- رمضان شهر النصر .

ثانيا: الأدلـــــة :

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

٢- وقال تعالى:{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا } [مريم: ٤٨ – ٤٩].

٣- وقال تعالى :{ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [غافر: ٦٥]

٤- وقال تعالى :{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٥ – ٥٦]

٥- وقال تعالى:{هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [غافر: ٦٥]

٦- وقال تعالى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }

[البقرة:١٨٦]

٧- وقال تعالى:{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ } [الأعراف: ٩٤]

٨- وقال تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

[الأنعام: ٤٢، ٤٣]

الأدلة من السنة:

١- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ر(ضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، يَقُولُ: (إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ) ثُمَّ قَرَأَ : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (رواه الحاكم)

٢- وعَنْ سَلْمَان (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا) (رواه الترمذي)

٣- وعن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال: قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ بها إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يعجل لَهُ دَعْوَتَهُ ، وإمّا أن يَدَّخِرَها لَهُ في الآخرة ، وإمّا أن يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا). قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ . قَالَ:(اللَّهُ أَكْثَرُ)

(رواه الترمذي وأحمد)

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (يُستجابُ للعبد مَا لَم يَدْعُ بِإِثمٍ أَو قَطيعةُ رَحمٍ ، ما لم يَستعجِلْ قيل يا رسول الله: وما الاستعجال؟ قال: يقول: دَعوتُ فَلم أُرَ يُستَجبْ لِي ، فيستحسر عند ذلك وَيدعُ الدُّعَاء)

(رواه مسلم)

٥- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: (لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ). قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاِسْتِعْجَالُ قَالَ (يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِى فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ) (رواه مسلم)

٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: (أَبْخَلُ النَّاسِ الَّذِي يَبْخَلُ بِالسَّلَامِ ، وَإِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ بِالدُّعَاءِ)

(البخاري في الأدب المفرد)

ثالثا : الموضـــوع :

الدعاء من أفضل العبادات التي يقوم بها الإنسان المؤمن ، فشأنه عظيم ، ونفعه عميم، ومكانته عالية في الدين ، فهو قمة الإيمان ، وسرّ المناجاة بين العبد وربه ، وهو من أجل العبادات وأعظم الطاعات ، وأنفع القربات ، والدعاء سهم من سهام الله ، ما استجلبت النعم بمثله ولا استدفعت النقم بمثله ، ذلك أنه يتضمن توحيد الله ، وإفراده بالعبادة دون من سواه ، وهذا رأس الأمر ، وأصل الدين وهو السلاح الذي

يملكه المؤمن في كل وقت ؛ به يستطيع أن يستخدمه في كل لحظة ، وهو من أحب الأعمال إلى الله عز وجل .

ولما كان للدعاء هذه المكانة العظيمة جاءت النصوصُ الكثيرةُ في كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) المبيِّنةُ لفضله والمُنَوِّهةُ بمكانته وعظم شأنه ، والمرغِّبةُ فيه والحاثَّةُ عليه ، وقد تنوَّعت دلالاتُ هذه النصوص المبيِّنة لفضل الدعاء ، فجاء في بعضها الأمرُ به والحثُّ عليه ، وفي بعضها التحذير من تركه والاستكبار عنه ، وفي بعضها ذكرُ عِظم ثوابه وكبر أجره عند الله ، وفي بعضها مدحُ المؤمنين لقيامهم به ، والثناءُ عليهم بتكميله ، وغيرُ ذلك من أنواع الدلالات في القرآن الكريم على عظم فضل الدعاء .

من أجل ذلك جاء في سياق آيات الصيام لفتة عجيبة تخاطب أعماق النفس ، وتلامس شغاف القلب ، وتسرِّي عن الصائم ما يجده من مشقة ، وتجعله يتطلع إلى العوض الكامل والجزاء المعجل ، هذا العوض وذلك الجزاء الذي يجده في القرب من المولى جل وعلا، والتلذذ بمناجاته ، والوعد بإجابة دعائه وتضرعه ، حين ختم الله آيات فرضية الصيام بقوله سبحانه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة : ١٨٦] ، فهذه الآية تسكب في نفس الصائم أعظم معاني الرضا والقرب ، والثقة واليقين، ليعيش معها في جنبات هذا الملاذ الأمين والركن الركين .

كما أنها تدل دلالة واضحة على ارتباط عبادة الصوم بعبادة الدعاء، وتبين أن من أعظم الأوقات التي يُرجى فيها الإجابة والقبول شهر رمضان المبارك الذي هو شهر الدعاء خصوصًا عند ساعة الفطر ، فهذه النصوص الشرعية تبين عظم شأن الدعاء وفضله ، فالدعاء هو العبادة ، وهو أكرم شيء على الله ، ومن أعظم أسباب دفع البلاء قبل نزوله ، ورفعه بعد نزوله ، كما أنه سبب لانشراح الصدر وتفريج الهم وزوال الغم ، وهو مفزع المظلومين وملجأ المستضعفين ، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء.

وإني لأدعو اللهَ والأمـرُ ضيـقٌ   علـيَّ فـما ينفـك أن يتفرّجـا
وربَّ فتى ضاقت عليه وجوهُهُ   أصاب له في دعوة الله مَخْرَجا

وقال آخر:

ولرب ضائقة يضيق بها الفتى ذرعاً .:. وعند الله منها المخرج

ونجد أنَّ الله تعالى سمَّى الدعاءَ في القرآن عبادةً في أكثر من آية ، مِمَّا يدلُّ على عِظم مكانته، كقوله سبحانه: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠]، وكقوله فيما حكاه عن نبيِّه إبراهيم عليه السلام: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا }[مريم: ٤٨] ، كما سَمَّاه سبحانه دِيناً كما في قوله: {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [غافر: ٦٥]

وهذا كلُّه يُبيِّن لنا عِظمَ شأن الدعاء ، وأنَّه أساسُ العبودية وروحُها ، وعنوانُ التذلُّل والخضوع والانكسار بين يدي الربِّ ، وإظهارِ الافتقار إليه، ولهذا حثَّ الله عبادَه عليه ، ورغَّبهم فيه في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، يقول الله تعالى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف: ٥٥ – ٥٦]، وقال تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر: ٦٥]

وذم الله تعالى الذين يعرضون عن دعائه عند نزول المصائب ، وحدوث البأساء ، أو الضراء ، فقال:{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} [الأعراف: ٩٤] . وقال تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: ٤٢، ٤٣]

وقد أمر الله تعالى عباده بالتوجه إليه ، ودعائه والتضرع إليه ، وجعل من لم تستقم نفسه إلى التوجه إلى الله والتضرع إليه من المستكبرين عن هذه العبادة العظيمة ، كما قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[غافر:٦٠] . وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (الدعاء هو العبادة قال ربكم : ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم):

(إن ربكم – تبارك وتعالى – حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا) ،

وبالنظر نجد أن للدعاء فضائل عظيمة :

أوّل هذه الفضائل **أن ثمرته مضمونة وأن العبد يستجاب له** ، فعن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال: قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ بها إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَعجل لَهُ دَعْوَتَهُ، وإمّا أن يَدَّخِرَها لَهُ في الآخرة ، وإمّا أن يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا) . قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ . قَالَ: (اللَّهُ أَكْثَرُ) (رواه الترمذي وأحمد) . وعن أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ:(لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ). قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاِسْتِعْجَالُ قَالَ(يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِى فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ) (رواه مسلم).

والدعاء سلامة من العجز ، ودليل على الكَياسة ،ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ:(أَبْخَلُ النَّاسِ الَّذِي يَبْخَلُ بِالسَّلَامِ، وَإِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ بِالدُّعَاءِ).

وهو طريق الوصول وسبيل الحصول ، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (ما من مؤمنٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لله يسأله مسألةً إلا أعطاه الله إياها، إما عجّلها له في الدنيا، وإما ذخرها له في الآخرة، ما لم يعجل). قالوا: يا رسول الله وما عَجَلَتُه؟ قال: (يقول: دعوت ودعوت ولا أراه يُستجاب لي) (أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد)، ففي الحديثين

السابقين وما في معناهما؛ دليل على أن دعاء المسلم لا يُهمل ، بل يُعطى ما سأله إما مُعجلاً ، وإما مُؤجلاً . قال ابن حجر رحمه الله: (كلُّ داعٍ يُستجاب له، لكن تتنوع الإجابة؛ فتارةً تقع بعين ما دعا به، وتارةً بعِوَضِه).

كذلك من فضائل الدعاء: أنه سبب لدفع البلاء قبل نزوله، ورفعه بعد نزوله، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لا يغنى حذرٌ من قدرٍ، وإن الدعاءَ ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقى البلاءَ فيعتلجان إلى يوم القيامة)(أخرجه الطبراني). ومعنى يعتلجان أي: يتصارعان ، ويتدافعان .

والدعاء يفتح للعبد بابَ المناجاةِ ولذائذَها ، قال بعضُ العُبَّادِ: (إنه ليكون لي حاجةٌ إلى الله، فأسأله إياها، فَيَفْتَحُ عَلَيَّ من مناجاتهِ ، ومعرفتهِ، والتذللِ لَهُ، والتملقِ بين يديه ما أحب معه أن يؤخَّر عني قضاؤها، وتدومَ لي تلك الحال).

ومما ينبغي أن نعلمه في هذا المقام ما لشهر رمضان من خصوصيةٍ بالدعاء ؛ فهو شهرٌ عظيمٌ حريٌّ فيه بإجابة دعاء الداعين وسؤال السائلين، فإن الله – جل وعلا – قال في سورة البقرة في أثناء آيات الصيام :{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[البقرة:١٨٦] ؛ فهذه الآية – عباد الله – جاءت مسبوقةً بأحكام الصيام ومتبوعةً بأحكام الصيام وفي ذلكم إيماءٌ (كما بيَّن أهل العلم في كتب التفسير) إلى ما لرمضان –

شهر الصيام – من خصوصية بالدعاء وأنه شهر مرجوَّةٌ فيه الإجابة ، شهرٌ حريٌّ بعباد الله المؤمنين أن يكثروا فيه من الدعاء ، فالآية الكريمة فيها حث على الإكثار من الدعاء والعناية به مطلقًا في كل وقت وحين ، وفي سياقها إشارةٌ إلى أهمية العناية بالدعاء والإكثار منه في شهر رمضان المبارك لما له من خصوصية بالدعاء

فشهر رمضان شهر تفتح فيه أبواب الجنان وتغلّق فيه أبواب النيران وتصفَّد فيه مردة الشياطين ، ولله –تبارك وتعالى– عتقاء وذلك في كل ليلة من ليالي رمضان ، وهو شهر التوبة والغفران ، ويا خسارة من أدرك رمضان ثم انسلخ ولم يُغفر له .

وكما قلنا إن الدعاء من أفضل العبادات وخصوصا في شهر رمضان، فإن الدعاء فيه أفضل وأحسن لأن الدعاء فيه مستجاب. هذا لا يعني أن باقي الشهور لا يستجاب فيها الدعاء. وإنما في شهر رمضان أقرب إلى الإجابة من غيره ، لأن الأجواء في شهر رمضان تجعل الإنسان أقرب إلى الله من أي وقت آخر ، لأن الجوع و المستحبات التي يقوم بها الصائم في هذا الشهر المبارك كل ذلك يجعل الإنسان يتقرب إلى الله أكثر ولذلك يكون دعاؤه أقرب للإجابة.

وأمرٌ آخر ، الصائم حينما امتنع عن المفطرات ، والتزم بما أمره الله به حارب نفسه وهواه عن تلك الملذات التي كانت تتوق إليها النفس . ترفّع عن كل ذلك من أجل رضا الله وثوابه ، ومقابل ذلك وعد الله إجابة دعاء أوليائه فيه .

ولتكن أنفاسكم فيه تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ، وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب .

وليعلم الصائم أن نومه عبادة ، وصمته تسبيح ، وعمله متقبل ودعاءه مستجاب ، فعن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) قال: (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم) ، وعن أبي الحسن (رضي الله عنه) قال : (إن للصائم عند إفطاره دعوة لاترد). وعنه أيضًا أنه قال:(دعوة الصائم تستجاب عند إفطاره) .

وأن أفضل وقت للصائم يدعو الله (عزَّ و جلَّ) فيه وقت الإفطار بعد أن أنهى ذلك الصوم لله وما أصابه في ذلك اليوم من ظمأ وتعب لله (عزَّ وجلَّ) ، يقول الله تعالى لذلك العبد الصائم بعد كل ما قُمْتَ بِهِ في ذلك اليوم ماذا تريدُ مقابل ذلك العمل . ادعُ و اطلب كل ما تريده .

فعلى العبد أن يغتنم الفرصة ويطلب من الله ما يريد فإن الله يجيب له دعاءه ، فلا يبخل العبد على نفسه في أن يسأل ربّه كل ما يحتاجه ، فالبخيل من بخل بالدعاء ، وكذلك على المؤمن ألاّ يقتصر في الدعاء على نفسه وإنما يعم بالدعاء المؤمنين من إخوانه ، بل ربما قدّم الدعاء لإخوانه قبل أن يدعو لنفسه ، فإن الدعاء يستجاب لهم وله.

وكما أن رمضان شهر الدعاء فهو أيضًا شهر النصر ، فيه نصر الله المؤمنين ببدر وهم قلة في العدد والعتاد حيث يقول سبحانه وتعالى:{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ

* بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران١٢٦:١٢٣] وفيه كان فتح مكة الذي ضرب فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع المثل حين قال لأهل مكة يا أهل مكة ما تظنون إني فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وفيه كان توفيق الله (عز وجل) لقواتنا المسلحة الباسلة في حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ، وهنا نذكر بما قدمته قواتنا المسلحة ومصرنا الغالية من شهداء عظام رووا أرض الوطن بدمائهم دفاعا عن الدين والوطن والأرض والعرض ، ومازال عطاؤهم مستمرًا في مواجهة الإرهاب الغاشم حتى تقتلعه من جذوره بإذن الله تعالى ، دفاعا عن ديننا ووطننا وأمتنا العربية ، بل إننا نعمل مع كل المخلصين والشرفاء والدول العربية الشقيقة والدول الصديقة على تخليص الإنسانية من هذا الإرهاب الأسود .

* * *

أثر العبادات في السلوك

أولاً : العناصر :

١. ثمرة العبادة في الإسلام .
٢. فضل السلوك الحسن في الإسلام.
٣. منهج الإسلام في تربية المسلم على السلوك الحسن.
٤. أثر السلوك الحسن على الفرد والمجتمع.

ثانيًا : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١. قال تعالى:{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: ٤٥]
٢. وقال تعالى :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٣]
٣. وقال تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة: ١٠٣]
٤. وقال تعالى:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧] .
٥. وقال تعالى:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: ١٩٩]

٦. وقال تعالى :{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا }[الإسراء: ٥٣] .

٧. وقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩] .

٨. وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}

[آل عمران: ١٥٩] .

الأدلة من السنة :

١. عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: (مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ) (رواه البخاري)

٢. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، فَقَالَ : (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ

هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ). (رواه مسلم)

٣. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ ، وَلاَ بِلَعَّانٍ ، وَلاَ الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ). (راوه أحمد)

٤. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَلَّمَا خَطَبَنَا نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) أَوْ قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) إِلاَّ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ : (لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ).

(رواه ابن حبان وأحمد).

٥. وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ :(حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ). (رواه أحمد).

٦. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ). (رواه البزار وأبو يعلي)

٧. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى). (رواه البخاري).

٨. وعن عُمَرَ بْن أَبِي سَلَمَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ).

(رواه البخاري).

ثالثًا: الموضوع :

لقد انتهى شهر رمضان وانقضت أيامه ولياليه وودعه المسلمون وقلوبهم ما زالت آسفة لفراقه ورحيله ؛ لأنه عمّر قلوبهم بالإيمان وصفَت فيه نفوسهم، وأخلصوا لله فيه العمل ، نعم لقد انقضى رمضان وربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر ، فهنيئًا لمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا ويا حسرة من ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، وليس له من قيامه إلا التعب والسهر .

وليعلم العبد أن للطاعة علامات يعرف منها قبولها ، من هذه العلامات : أن يوفق العبد لطاعةٍ بعدها ، وأن تكون أعمال العبد خالصةً لله ، والخوف من عدم القبول ، وعدم الرجوع إلي الذنب بعد الطاعة ، ومن بين هذه العلامات : أن يظهر أثرها على المسلم في سلوكه وأخلاقه ومعاملاته مع الخَلق ، وفي مراقبة الله ، لأن الطاعة من وسائل تزكية النفس وتطهير القلب وسلامة الصدر ، وكلما ازداد المسلم طاعةً ازداد علمًا وعملاً وهدى ، قال تعالى : {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}[النور:٥٤] ، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[محمد: ١٧] ، فالمجتمع الذي يداوم أفراده على الطاعة تضعف فيه نوازع الشر

ويحصّن من الفساد، وذلك لأن العبادات تهذّب الأخلاق وتقوّم السلوك وتروّض الجوارح ، ومن ثمَّ ينصلح حال الفرد وتسمو المجتمعات.

إن الغاية المنشودة من العبادات هي تحسين السلوك وتزكية النفوس بالأخلاق وتقوية صلة الإنسان بربه وخالقه وبمن يعيشون معه ، فالصلاة مثلاً تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: ٤٥] ، والزكاة تطهر النفس وتزكيها من أدران السلوك وضغائن الأحقاد ، قال تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: ١٠٣]

- والصوم يدعو إلى تقوى الله في السر والعلانية وفي الظاهر والباطن من السلوك والأعمال والاعتقاد ، قال تعالى :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}

[البقرة: ١٨٣] كما أنه يدرب المسلم على الصبر ومحاسن الأخلاق .

- والحج كذلك يغرس في نفوس المسلمين الفضائل والسلوك القويم ، قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ}[البقرة: ١٩٧] فالعبادات لها الأثر الجميل في تحسين سلوك العباد .

وإن المتتبع لنصوص الشريعة الإسلامية يجد أنها اعتنت بتقويم سلوك الإنسان من حيث كونه إنسانًا كرمه الله - عز وجل- عن باقي المخلوقات ، قال تعالى:{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } [الإسراء: ٧٠] ، ولننظر إلى قوله تعالى وهو يأمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) بتقويم السلوك العملي حيث قال:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف: ١٩٩] أي: عليك بالرفق بالمؤمنين والمعروف الجميل من الأفعال وعدم مقابلة السفهاء الجاهلين بمثل صنيعهم وفعلهم والصبر على سوء أخلاقهم ؛ لذلك حين نزل قوله تعالى:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }[الأعراف: ١٩٩] قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن مكارم الأخلاق عند الله أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، ثم تلا النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم)(الآية) (الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي) .

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بأحكامها وعباداتها ؛ لتهذب السلوك وتقوِّمه وتسمو بالنفس إلى أعلى درجات الرقي والتحضر وحسن التعامل مع الآخرين ، وهذا كله ثمرة العبادات . ولما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أعبد الناس وأتقاهم لله وأخشاهم له كان أحلم الناس، وألينهم قولاً، وأطهرهم فعلاً وخلقًا ، فكان الإسلام -بعباداته وأخلاقه - يتمثل في سلوكه وأفعاله ، لذلك لما سئلت عائشة (رضي الله عنها) عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالت:(كان خلقه القرآن). فكان نعم الأسوة ونعم القدوة فالسلوك الحسن القويم يفتح مغاليق القلوب ، ويورث

المحبة والمودة ويدل على سمو الدين ورفعته ، ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا الفاحش ولاالبذيء).

إن السلوك الحسن يكشف عن مدى تديُّن الإنسان وتعبده لربه ، ولهذا نجد الناس لا يحبون العابد المتكبر ، ولكن يحبون العابد المتواضع البسَّام الهين اللين ، وهذا ما كان عليه نبينا (صلى الله عليه وسلم) حيث قال سبحانه:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[آل عمران: ١٥٩].

ولو تتبعنا أخبار الأمم والأمصار التي دخلت في الإسلام معظمها لم تكن بالفتح ولا بالغزو، ولكن بسلوك المسلمين ومعاملاتهم ، إن المسلمين الذين فتحوا بأخلاقهم ومعاملاتهم دولاً كاملة كدول جنوب شرق آسيا وكثير من دول إفريقيا يستطيعون اليوم بأخلاقهم أيضًا أن يفتحوا العالم.

ومن ثمَّ فيجب على المسلم ألا ينشر الكراهية والعنف والإرهاب والسب واللعن في أوساط الناس ، فهذا ما لا يقبله الإسلام ولا يقره ، ولا تقبله النفوس المؤمنة ، وإن ما نراه اليوم من نشر العنف والإرهاب والتفجيرات وترويع الآمنين وما يصاحبه من تشويه الحوائط بالكتابة عليها بألفاظ نابية لا تتفق وأخلاق الإسلام .

إن ضبط السلوك مع الناس من الدين ، بل هو الدين ، قال أَنَس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَلَّمَا خَطَبَنَا نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) إِلاَّ قَالَ فِي

خُطْبَتِهِ : (لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ) فكان يكررها (صلى الله عليه وسلم) في خطبه ليؤكد هذا المعنى في نفوس المسلمين.

وإذا نظرنا إلى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) نجده ضرب أروع الأمثلة في السلوك القويم بالتزام العهود والمواثيق ، وعوّد أصحابه على ذلك ، وربَّاهم عليه ، ففي صحيح مسلم أن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) أخبر: أن قريشًا أخذوه هو وأبا حُسَيْلٍ قبل غزوة بدر قبل أن يدخل المدينة ، فقالوا لهما : إنكم تريدون محمدًا ! قالوا : ما نريد إلا المدينة . يقول حذيفة (رضي الله عنه) : فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معك يا رسول الله . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم) (رواه مسلم)، مع أنه (صلى الله عليه وسلم) كان في أشد الحاجة للرجال ليقاتلوا معه ضد المشركين . هذا هو وفاء المسلمين مع غير المسلمين ، فما بالكم بوفاء المسلمين مع المسلمين .

ومن جمال سلوكه (صلى الله عليه وسلم) ما روته عائشة (رضي الله عنها) قالت: (مَاخُيِّرَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ). [رواه البخاري]. لذا كان للإيمان الأثر الأكبرُ في سلوك المسلم وأخلاقه ، وفي تذكره مراقبةَ الله له، وتذكره الآخرة .

فالإيمان يعتبر الوسيلة الأولى في تزكية النفس، وتأتي بعد الإيمان بالله أنواع العبادات في تزكية النفس ، وفي تذكرها مراقبة الله لها ، فهي وسائل مساعدة ، فقد فرضها الله لتذكر المسلم في كل حين بارتباطه بالله، طاعة ورغبة ورهبة ، وأنه بحاجة إلى هذه الصلة في سرَّائه وضرَّائه. فالصلاة بسجودها وركوعها وأذكارها تُطهِّر النفس من التكبر على الله ، وتذكِّر النفس بالاستقامة على الطريق المستقيم ، وتنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، يرجع منها إلى أفضل حالة من الإيمان واليقين بالله ، فهذا معنى قوله: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [العنكبوت: ٤٥]، وإلا فلا قيمة للصلاة ، وروى أنس بن مالك (رضي الله عنه)قال: كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي (صلّى الله عليه وسلم) ، ولا يدع شيئًا من الفواحش والسرقة إلا ارتكبه ، فذُكر للنبي (صلّى الله عليه وسلم) فقال: (إن الصلاة ستنهاه) فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلم): (ألم أقل لكم؟).

وفي جانب الكلمة أمر الله عباده أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها ، ومن الكلمات أجملها حتى تشيع الألفة والمودة قال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣] ، ولم يبح الله – عز وجل– الجهر بالسوء من القول إلا في أحوال محددة كحالة التظلم ، قال تعالى : {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٨]

وفي جانب التعامل في المجتمع المسلم بين الجيران والأقارب والضيوف والأرحام جعل الإسلام المعاملة الحسنة علامةً على قوة الإيمان وقرب العبد من ربه، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ). (رواه البخاري).

وفي جانب المعاملات المالية كانت دعوة الإسلام إلى التعامل الحسن من التسهيل والتيسير والأمانة والوضوح والصدق، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ)، وفي رواية لمسلم: (قال اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ). (متفق عليه).

وهذا الإمام أبو حنيفة النعمان –رحمه الله– يوصي عماله وغلمانه في متجره بأن يبينوا للناس عيوب بضاعته إذا وُجدت ؛ لأن ذلك من الدين ومن المعاملة الحسنة التي أمر بها الإسلام، فالمسلم الذي يضع جبهته في المسجد ساجدًا لله يستحي من الله أن يغش خلقه، والأمة التي يعيش أبناؤها على الخيانة والغش أمة معرضة للانهيار والسقوط.

وفي جانب إدارة الأعمال والوظائف وتولي أمور الناس غرس الإسلام في نفوس أتباعه الرقابة الذاتية، ودعاهم إلى معاملة الخلق بسهولة ويسر وإرادة الخير لهم ، فقال تعالى:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [التوبة:١٠٥]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به) (رواه مسلم).

وفي جانب الحروب والعلاقات الدولية دعا الإسلام أتباعه إلى المعاملة الحسنة، فأسّس الإسلام مبادئ ووضع آدابًا وضوابط للعلاقات وللحروب والغزوات لم تعرفها الأمم سابقًا من الرحمة بالأسير، وعدم التمثيل بالمقتول ، وعدم قطع الأشجار وعدم قتل الشيوخ وهدم الصوامع، فلم نسمع أو نقرأ أن جنود الإسلام قد أقاموا المعتقلات ، وصنعوا الأغلال والأصفاد للأسرى ؛ لاستجوابهم والتحقيق معهم والتنكيل بهم ، بل كان الأسير عند المسلمين يظل له كيانه الإنساني وحقوقه الفطرية من المطعم والأمان والكساء والدواء.

فهذا صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- يسير ذات يوم في بعض طرقات مدينة بيت المقدس وقد نصره الله، فقابله شيخ مسيحي كبير السن، وقال له: (أيها القائد العظيم: لقد كتب لك النصر على أعدائك، فلماذا لم تنتقم منهم، وتفعل معهم مثل ما فعلوا معك؟! فقد قتلوا نساءكم وأطفالكم وشيوخكم عندما غزوا بيت المقدس)، فقال له صلاح الدين: (أيها الشيخ: يمنعني من ذلك ديني الذي يأمرني بالرحمة بالضعفاء ، ويحرّم عليَّ قتل الأطفال والشيوخ والنساء).فقال له الشيخ: (وهل دينكم يمنعكم من الانتقام من قوم أذاقوكم سوء العذاب؟!)، فأجابه صلاح

الدين: (نعم، إن ديننا يأمرنا بالعفو والإحسان ، وأن نقابل السيئة بالحسنة، وأن نكون أوفياء بعهودنا، وأن نصفح عند المقدرة عمن أذنب). فقال الشيخ: (نِعْمَ الدين دينكم ، وإن دينًا فيه مثل هذه الأخلاق يعلو ولا يُعلَى عليه). وأسلم الرجل وحسن إسلامه ، وأسلم معه كثير من أبناء قومه.

يقول روجيه جارودي – وكان فيلسوفًا شيوعيًّا قبل إسلامه-: (كنت مع مجموعة الجنود الفرنسيين الذين كانوا يحاربون المسلمين الجزائريين في ثورة الجزائر عام ١٩٦٠م، وتم القبض عليَّ بواسطة مجموعة من المجاهدين المسلمين، وسلموني إلى أحدهم ليتولى إعدامي في الجبل ، وحين انفرد بي سألني: (هل معك سلاح؟! فقلت له: لا، ليس معي سلاح ، فقال: وكيف أقتل رجلاً ليس معه سلاح؟! وأطلق سراحي. قال جارودي: وبقيَتْ هذه القصة تتفاعل في ضميري سنين كثيرة ، حتى قمت بدراسة الإسلام فأيقنت أن هذا المجاهد كان ينطلق في تصرفه معي من واقع العقيدة والأخلاق الإسلامية، فكان لهذا الحادث أثره البالغ في إسلامي الذي هز العالم بأسره). وفي جانب الدعوة والبلاغ تخيّر الإسلام للتعامل مع المدعوين أفضل الطرق وأرأفها وأرحمها، قال تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }[النحل:١٢٥]، هذا هو الدين الذي ينبغي أن نلتزمه، وهذه هي المعاملة التي ينبغي أن نطبّقها سلوكًا في واقع حياتنا. وإن

الإسلام الذي ينتشر في قارات ودول العالم، ما كان له أن ينتشر بعد فضل الله وتوفيقه لو لم يكن أصحابه وحملة رسالته من الدعاة والعلماء والمجاهدين والتجار والمسافرين على قدر من الخلق الحسن والمعاملة الراقية والسلوك القويم. وإن الانحسار في فهم الدين ، ووصفه بما ليس فيه، وصدود الناس عنه في كثير من مناطق العالم اليوم إنما يعود جزء من أسباب ذلك إلى تشويه أبنائه له بضعف الالتزام به تارة ، وبسوء الخُلق والمعاملة غير الحسنة مع بعضهم ومع غيرهم تارة أخرى.

فالإسلام ينبغي أن نفهمه على أنه عقيدة راسخة، وعبادة صحيحة، ومعاملة حسنة ، سواء بسواء، ومتى ما طغى جانب على حساب جانب آخر ظهر الانفصام في حياة المسلمين، فيكون المسلم في وادٍ والإسلام في واد آخر ، فيحدث الخلل وتظهر التناقضات وتسود الفوضى، ويحل الشقاء، ويظهر الإفلاس الحقيقي؛ إفلاس القيم والأخلاق والمعاملة الحسنة، عندها لا تنفع صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا حج ولا غير ذلك من العبادات إذا فسد سلوك الفرد وساءت معاملته للآخرين ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ).

(رواه الترمذي). فلنحسن علاقتنا بربنا ، ولنتعامل بأخلاق ديننا، ففي ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة، ولنحذر من سوء المعاملة، فإنها تُفسد العمل مهما عظم.

❋ ❋ ❋

□

□

□

□

□

□

فهرس الموضوعات


طبع بمطبعة وزارة
الأوقاف